




الطفل العاجز

إدث م. ستيرن
إلزا كاستنديك

ترجمة
فوزية محمد بدران
راجعه
د. أحمد زكي صالح



الطفل العاجز

تأليف: إدث م. ستيرن - إلزا كاستنديك

ترجمة: فوزية محمد بدران

راجعه: د. أحمد زكى صالح

وزارة الثقافة
الهيئة العامة لقصور الثقافة

وزارة الثقافة



الهيئة العامة لقصور الثقافة

• الطفل العاجز
• تأليف: إدث م. ستيرن
إلزا كاستنديك
• ترجمة: فوزية محمد بدران
• تصميم الغلاف: د. خالد سرور
هذه الطبعة 2013م
الهيئة العامة لقصور الثقافة
• رقم الإيداع: ١٧٧٤٢/ ٢٠١٣
• الترقيم الدولى: 978-977-718-509-7
• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

المتابعة والتنفيذ
أمانى الجندى

الطفـل العاجـز

مقدمة المراجع

يمثل هذا الكتاب اتجاها جديدا فى معالجة مشكلة الأطفال العجزة وهذا الاتجاه يتمثل فيما اختطته المؤلفتان من اتجاه نحو الآباء والأمهات .

ولم تحاولا فى اتجاههما هذا أن تنحيا منحى نظريا ، إنما قدمتا مجموعة من الاقتراحات العملية التى تساعد آباء هؤلاء الأطفال لا على التكيف لمشكلتهم الحالية فحسب ، بل على مساعدة أطفالهم على التكيف فى حياتهم بمشكلاتهم الراهنة .

والواقع أن فصول هذا الكتاب مقسمة وفقاً لموضوعات النقص الذى يعانى منه الطفل ، وكل فصل من هذه الفصول يعتبر ذخيرة فى حد ذاته مليئة بالمقترحات الإيجابية التى ترشد الوالدين العاديين إزاء خير الطرق التى يجب أن تتبع فى حالة طفلهم العاجز .

وما يميز هذا الكتاب هو الأمانة فى تصوير حقائق المشكلة إذ توخت المؤلفتان أن تتقيدا بالحقائق العلمية الموضوعية فى العلاج وما بعد العلاج ووضعتا الكثير من النقط فوق الحروف وخاصة فى حالات الضعف العقلى والشلل المخى والعمى والصمم وقدمتا

المشاكل لا على أنها أمور قابلة للمناقشة بل على أنها أمور يمكن أن تصيب أية أسرة وأى والد وأية أم . إنما المهم هو ، كما ألحت المؤلفتان ، اتجاه الأسرة إزاء الطفل العاجز وطرق تحقيق الشروط التى تعمل على تنمية شخصيته وتكيفه الاجتماعى واحتلال دوره الطبيعى فى الحياة .

والكتاب كما قررت المؤلفتان هو وسيلة لمساعدة الآباء والأمهات على تكوين اتجاهات إنشائية إزاء نواحى العجز التى قد تصيب أطفالهم ، وهو فى نفس الوقت وسيلة تحررهم من الكثير من الآراء الفاسدة التى يتناولها الأفراد حين يصاب أحد أطفالهم بنوع من أنواع العجز الحاسى أو العقلى ، وهو فى هذه الناحية يمثل هجوماً على كثير من الآراء غير العلمية الشائعة .

والواقع أن خير ما نختتم به هذه المقدمة هو أن هذا الكتاب لا يعتبر وسيلة توجيه آباء الأطفال العاجزين وأمهاتهم فحسب ، بل يساعد على توجيه آباء الأطفال الأسوياء وأمهاتهم كذلك .

ولا شك فى أن مترجمة هذا الكتاب قد بذلت من الجهد والصبر ما يسر لها الوصول إلى ترجمة أمينة صادقة معبرة عن الأصل الإنجليزى ، الأمر الذى يسر على مراجع ترجمة هذا الكتاب مهمته ، ويسرنى أن أقدم لها خالص الشكر على ما بذلت من جهد ، وما عانت من صعاب .

دكتور

أحمد زكى صالح

مقدمة

لايقصد بهذا الكتاب أن يكون دائرة معارف أو كتاباً أساسياً فى تربية الأطفال والعناية بهم ، رغماً عن توكيدنا أن الأسس العامة فى تربية الأطفال تنطبق على السويين والعجزة منهم على حد سواء .

والواقع أن هذا الكتاب ، كما يدل عليه عنوانه ، قصد به أن يكون مرشداً للآباء ، ونرجو أن يحفز الآباء للبحث عن مساعدة الإخصائيين والخبراء لحل مشكلاتهم وللكشف عن طرق جديدة لتيسر حياة متوافقة وشبه سوية لأطفالهم على قدر الإمكان .

ولقد كانت النظرة الأساسية السائدة فى هذا الكتاب هى العناية بالصحة النفسية ، وغرضنا الرئيسى هو إعطاء توجيهات بقصد تكوين اتجاهات ، وليس إعطاء برنامج تعليمى وكذلك لم نتعمق فى كثير من التفاصيل التى تتعلق بطبيعة مظاهر العجز المختلفة وأسبابها ، ولم نذكر منها إلا ما اعتبر هاماً ، كى ييسر للوالدين قسطاً من الفهم يساعدهم على التخلص من القلق والشعور بالذنب . وقد تعمدنا أن نختار من بين العدد النهائى للاقتراحات العملية الممكنة التى تتعلق بالصحة الجسمية والتدريب والتنظيم ، أن نختار منها أفضلها الذى ييسر توضيح

المبادئ التى تؤكد الصحة النفسية وتدعمها . ومن بين هذه المبادئ العامة بعض أكدنا ضرورته بالنسبة لكل الأطفال على حد سواء ، مثل إشباع الحاجات الانفعالية الأساسية للحب والأمن والطمأنينة وتذوق لذة النجاح ، والبعض الآخر ، مثل التعويض عن الشعور بالاختلاف ، ناقشناه تفصيلا لأهميته للأطفال العجزة ، وبعض ثالث ، مثل تشجيع الاعتماد على النفس ، ركزناه خاصة فى الفصل الذى عالج مشاكل الأطفال المكفوفين ، كما أكدنا أهمية العناية بعملية التطبيع الاجتماعى فى الفصل الخاص بالصم .

ورغماً عن اعتمادنا على المؤلفات المعاصرة فإننا نعتقد أننا فتحنا طريقاً جديداً فى اختيارنا للمادة وفى طريقة معالجتنا للمشكلة . ونرجو أن نكون قد أدينا مهمتنا بنجاح .

ولا شك فى أننا ندين بفضل لاينكر لمجموعة من الإخصائيين ، كل يعتبر إخصائياً مرموقاً فى مجاله ، وقد راجع كل من هؤلاء جزءاً من هذا الكتاب أو كله فى تخطيطه الأول ، وقدموا ، متفضلين ، النقد الإيجابى فيما يخصهم ، والواقع أن هذا الكتاب كما هو الآن يتضمن توصياتهم وتعليقاتهم ، و بعبارة أصح يمثل الفكرة العامة ، وخلاصة المقترحات لعدد من القراء الإخصائيين .

ومن بين هؤلاء الذين راجعوا فصولا فردية الدكتور مورتون ا . سيديفلد ، مدير الخدمات النفسية بالمنطقة العامة لشلل الأطفال والدكتور م . ا ويرلستين ، شيكاغو ، رقم ٣ . والدكتور ونثروب م . فيلبس ، باتيمور (إخصائى فى الشلل المخى) والدكتور فردريك ا . چيبس الأستاذ المساعد للطب النفسى بجامعة الينويز والدكتور چبرى برليس النائب السابق لرئيس الاتحاد الوطنى للصرع وحالياً عضو فى لجنة الصرع والدكتور بيرثهولد لدنفلد الأستاذ بمدرسة كاليفورنيا للمكفوفين والرئيس السابق للأبحاث فى المنظمة الأمريكية للعميان (العميان أو ضعيفى البصر) والآنسة بيتى رايت مديرة الجمعية الأمريكية للسمع (الصم أو ضعاف السمع) والدكتور نيل ا ديتون الأستاذ بمدرسة مانسفيلد التدريبية الأمريكية .

ومن قراء نصوص الكتاب الدكتور إليز ه . مارتن مدير المكتب الثقافى الأمريكى للأطفال الشواذ ، الذى ساعدنا بقراءته المعتنى بها فى المواضع التى تتعلق بالتعليم ، والدكتور جورج س . ستيفنسون المدير الطبى للجنة الأمريكية للصحة العقلية ومدير الجمعية الطبية النفسية الأمريكية والذى كان لوجهة نظره النفسية التى قربت الهوة بين المعلومات المهنية والعامة أكبر الفائدة لنا .

وقد أعطانا أعضاء كثيرون من موظفى مكتب الطفولة الأمريكى

بالجمعية الاتحادية للتأمين خلاصة تجاربهم . ومن هؤلاء السيدة ماريون ل . فيجر المستشارة فى تعليم الآباء ، والدكتور هنرى ورك مدير وحدة الصحة العقلية .

ونحن ندين أيضاً ل ف . ر . ستنهيم الذى ساهم مساهمة فعالة فى الفصل الثالث ، ولوليم ا . ه بيرنى محرر مجلة « رفيقة سيدة المنزل » Woman's Home Companion .

وشارلز و . فرجيسون رئيس تحرير المختار Reader's Digest . ولساره فينشر كاندل التى قامت بكتابة أصول هذا الكتاب أكثر من مرة وعبر مجهودها الفذ فى هذه العملية عن إخلاصها فى عملها .

إدث . م . ستيرن
الزا كاستنديك

الفصل الأول

أنت وطفلك العاجز

يجدر بنا أن نبدأ بمواجهة الموقف بصراحة   إذا كنت والد طفل عاجز فإن عليك أن تواجه مشكلة من أصعب المشكلات احتمالا ، فكثيراً ما تتمنى أن تكون أنت ، وليس طفلك ، الضعيف السمع أو الأعرج أو الأعمى أو الذى تنتابه نوبات مرضية ، ذلك لأن مايصيب أطفالنا يؤلمنا أكثر مما قد نعانيه شخصياً .

وخير دليل على ذلك ، حينما يهتز قلب الأم لبكاء طفلها السوى من بعض الألم ، فلا عجب إذن أن تكون حالة آباء العجزة مؤلمة أشد الألم تهولها الحقيقة لكونها دائمة ومستمرة .

كلنا نحب أن يكون أطفالنا كبقية الأطفال ، بل ونحب أن يتميزوا فى بعض النواحى ، مثلنا فى ذلك مثل السيدة التى تحب أن تلبس بطريقة منفردة ولكنها تحب أولا أن تكون مسايرة لأحدث الموضات ، فمن الطبيعى إذا كان طفلك مصاباً بخلل فى الجهاز العصبى أو ضعف فى السمع أو ضعف فى العقل أن تتمنى « أن لم يكن مختلفا عن سائر الأطفال» ولا شك فى أن ثمة حزناً دفيناً يعتريك لذلك .

ولا يعنى ذلك أن تحتاج أكثر من باقى الآباء لأن تسلم نفسك للحياة حزينة غير مرضية بسبب طفلك ، إن الحاجات الأساسية واحـدة لـكل الأطفال ، الأسوياء منهم والعاجزين . فإذا لم نشبع هذه الحاجات فلا يمكن لطفل أن يتـكيف ويتمتع بالحياة ، ومن ثم كان فى مقدور الطفل العاجز كالطفل السليم أن يعرف السعادة ، إذا راعينا إشباع هذه الحاجات ، ولذلك يجب أن نسأل :

ما هى حاجات الأطفال ؟ أولا الشعور بالأمن ، وبالانتماء ، وهذا يتأتى من التأكيد الصادق بأنه محبوب ومرغوب فى محيط العائلة . ينبع هذا من استقرار الحياة المنزلية، ومن مكانه الثابت الراسخ الذى لا يمكن لأحد غيره أن يحل محله ، فالطفل العاجز الواثق من مشاعر أبويه وإخوانه وإخوته والذى يشعر بأن له دوراً هاماً فى الأسرة مثل أى شخص آخر فى المنزل لا يفقد الشعور الحيوى بالأمن والطمأنينة .

ويحتاج كل صبى وفتاة كباقى البالغين إلى الشعور بالنجـاح وبالقدرة على التوافق ، فهناك بعض الأشياء لا يمكن للطفل العاجز أن يقوم بها ولـكنه يستطيع القيام بأشياء أخرى كثيرة . فمثلا قد لا تتساوى عقليته فى أداء الأعمال التى يؤديها مع من فى مثل سنه بالمدرسة ، ولـكنه قد يكون عوناً كبيراً لوالدته فى تجفيف الأوانى ، ويشعر بفائدته وقيمته فى أداء بعض الأعباء المنزلية البسيطة. وقد تمنعه ساقه المصابة من أن يكون

بطلا فى لعبة البيسبول ولـكنها لا تحول دون أن يكون متفوقاً فى بعض الهوايات كأعمال الخشب أوالتصوير . وقد يـكون أصم أو ممن تنتابهم نوبات من حين لآخر ولـكنه مع ذلك يستحق الثنـاء ويتمتع به على العناية الفائقة التى يوليها للحيوان المستأنس الذى عهد به إليه . ومن حسن الحظ أن هناك طرقا كثيرة يمكنها تحقيق الشعور بالنجاح خارج استعمال قدرة فردية واحدة.

حقيقة ، إن الطفـــل العاجز لن يشعر بالراحة لأنه يختلف عن باقى الأطفال ، وإن هذا الاختلاف يجب أن يواجهه واقعياً كما يجب أن تواجهــه أنت . ولـكن ليس العجز كل شىء فى الحياة ، ويجب ألا ننسى أولا وقبل كل شىء أنه طفل ، وثانيا أنه فرد عاجز ، فهو ليس مختلفاً فى كل النواحى بل فى البعض منها فقط ، وهو فعلا متشابه مع غيره من الأطفال فى كثير من النواحى أكثر من اختــلافه عنهم ، وهو مثلهم يرغب فى أن يحِب وأن يحَب ، وأن يسر ويتجنب مايسىء ، وأن يـكون له لهوه وانتصاره .

وهكذا يـكون لديك قدر مشترك كبير مع سائر الآباء إن مشكلاتك وآلام قلبك تختلف عنهم فى الدرجة لافى النوع . فمثلا ، كل الآباء يهتمون بأطفالهم فى نموهم ومستقبلهم وبقدرتهم على الوصول إلى مستوى الذكاء والتعليم والأخلاق ووسائل الكسب فى الأسرة ومكانها فى الحياة .

كما يبحث بعض الآباء أيضاً عن شيء محدد يفسرون به ما فى سلوك أطفالهم من تحايل و«شقاوة» و«قصور». فإذا استطعت أن تعزو هذا إلى عاهة طفلك ، فإنهم يلقون اللوم على مسلك غيرهم من الأطفال المقيمين بجوارهم ، أو على ما بين أطفالهم و بين بعض الأفراد غير ذوى الخلق الكريم من أسرهم.

إن الآباء يخشون على صحة أطفالهم وعلى احتمال إصابتهم ، فإن كان الطفل عاجزاً فمن الطبيعى أن يزداد هذا الاهتمام والقلق ، ولكن ليس هناك أى أب أو أم متحررة منه كلية . وقد نشعر بالتعاسة جميعاً كآباء إذا لم يكن أطفالنا يتبعون خطوات الحياة التى نقتنع نحن بأنها الأفضل لهم وأنها ستجعلهم سعداء . هذه هى طريقتنا فى « الإسقاط » وهى أننا نضع أنفسنا فى مكان شخص آخر ونفرض انفعالاتنا عليه فمثلا قد يتضايق والد الطفل المقعد عندما يفكر فى تعاسته إذا لم يكن قد لعب كرة القدم وهو فى مثل سن ابنه ، أو مثل أم الفتاة المتأخرة عقلياً التى تحزن لأن ابنتها وهى فى سن السادسة عشرة ما زالت فجة غير ناضجة فلم تستطع تكوين أصدقاء لها ولذلك يجب أن نتحرر من هذه النظرة الإسقاطية ، فما يهم الطفل هو تحديد مشاعره إزاء حالته . فقد يتمتع الصبى العاجز بالموسيقى أكثر مما يتمتع والده بالألعاب الرياضية ، وليست الفتاة المتأخرة عقلياً معذبة بما ينقصها ، فهى بطريقة لاشعورية

تعمل أعمالا أقل من سنها . . فقد تجد متعة فعلا فى اللعب بالعرائس كمتعة أمها فى مقابلتها لصديقاتها . وهى فى الحلقة الثانية من عمرها .

ولا شك أن الطفل العاجز الموجه توجيهاً صحيحاً يمكنه أن يحصل على إشباع مرض عن طريق التعويض لما قد يلوح للأسوياء أنه تافه ، من مشاعر حب سطحية فى الحياة دونها تفقد الحياة قيمتها .

ومن الأمثلة الفذة إلى حد كبير الرئيس فرانكلين ديلانور روزفلت الذى عاش حياة سعيدة غنية بالرغم من عجزه الجسمى الكبير، ولا شك أنه حينما تسخر الجهود للتغلب على العاهة فإن نجاح الفرد فى حياته يكون بسبب هذه العاهة لا رغما عنها ، يضاف إلى هذا الآلام التى لا داعى لها والتى تكون بسبب سوء الفهم بأن الطفل العاجز يفقد كل شىء إذا ما فقد جزءاً أو أكثر من جسمه .

وهناك نوع آخر من إيذاء النفس يفرضه معظم آباء العجزة على أنفسهم ، وهو سؤال أنفسهم « ماذا فعلت فى دنياى وماذا جنيت حتى يصبح طفلى كذلك » .

وعندما تكون العاهة نتيجة حادث أو مرض يميل تفكير الوالدة إلى اتجاهات منها « هل أهملت لدرجة جعلته عرضة للاصابة ؟ » أو

«لو كنت على الأقل لم أسمح له بالخروج منفرداً أو لو لم أذهب لرؤية والدتى فى ذلك اليوم . . . وعندما تكون العاهة خلقية يقلق الوالدان لمسألة الوراثة ويقولون « قد يكون من الأفضل عدم إنجابنا أطفالا . ماذا يحتمل أن يكون فى الأسرة ؟ » وهكذا .

ويلوم الأمهات خاصة أنفسهن عندما تكون مضاعفات الولادة محتمله أو مؤكدة أو حتى يمكنها أن تسبب العاهة . وقد يتهمن أنفسهن «لابد وأننى غير طبيعية شاذة التكوين» أو «لم أتخذ إجراءات صحية » أو « كان يجب على أن أعرض نفسى على طبيب آخر » .

وقد يلوم أحد الوالدين الآخر — وقد لا يكون ذلك صراحة — على سوء حظهما ، ولكن العادة أن يكون كل منهما قاسياً على نفسه . والواقع أن الحالات التى يجد فيها الوالد سبباً لكى يشعر بمسئولية عجز ابنه قليلة جداً لدرجة يمكن إهمالها .

ونادراً ما تكون الأمراض المسببة للعجز نتيجة إهمال غير مقصود. مثلا لم تعرف تماماً وسيلة نقل ميكروب شلل الأطفال فكيف يمكن للآباء أن يتأكدوا من تحصين أطفالهم منه[١] فقد لا يحقق عزل

---

(١) اكتشف فى السنوات الأخيرة أكثر من طريقة للوقاية من شلل الأطفال ، منها مصل سبوالك .

الأطفال فى المنازل الصحية فى أثناء انتشار الوباء الغرض منه . وقد تكون الوسيلة الوحيدة لتفادى الحوادث هو حجز الأطفال داخل حجرات موصدة ذات نوافذ حديدية ومع ذلك فقد ينزلق الطفل على الأرض ويكسر ساقه . أما عن الوراثة فإن لكل منا ملايين من الخلايا تسهم فيما يرثه ولو تمكنا من معرفة كل شىء عنها ، (وهذا مستحيل لحسن الحظ) فإن القليل منا سوف يجرؤ على إنجاب أى طفل . فرغما عن أن مفهوم الوراثة قد استعمل كمقولة تفسيرية لجميع أنواع العجز والمرض والانحراف بل وحتى الفقر فإن تقدم الطب وعلم النفس والاجتماع فى أيامنا هذه قد قلل من إرجاع المظاهر الشاذة وسوء التوافق إليه ، فلن تلوم الأم نفسها على ما يصيب طفلها قبل أو فى أثناء الولادة . فإذا ما حدث حطأ أثناء حملها أو عماها وسبب العجز . فلا يمكن أن تلام عليه . فإن أى سيدة لا يمكن أن تعمل شيئاً أكثر من وضع نفسها تحت رعاية طبيب تؤمن هى بكفاءته .

وفى الواقع أن الطبيب فى معظم الحالات لا يكون مسئولا عن العاهة ، فحتى المهارة الفائقة والحذر والحيطة الشديدتان فى أكبر المراكز الطبية لا تمنع من ميلاد أطفال ناقصين جسميا أو عقليا . ومن أكثر الطرق شيوعاً لاستجابة الوالدين نحو شعورهم بالذنب ، إما شعوريا وإما لاشعوريا ، هو أن يُفْرِطوا أو يُفَرِّطوا . فبعض الأمهات والآباء يحاولون

عن طريق تخيلهم لخطئهم تجاه الطفل العاجز أن يغدقوا عليه كل الماديات الممكنة أو يحيطوه بعواطف فياضة أو يظللوه بحماية كبيرة . والبعض الآخر يغالون فى طلباتهم وأوامرهم وانتقاداتهم ، ولا شك فى أن أياً من هذه الوسائل غير صالح للطفل ، حيث لم يتقبل الطفل لذاته فى أى منهما ولم يحبُّ كما هو .

والواقع أنه فى كلتا الحالتين السابقتين تصرف الوالدان بحكم شعورهما الكامن بالخطأ الذى يعتبر فى نظرهما مسئولا عن عجز الطفل. فإن عدم اعتراف الفرد بشعوره الكامن بالذنب لا يقلل من حقيقة شعوره به ، وأفضل الطرق للتغلب على الشعور غير الأصيل بالمسئولية إزاء عاهة الطفل هو أن تعمل ما تستطيع لصالحه ، ما دامت الحقيقة — بل الحقيقة الهامة — هى أنه فعلا أصيب بها وأن العمل على وضع برنامج محدد إيجابى لصالحه لا يساعده هو فقط بل يساعدك أنت أيضاً كوالد .فالعمل الإيجابى هو أفضل الطرق للتحرر من الآلام العاطفية .

ولكن مهما كرست نفسك لتحقيق هذا البرنامج ،فلا يجب عليك أن تغرق نفسك فى مشاكل طفلك . فقد تشعر أحياناً مثل كل الآباء بأنه قد بلغ بك السيل الزبى . أو أنك لا تستطيع أن تحتمل أكثر من ذلك . وقد تعتريك قطعاً أحياناً أمنية لو أنك لم ترزق بهذا الطفل . ليس فى هذا الشعور أى خبث أو فردية فهو طبيعى وعادى . وذلك لأن عبئك أضخم من عبء الآباء الذين لهم أطفال أسوياء ، أو مصابون

بعاهات خفيفة ، ولذلك فإن شعورك هذا يكون أكثر حدوثاً نسبياً ، وإن أفضل وسيلة لوضع هذه المشاعر فى أقل درجاتها هو أن تحيا أنت حياة مليئة بالنشاط . و بالرغم من أن ذلك يبدو غير معقول فهى طريقة لمساعدة طفلك كى يحيا مثل هذه الحياة فرغماً عن انهماكك فى العناية به من الناحية الجسمية والمجهود الذى تبذله فى تدريبه فإنه يجب عليك أن تظل محتفظاً بقسط طيب من النشاط والهوايات الخارجية ، إذ يجب عليك أن تنمو كإنسان عن طريق الحصول على أفكار جديدة وتكوين صداقات وزيارة المعارض وحضور المقابلات والاجتماعات وبهذه الطريقة فقط يمكنك إزالة شعورك بخيبة الأمل الدائم لكونك لا تستطيع أن تعمل ما تريده ، وأن تنسبه للطفل الذى ترتبط به فالآباء الذين يتألمون دائماً لأن طفلهم « يحد من حديثهم » أو « يقيدهم مالياً » أكثر عرضة للقسوة وعدم الصبر وإجباره على عمل الأشياء بدون اتزان ، مهم لو أنهم رضوا بنوع الحياة التى اختطوها لأنفسهم

ومن أحسن الوسائل للتحرر من الكبت الذى ينتج عن المشكلات داخل منزلك هو تقديم خدمات للغير الذين يشبهون حالتك . فبعض الباحثين الذين قاموا بمجهودات كبيرة فى الشفاء من الأمراض فى الحالات الميئوس منها ، استطاعوا أن يحيوا حياة سعيدة

بسبب طفل عاجز لهم . وتعتبر أم الأصم من أوائل مشجعى الخدمات للصم البكم . وكثير من الآباء الذين وجدوا حلا مرضياً لمشاكلهم العاجلة كقدرتهم على دفع تكاليف العلاج المرتفع الثمن أو تكاليف المدارس الخاصة قد عملوا بدون هوادة لتنمية وخلق الخدمات المحلية للأطفال العجزة أكثر من الآباء الذين هم فى وضع أقل حظاً . وليس عليك حرج إذا شعرت بالراحة الشخصية من حرصك على أن تكرس نفسك لهذه الحالة ، فأنت ملزم بها . فحينما تقوم بخدمة الآخرين تنفيساً عن مشاعرك بالحزن فإنك تجد فى ذلك خير الطرق الصحيحة نفسياً للتعبير عن هذا الأسى . وخير طريق مباشر لمواجهة مشكلتك كوالد لطفل عاجز تقع فى جهتين . الجبهة الأولى طبية فقد اتخذت فى السنوات الأخيرة خطوات واسعة لتخفيف أو إصلاح حالات كانت من قبل تعد ميئوسا منها ، وقد تزايد عدد الأطباء المختصين فى علاج العجز . فإذا سمعت فى وقت ما عن طبيب أو عيادة طبية تتمتع بسمعة طيبة أو شخص أوصت به هيئة معينة فى الميدان فلا ترتكب خطأ التنقل من طبيب إلى آخر لأنك سمعت أنه أتى معجزات بالنسبة لطفل ما . حقيقة يعتبر بعض الأطباء ناجحين فى صورة ما من صور العلاج ، ولكن إذا داومت على طبيب واحد أو مكان واحد حيث تقدم الخدمات الطبية متناسقة فإن طفلك يكون أوفر حظاً فى

المساعدة مما لو انسقت وراء الأقاويل المتناثرة . وإذا اضطررت إلى التغيير فكن واثقاً من أن الأسباب قوية . فالطبيب الإخصائى ،الذى أحرز نجاحاً مع طفل آخر تبدو حالته مشابهة لحالة طفلك ،مع تغير الأسباب كلية ،لا يستطيع أن يقوم بما يقوم به طبيبك الذى عهدت إليه بالحالة . فإذا قرأت فى صحيفة أيضاً عن علاج جديد مدهش فعليك أن تلفت نظر طبيبك إليه ، ولكن لا تفقد الثقة فيه إذا ما رفض أن يستعمله . فقد لا يكون العلاج بالجديد عليه ، لأن التطورات الطبية الحديثة تظهر فى المجلات المهنية قبل أن تصل إلى الجمهور بوقت طويل، فلا شك فى أن لديه من الأدلة فى تقديره على عدم صلاحيتها أو عدم جدواها فى حالة طفلك، وأخيراً وبدون شك يجب تجنب الدجالين الذين يستغلون قلق الوالدين فيعدونهم بمعجزة الشفاء المؤكد .

وباختصار ،إن مسئوليتك الطبية تبدأ وتنتهى بإيجاد المعونة العلمية حيث تضع ثقتك ، وفى تنفيذ أوامرها بأمانة وإخلاص . وأما الجبهة الثانية فإنك تقوم فيها بدور رئيسى . فقد حصلنا الآن على تقدم يذكر فى هذه الناحية ، ويتلخص ذلك فى مساعدة طفلك على الحياة بعجزه ، والعمل على أن يتمتع بأقصى درجات السعادة والنجاح المتيسر له ، وذلك فى نظرة طفلك إلى الأشياء ، وفى طريقة اكتساب خبرات جديدة فى أسلوب معاملته لغيره ، وفى ضبطه لنفسه وتشكيل شخصيته

وتقدير مكانه الحالى والمستقبل فى العالم .

وذوو العاهات الجسمية عادة يكونون أقل ابتئاساً وأقل إحساساً ، وأكثر نجاحاً ، ويكونون كذلك محبوبين عن غيرهم ممن لا يعانون من عجز كبير لا يتعدى بروز الأنف أو تسطح القدمين . وربما كان من المهم فى الواقع أن يقوم الإخصائيون الطبيون بمجهود مستمر لتقديم الراحة والسعاده للشخص العاجز ، حتى لو لم يتمكنوا من عمل شىء بالنسبة للعاهة نفسها . وعليك أنت العبء الأكبر فى تشكيل عواطف الطفل وكيانه فى المجتمع ، واتجاهاته بالنسبة لنفسه ومجتمعه عامة ، وعلاقته بالآخرين ، وكذا حالة عقله وسلوكه . وهنا تكمن قيمتك كشخصية مسئولة فى علاج الطفل . فالطفل يتخذ والده قدوة له ، فإذا اعتبرت عجزه كارثة مدلهمة بحيث تجعل الحياة لا قيمة لها . فإنه سيتبنى وجهة نظرك هذه ، وإذا شعرت بالمرارة للقدر الظالم فسيشعر هو أيضاً بنفس شعورك ، وإذا اعتبرت عجزه هو كل بؤرة الاهتمام فى حياته وحياتك فسيستغلها كوسيلة لاستدرار العطف والاستبداد بك حالياً وبغيرك مستقبلا ، وإذا قارنت تحصيله وتقدمه بالنسبة لغيره من الأطفال فإنك بذلك لا تضاعف حزنك فقط بل تزيد حمله هو أيضاً .

ولكنك إذا وضعت عجزه فى وضعه الصحيح بالنسبة لما لديه فإنه سيفعل مثلك ، وسيتقبل هو أيضاً وضعه بهدوء إذا قبلت وضعه أنت

دون أن تهتز قيمك و إيمانك ، و إذا لم تعتبرها عذراً تركت الحبل له على الغارب وخصصته بالمزايا فسيحدث ذلك له أيضاً، وسيتحرر هو أيضاً من المقارنة التى تسبب له الحزن إذا قارنته أنت بنفسه فقط . و باختصار يمكن القول بأن راحة طفلك وصحته النفسية تـكون من تأثيرك أنت .

و يحتاج الطفل لـكى يبنى أمنه إلى تعاون الوالدين معاً ، فـكل طفل يحتاج إلى أن يكون له أب وأم وأن يحس بشعور الاتحـــاد بين الشخصين اللذين يحبهما أ كثر من غيرهما ، و يحتاج الطفل العاجز إلى ذلك أ كثر مما يحتاج إليه الطفل السوى ، فعندما تـكون الأم وحدها هى المسئولة عن صحة طفل عاجز، فإن الموقف يبدو كئيباً ، فسيفقد الطفل أثر الرجال الذى يعتبر هاماً فى حياة الشخص العادى ، وتضجر الأم وتنهك بالمصاحبة الدائمة لصغيرها غير السوى بسبب عجز جسمى أو عمى أو صمم ، والذى يحتاج إلى الـكثير من الاهتمام . . والوالد بافتقاره إلى المعرفة الحقيقية لحالة طفله لا يمكنه أن يعلم « لماذا لا يستطيع أن يتعامل معه بطريقة أفضل ؟ » خاصة إذا حرم من أشياء تسره أو خدمات بسبب الموقف الـكبير والمجهود الذى يجب على زوجته أن تعطيه للطفل، فهو يتضايق من الضوضاء والفوضى التى يقابلها عندما يرجع إلى منزله متعباً من عمله محتاجاً إلى هدوء وراحة . وتصبح الأسرة بذلك نافذة الصبر دائمة الشجار الذى قد يصل فى بعض الحالات إلى حد الطلاق

ولـكن ، دون شك ، يخف الألم والصعاب التى تحدث من وجود طفل عاجز فى المنزل إلى حد كبير . إذا عمل الوالد فى الوقت الذى يكون فيه بالمنزل على إسعاد ابنه متعاوناً فى ذلك مع والدته ، ولا شك فى أن مثل هذا العمل يعتبر وسيلة ربط بين الوالدين ويجعلهما أكثر قرباً مما لو لم يوجد مثل هذا الألم المشترك .وعلاوة على ذلك فإن آباء الأطفال العاجزين، الذين يقومون بأعمال أكثر من العنايه المألوفة بالأطفال، يفيدون أنفسهم كما يفيدون أبناءهم وزوجاتهم عن طريق المشاركة فى الأعمال العادية اليومية مثل إلباس أطفالهم و إطعامهم وتدريبهم ، وفوق ذلك بمشاركتهم اللعب . فهؤلاء الآباء يمكنهم أن يقدروا ويتمتعوا بالقدرات والصفات الحميدة التى قد تطغى عليها العاهة إذا لم يوجد الاتصال المباشر فى كل صغيرة وكبيرة . . وهكذا ينمو الآباء بطريقة لا يمكن أن تتيسر دون الاشتراك الإيجابى فى العناية بأطفالهم ، فيعرفون الحدود الطبيعية لأبنائهم، ومن ثم يتيسر لهم مجابهة الموقف بطريقة واقعية دون قلق أو آمال لا يمكن تحقيقها ، مما يساعدهم على تقبل الواقع دون غيره . .. إن معركتكما المتحدة لإسعاد طفلكما ليست بالشىء الهين ، إذ أنكما دون شك ، تحت ظروف سيئة إذا قورنتما بآباء الأطفال الأسوياء ، ستجدان نفسكما معطلين بالافتقار إلى بعض التسهيلات له ، كالطبيـة والتربوية ، ومحل الإقامة وخاصة ما تستطيعان تحمله من تـكاليف .

وقد تضطران إلى محاربة قسوة الأطفال والكبار الآخرين وعدم تسامحهم ، وسيكون عليكما دائماً أن تعرفا الفيصل الدقيق بين الأمل الخادع والاستسلام عندما يكون هناك أمل صحيح باق وعليكما أن تواجها الحقيقة من أنكما إذا وهبتما طفلكما الشعور بالأمن والشعور بالنجاح فيما يفعله فسيأخذ الكثير من وقتكما ومالكما ومجهودكما أكثر مما لو كان طبيعياً معافى ولكنكما من ناحية أخرى ستجدان تشجيعاً من صميم القلب من العدد الضخم من الأصدقاء . فمثلا إنكما ستدهشان من العدد الغفير من آباء الأطفال العجزة الآخرين حينما تحاولان أن تنشئا معهم علاقات وفقاً لميلكم المشترك ، وخاصة إذا نظم تنظيما جمعياً ولا شك فى أنكما ستجدان فيهم نوعاً من الراحة الحقيقية والتفاهم المتبادل

وتكون مجموعات الآباء فى بعض نواحى العجز كثيرة وقوية الارتباط ، كما فى الشلل المخى . وفى البعض الآخر تكون قليلة ضعيفة الأثر ، وعندما ينتظم الآباء المشتركون فى المشاكل فى مقابلاتهم تكون للاقتراحات العملية ولطرق العناية والتدريب التى يحصل عليها بعضهم من بعض أكبر الفوائد وأهمها فهم يصبحون أكثر اتصالا « بمن يشبهوننا » الأشخاص الذين يجتمعون فى جماعة P . T . A معظمهم ذوو حيثية والبعض مميز . وفى هذا تأكيد للقليل من آباء العجزة الذين هم دون هذه الاتصالات لا يمكنهم أن يتحرروا من الشعور بالانفرادية

فى الفشل أو العار فهم يكتسبون بصيرة فى مشاكلهم إذا ما وجدوا غيرهم يواجه نفس هذه المشاكل، ومن ثم يتحررون من الشعور بالاضطراب، الذى يحدث عندما تجد أن كل من يحيط بك تقريباً أطفاله أسوياء. فمثلا عندما ترفض المدارس قبول هؤلاء الأطفال العجزة يساعدون على التغلب على هذه المشكلة بالعمل الجمعى لإنشاء المدارس الخاصة. وقد وضحنا توضيحاً كافياً قيمة البناء العملى والنفسى عندما تكون مجموعات الآباء حسنة التنظيم.

وسيكون لك أيضاً أصدقاء من ذوى المكانة العلمية الذين يكرسون خبرتهم وحياتهم لإيجاد أفضل الوسائل لمن هم مثل طفلك حتى يحيوا حياة سعيدة راضية وعندما يعملون جماعة يساهم كل إخصائى سواء أكان رجلا أم سيدة بمهارته الخاصة لحل ناحية من المشكلة، وسنوضح فى الفصول القادمة من هم هؤلاء الإخصائيون وما يقومون به.

فلا شك فى أن اتجاهات الرأى العام إزاء العاجزين من الأفراد قد تغيرت تغيراً كبيراً بفضل أنواع التعليم التى أشرفت عليها الهيئات الحكومية أو المؤسسات الخاصة، وبفضل أنواع الدعاية التى لفتت النظر إلى مشوهى الحرب. فلا شك فى أن رجل الشارع قد أصبح أكثر تسامحاً للفرد «المختلف عنه» كما قلّت «محلقته» له.

أما المدارس فقد أصبحت تعطى إشرافاً ملحوظاً للأطفال العاجزين

كما أصبح لدى أصحاب الأعمال استعداد طيب لاستخدامهم . ولا شك فى أن ثمة قليلا من الحالات التى ينظر فيها إلى هؤلاء العاجزين على أنهم أفراد غير صالحين .

وغنى عن الذكر أن الوالد المتمسك بدينه سيجد فى ربه معيناً كبيراً، وسيكون بحث الأمر مع رجل الدين مساعدة وإلهاما لا حد لهما وكثير من رجال الدين فى هذه الأيام على قسط من الثقافة ييسر لهم مساعدة الرجال أو النساء الذين يعانون من مشكلات كمشكلتك . ولا تقتصر مساعدتهم لهؤلاء على إكسابهم نوعاً من الشجاعة الروحية فحسب ، بل يوجهونهم نحو الإخصائيين من الأفراد الذين يعالجون العجز من النواحى الطبية والنفسية والاجتماعية أما ذوو الإيمان الضعيف فإنه يوجد لديهم نوع من التحدى والأمل فى كونهم آباء أو أمهات لطفل عاجز . . وكل تحسن وكل خطوة تقدم تضيف إليهم معرفة قوية ذات أثر يتميزون بها عن غيرهم من آباء الأطفال السوى النمو فليس أمتع وألذ من الإشباع الذى نجنيه نتيجة الحصول على نصر فى صورة توكيد ويقين بالشفاء لطفل أصيب بعاهة فى مستهل حياته .

الفصل الثاني

إذا كان طفلك مقعداً

يواجهك دائماً دليل عجز طفلك حينما يكون معك . فعلاوة على كونه قعيد الفراش أو يسير على كرسى ذى عجلات ، أو يستخدم عكازات ، أو يرتدى جهازاً صناعياً فى ساقيه ، فإنه لا يستطيع مشاركة الأطفال لعبهم الحر ، ولاشك فى أنك ستعرف مرات كثيرة أنك لم تعد تتحمل التذكر المستمر لما فقده طفلك ، وأن الحزن قد برح بك لدرجة تخاف معها لو تكلمت عنه ألا تستطيع تمالك نفسك .

وما دمنا جميعاً نعطف على ذوى العاهات فإن هذا العطف قد يذهلك إذا ما كان ذو العاهة هو طفلك لدرجة تعميك عن النظر إليه ككل ولا ترى فيه إلا عاهته .

والشفقة على أى حال مهما كانت صادقة وعن طيب قصد غير ذات جدوى سواء للكامل أو المشوه ، المقعد أو السليم . والشفقة عليه تشعره بالنقص، ويؤدى هذا إلى زيادة الشعور بالضعف والاختلاف عن الآخرين ، وهناك أشياء تفضل الشفقة ويمكن أن تمنحها كوالد لطفلك المقعد .

إن الشفقة التى تشعره بالاختلاف تبعده عن إخوانه أكثر مما يبعده عجزه عن الحركة . والطفل يريد أن يشعر بالأمان والثقة فى منزله وبعطف والديه ويتمتع بلذة بلوغ ما هو فى مستطاعه، مثله فى ذلك مثل أى شخص آخر . وكلما استطعت تركيز اهتمامك فى تنمية شخصية طفلك ككل وليس فى عجزه الجسمى ، ازدادت فرصته فى أن يصبح شخصاً متكيفاً متكاملا سعيداً ومنتجاً بالرغم من عاهته .

وليس معنى هذا طبعـــاً أن تتصرف — حتى ولو كان ذلك مستطاعاً — كأن عاهته لا وجود لها أو عديمة الأهمية ، أو أنها ستزول قطعاً ، إذ لا يمكن بناء أساس سليم لحياة صالحة لطفلك إن لم يدرك كلا كما الواقع الذى يعمل فى حدوده . ولن تستطيع وضع أية خطة ، ولن يستطيع هو العمل على أساس واقعى إلا بإدراك الطبيعة الكاملة للعاهة .

وأفضل طريقة لمعرفة الحقائق عن حالة طفلك هو مناقشة الموضوع كاملا مع إخصائى العظام المتخصص فى معالجة العاهات . وهناك من الآباء من يتهرب من المناقشة الثقيلة مع الطبيب خوفاً من سماع أنباء مزعجة ، إلا أنه من المستحسن معرفة الموقف على وجه التحديد بدلا من الاستمرار فى شك وقلق ، إسأل إخصائى العظام كل سؤال يعذبك بخصوص عاهة ابنك مثل « إلى أى درجة سيكون عاجزاً ؟ »

أو « هل من المستطاع حمايته من المرض ؟ » لأن صياغة القلق في كلمات تنطقها تخفف عنك الحزن . وهناك حكمة مدهشة يقولها العامة في الجملة « ينفس عن نفسه » لأن القلق عندما لا يعبر عنه يثقل على الإنسان كالحمل الجسمي سواء ، فإذا حملته فسيثقل على طفلك أيضاً لأنه يكون مثلك متوتراً أو منبسطاً لحالته إلى حد كبير .

وسيكون الطبيب قادراً على أن يذكر لك طبيعة وسبب مرض طفلك الجسمي ، حتى إذا لم يكن في وقتها واثقاً من تحسن طفلك الظاهري ، لأن ذلك ربما يكون قبل أوانه أو لأنه ببساطة لا يجهل ذلك . ومن المهم أن تعلم الحقائق ، وإلا فلن يمكنك أن تتعاون تعاوناً صادقاً رزيناً في العلاج .

وهو مهم أيضاً لكي يمكنك أن ترد بأمانة على أسئلة طفلك . .

ويمكن إصلاح حالات العجز بواسطة إجراء العمليات الجراحية ، ويحتوي بعض العلاج الآخر على إبقاء الطرف المصاب دون حركة وفي وضع معين لإصلاح وضع خاطىء وكذلك تستعمل التدريبات العلاجية كالتدليك والعلاج بالكهرباء والعلاج بالعمل وهو علاج عن طريق النشاط الذي يختار ليسعد المريض ويدرب عضلاته في الوقت نفسه .

ويختلف مدى إمكان التقدم بالحالة — وهو مدى واسع — فبعض العجز يمكن التغلب عليه كلية ، وبعضه يمكن أن يتحسن حتى إذا كان كبيراً ويصل البعض إلى حد فى العلاج لا يمكن بعده أن يتقدم ، والبعض يكون من النوع الذى يلوح من البداية ، وعلى ضوء المعلومات عنه فى ذلك الوقت ، أنه لا يفيده عمل شىء .

وإذا أخبرك إخصائى العظام بأن علم الطب لم يعد له وسائل أخرى لتساعد طفلك على الحركة بطريقة طبيعية فأنت محق فى البحث عن رأى إخصائى آخر . فالأطباء المشهورون لا يجدون حرجاً فى دعوة آخرين مثلهم كمستشارين فى بعض الحالات ، فإذا اتفق مستشار أو اثنان منهم على أن جميع أساليب العلاج قد اتخذت فى ذلك الوقت ، فسيكون من الصعب عليك رغما عن ذلك أن تقبل التشخيص السابق لإخصائى العظام الذى عهدت إليه بطفلك ، وليس عليك إذن أن تحمل طفلك ونفسك على السعى إلى المحال ، ولكن ما دام هناك أمل عندك فاستمر فى العلاج مهما طال .

وإذا حصلت على المساعدة الطبية فى أحسن صورها واتبعت بحذر توصيات الطبيب فليس عليك أن تفقد الأمل لأنه لا يوجد شىء آخر يمكنك عمله ، فعليك أن تعمل بالتعاون مع الطبيب لتحسين صحة طفلك النفسية ، وعلى أن تكون أنت البادئ بالعمل .

فقد يولد العجز الجسمى عجزاً نفسياً . وقد يبقى هذا العجز بعد شفاء العجز الجسمى إذا أغفل أو أسيء التصرف إزاءه فالطفل الذى أصلح له عجزه قد يستمر يشعر ويتصرف كما لو أنه ما زال يعانى منه ولـكن بالحب والفهم تنمحى العاهات النفسية حتى لو بقى العجز ظاهراً

ويحتاج كل الأطفال إلى مساعدة فى تعلم طريقة الحياة والاختلاط مع أقرانهم ، ولـكن طفلك قد يحتاج إلى مساعدة خاصة . فإذا كانت عاهته ظاهرة ، فقد تـكون استجابته لشعوره بأنه غريب فى إحدى صورتين : أولاهما أن يـكون منطوياً على نفسه خجلا يخشى شدة السخرية التى تدعوه إلى أن يتفادى العلاقات مع الغير ويلزم الانطواء على نفسه والاستسلام إلى أحلام اليقظة حيث يجد عالما متسامحا معه ، وأما الصورة الأخرى فهى أن يشعر بالمرارة وأن ينفس عن ألمه وشعوره بالحزن لسلوك غير مرض .

فحتى لو لم نتمكن من تقوية ذراعه المشلولة أو تقويم ظهره المعوج فإنك تستطيع مساعدته على أن يـكتسب تلك الحصون التى منها الاعتماد على النفس والأمن ، والشعور بالثقة فى النفس ، التى تـكون مانعاً ضد الشعور بالفشل لـكونه مختلفا ، فيمكنه بذلك أن ينمو بصحة وسعادة عقلياً وروحياً بالرغم من عجزه الجسمى

حاول باستمرار أن تتجنب إحدى الغلطات الشائعة التى يقع فيها آباء الأطفال العجزة وهى أن تفرط فى العناية به، ففى نزوع مثل هؤلاء الآباء إلى محاولة عمل شىء يعجز عنه أبناؤهم يذهب كثير منهم إلى تدليلهم ومناغاتهم وذلك عن طريق الحيلولة بين الطفل وعمل حركة بنفسه، أو بالتدخل القلق للحيلولة بينه و بين عمل شىء يتصورونه شاقاً عليه. ومثل هؤلاء الآباء يسيئون التصرف بادعائهم الشفقة، فاليقظة التى لا داعى لها لطفلك، والحوم حوله بدون انقطاع، والعناية المستمرة تجعله يشعر بأنه لا قدرة له أكثر مما تتطلبه حالته فعلا ويحتمل ألا يعبر عن شعوره بالحزن لاعتماده على غيره فى عبارات لفظية ولكنه قد ينفس عن هذا الشعور فى أغلب الأحايين بأن يصبح مستبداً إلى حد ما أو حساسا أو سريع الغضب أو منطويا.

فإذا كان من الصعب عليه أن يكون قلقا لإصابته الجسمية فكفاه شعوره بالحرمان نتيجة لعجزه الجسمى. ويجب ألا يزيد الآباء، دون ضرورة تدعو لذلك، هذا الشعور بعدم القدرة على العمل.

هذا هو السبب فى أنك يجب أن تشجع ابنك على أن يفعل كل ما يمكنه عمله لنفسه، فإذا كانت يداه مثلا طبيعيتين ولم تكن ساقاه كذلك فلن يجد لنفسه عذرا فى أن يقوم « بفك وقفل » أزراره أو سكب لبنه كما لو كانت كل أطرافه مصابة. وإذا كانت يداه هما

المصابتين فهو يمكنه المشى ويجب أن يسمح له بالجرى بحرية لا فرق بينه وبين أى طفل فى مثل سنه .

وقد يكون هناك فعلا بعض النشاط الذى يتضمن استعمال العضو المصاب الذى قد تظنه مستحيلا عليه ،ولكن قد يكون مفضلا لتقوية عضلاته . فبدل أن تخطىء بإبقاء الطفل دون حركة . ابذل مجهوداً ههنا لتعرف أى نوع من النشاط يمكنه أداؤه ليشغل به وقت فراغه

احصل على موافقة طبيبك على الرياضة وافحص الإمكانيات المهنية فحينما يكون الطفل منهمكا فى صنع شىء مثل صناعة الخشب أو النسيج فإن سروره ورغبته تمكنانه دائما من الحركة التى يجدها صعبة إلى حد كبير ، أو مؤلمة إذا كانت فقط ضمن وسائل التحسن العادية ، أو عمل التدريبات الرياضية الجافة .

وتعتبر إخصائية العلاج بالعمل — المعترف بها والمدربة على القيام بالاختيار الصحيح للمهن والنشاط للمرضى مع اختلاف حالاتهم، والتى تعمل فقط حسب توصيات الطبيب — شخصاً مناسباً تحصل منه على النصح فهى لديها المعلومات الطبية والتحليلية فضلا عن المعلومات المهنية .

اسأل طبيبك إذا كان يوصى بأن يكون لطفلك علاج عن طريق

العمل ، فإذا وافق ر بما اقترح عليك إخصائى العلاج بالعمل، أو يمكنك أن تكتب إلى الجمعية الأمريكية للعلاج بالعمل The American Occupational Therapy Ass. 33 West 4 and Ct.New York City .

وبالرغم من أن معظم إخصائى العلاج بالعمل يعملون تابعين للمستشفيات أو العيادات فإن القليل منهم يعملون فى عيادات خاصة وقد تكون موفقا فتجد إحداها بجانب منزلك .

ضع حداً أدنى لاتتعداه للحالة التى سيكون عليها طفلك ، حتى إذا كان قعيد الفراش أو يسير بكرسى متحرك ، فيمكنك مثلا أن تجعل ما يرغب فى استعماله قريباً منه كالكوب أو الأقلام حتى لا يلجأ إلى طلب الأشياء البسيطة التى يحتاجها . وإنك بفعل ذلك لا توفر مجهودك فحسب ولكنك تبنى فيه أيضاً الشعور بالاكتفاء الذاتى .

ولنفس السبب أيضاً ساعده ليتعود على عملية ضبط جهازه البولى وباقى العادات الصحية اليومية مثل أى طفل آخر وقد تجد طفلك بسبب ضآلته الجسمية قد أصبح سريع التعب وذلك لأنه لا يستطيع أن يبقى رغبته على شىء واحد لفترة طويلة وتصبح سريع الخوف من عمل شىء جديد ، وقد يميل إلى أن يقف وينتظر أحداً ليقوم بعمل أشياء له . فحول ببطء وتدريجياً اعتماده على الغير إلى الاعتماد على نفسه

بالوسائل التى ذكرناها سابقاً بيد أنه قد لا يستجيب للعملية لأن سروره المتجدد بأدائه بعض الأعمال لنفسه سوف يجعل كل صبرك ومجهودك ذا فائدة . وحيث أن الاعتماد على النفس يتطلب أن يفكر الفرد فى نفسه فأعطه جميع الفرص ليقرر وحده ؛ فكثير من آباء العجزة تتعدى تصرفاتهم من « اتركنى أعمل ذلك لك » إلى « اتركنى أنظم ذلك لك » وهم بذلك يسيئون دائماً إلى ابتكار صغيرهم . مثلك فى ذلك مثل ماتسلكه إزاء طفلتك الصغيرة ، إذ يجب أن يسمح لها باختيار ما ترتديه من ملابس ، ومثل سماحك لابنك بأن يختار البرنامج الإذاعى الذى يطرب له . أما إذا كانت المشكلة على درجة كبيرة من الأهمية بحيث لا يمكنه البت فيها بنفسه مثل ترك عكازيه أو استعمالهما، فحاول أن تجد معه الرأى الصحيح لا أن تجده له .

فكل طفل له وجهة نظره الخاصة به . وهو يحتاج لأن يشعر بأن أفكاره محترمة ، خاصة الطفل الذى لا يستطيع أن يكسب مكانته بمهارة جسمية . فبذل المجهودات الخاصة لمعرفة أسباب رغبة الطفل العاجز فى عمل هذا أو ذاك هى إحدى الوسائل لإعادة الثقة إليه .. وقد لا توافق على أنهم عقلاء دائماً فى الأوقات التى قد نضطر فيها إلى أن نمنعه من عمل شىء يعتقده هو أفكاراً مدهشة .

امنحه إلى حد ما الرضا بذكر مايريده . وإذا كانت أمامه عوائق

جسمية فإن من الواجب أن يشعر بتحرره العقلى أكثر من الطفل العادى .

وقد يحتاج أكثر من باقى الأطفال أيضاً إلى الحصول على الرضى من استعمال عقله ، خاصة إذا كان من النوع المميز والذى غالباً ما يكون فى الشخص العاجز أكثر من غيره . استثره عقلياً عن طريق إمداده بالكتب وغيرها من المواد وبالمناقشات المشتركة وبالإجابات المفكرة عن سئلته فى شتى الموضوعات .

وبالإضافة إلى توجيه تفكير طفلك وأعماله إلى نفسه اجعله يفعل قدر استطاعته أشياء للغير ، فإن إعفاءه من المشاركة فى الأعباء المنزلية بسبب سوء حظه يزيد من شعوره بسوء الحظ لأنه قد حرم من المتعة التى نشعر بها جميعاً لكوننا نافعين ومرغوبين . وواضح أن الطفل المصاب بانحناء فى العمود الفقرى أو المصاب فى أحد أطرافه لن يعهد إليه بقطع الحشائش من الخميلة التى أمام المنزل ولكن هناك كثيراً من الأعمال التى يستطيع أن يؤديها جيداً كتلميع الأدوات الفضية على سبيل المثال .

أما إذا كان عجزه كبيراً فقد يعهد إليه ببعض الأعمال البسيطة كتقشير الفاصوليا أو إعداد بطاقات عيد الميلاد ، فإذا بدأت تفكر فى الأعمال التى يمكن أن يؤديها الطفل القعيد الفراش بدلا من أن تفكر

فيما لا يمكنه عمله ، أمكنك أن تجد عدداً من الأعمال فوق تصورك يمكنك عن طريقها أن تعطيه شعوراً نفسياً زاهياً بأنه مفيد ومرغوب فيه.

وإذا لم يحى طفلك حياة سعيدة فقد ينفس عن عدم رضاه بسلوك عكسي كأن يكون قلقاً أو حساساً ولكن اللعب هو أحسن الوسائل الصحية ذات الأثر للتحرر من شعور الحزن عند الأطفال واللعب لا تقل أهميته لطفلك عن أى طفل آخر . فهو يساعده على التعلم ويقلل توتره وينمى تصوره الذى يفيد الطفل المقيد فى النشاط البدنى .

وكثير من أنواع اللعب متعذرة عليه لذلك كان من الأهمية بمكان أن تيسر له أنواعاً أخرى كثيرة قدر استطاعتك فشجعه مثلا على الابتكار فى عمله ، فمن الرسم بالزيت أو النقش بالأقلام الرصاص التى يقوم بها الطفل الصغير إلى بناء هيا كل الطيارات التى يقوم بها البالغ كما يجب تنمية أية هواية خاصة تجدها لدى طفلك . فبالرغم من كونه عاجزاً عن التعبير عن ذاته بدنياً فسيكون له مجال للتعبير بالموسيقى وكتابة القصص وعمل النماذج وجمع طوابع البريد وما شابه ذلك .

حاول أن تمده بأدوات اللعب التى لا تجعله سلبياً للغاية . فقعيدو الفراش الصغار خاصة يميلون إلى الجلوس طويلا أمام المذياع ساعة تلو أخرى . ولهذا النوع من التسلية أحياناً بديل حيث يمكن لطفلك أن

يكون له فيها نصيب إيجابى؛ فمثلا قد يعمل فى مسرح للعرائس أو يعزف على آلة موسيقية حاول أيضاً أن تجذبه من اللعب الذى يكون دائماً انفرادياً ، وقد لا يسهل عليك أن تفعل ذلك إذا شعرت أنه يتألم من مصاحبة من فى مثل سنه من زملائه فى اللعب ، لأنه حتما سيقارن نفسه بهم أو قد يكون هناك احتمال قسوتهم عليه .

حقيقة قد تحدث له بعض الأضرار العاطفية من باقى الأطفال كأن يسموه « الأعرج » أو قد يسخرون منه بسبب « بطء الحركة » عامل ذلك كما يجب أن تعالج المشاكل الأخرى ، بالمشاركة الوجدانية ولكن دون جلبة وما دام ابنك لا يمكنه أن يعيش حياته كلها ناسكا ، فعليك أن تشجع ميوله الاجتماعية إلى أقصى حد ولا تقف دونها ، ذلك لأن أى حرج يعانيه سيؤثر عليه تأثيراً معيناً فى تعلمه الحياة الاجتماعية ، وسيؤثر عليه بالتالى فى مستقبل أيامه ، كما يحول هذا الحرج بينه و بين تذوقه لذة تكوين الأصدقاء فقد يحال بين الطفل العاجز و بين بعض أساليب النشاط الجماعى كالرقص أو ألعاب القوى ولكنه قد يتمتع ببعضه الآخر كأى فرد مثل المحاضرات ونوادى الكتب وألعاب الورق وغيرها .

وقد يتردد بعض الآباء فى إرسال طفلهم المقعد إلى المدرسة لأنهم يأبون أن يضعوه فى موقف قد يكون صعباً عليه لما قد يترتب عليه من

آثار نتيجة اتصاله بغيره من الأطفال . بيد أن ذلك لا ينبغى أن يكون العامل المسيطر الوحيد ، لأن فائدة العمل المدرسى بين الأطفال الآخرين فى مثل سنه مهمة كالتعلم عن طريق الكتب فإذا تيسر له الحصول على هذه الفوائد فالواجب أن ينالها

وانتظام الطفل فى المدرسة يتوقف على مجموعة من العوامل فضلا عن الموافقة الطبية ، وأحد هذه العوامل هو يسر وسائل الانتقال ، والآخر هو طبيعة التسهيلات بالمدرسة الموجودة فى المنطقة ومداها . فالكثير من المدارس يتضمن فصولا خاصة أو مدارس للأطفال المقعدين و بعضها لا يتضمن ذلك . فإذا كان طفلك غير قادر على الذهاب إلى المدرسة ابحث مع المسئولين بها ما إذا كان متيسراً تقديم الخدمات عن طريق معلمة منزلية وبما أن قدومه وذهابه فى أحسن صورها محدود ، فابذل جهداً خاصاً لكى تضم طفلك إلى الرحلات العائلية ، والاحتفالات وفى ذلك أهمية لتؤكد له بأنه مثل باقى الأسرة بقدر ما تستطيع . وقد سبق أن ذكرنا قيمة المشاركة فى الأعباء المنزلية لإعطاء الطفل الشعور بالقدرة على الأداء . وهو أيضاً مهم فى تقوية الإحساس بحب إخوته وأخواته

و إذا كان طفلك العاجز هو الشخص الذى يتوقع من غيره من الأطفال العناية به ، فسيؤدى ذلك إلى شعوره بأنه مختلف عنهم . وقد

يبدو من القسوة أن نعتبره مسئولا عن الوصول إلى مستوى أقرانه فى مشاركتهم فيما يملك ، ولكن رغماً عن ذلك فإن من صالحه أن نتخذ مثل هذا الاتجاه ،ولا شك فى أن هذا الاتجاه خير من الاتجاه المدلل الذى يعنى بتململه وإعطائه الفرصة لكى يكون أنانياً وأن يحصل على وسائل ترويح طفل آخر عاجز لا ينبغى له أن ينالها .

كما أنه إذا أرغم إخوته وأخواته على التضحية من أجله باستمرار فغالباً ما ينمو لديهم شعور بالاستياء منه وقد يستمر طول الحياة . فإذا جاء الوقت الذى يحتاج فيه إلى عونهم للعناية به . فإن فرص قيامهم بمسئوليتهم عن طيب خاطر سوف تكون أفضل كثيراً إذا شبوا وهم يحبونه كواحد منهم أكثر مما لو كان يمثل لهم الشخص الذى يقف دائماً فى طريقهم

وقيامك من ناحيتك بمجهود معتدل يمكن طفلك من أن يصبح غير أنانى وأن يكون عضواً مساهماً فى مجتمعه . وكلما زادت مقدرته على المساهمة فى أعمال المجموعة قل شعوره بأنه « مختلف ولا يشبه أحداً » فقد لا يستطيع أن يقوم بجمع الجرائد القديمة مع زملاء فصله ولكنه قد يتمكن من المساعدة على حزمها مثلا . وبالرغم من احتمال عدم قدرته على أن يكون له دور فى مسرحية لصالح مكتبة المدرسة فقد يتمكن مثلا من مسك حساباتها .

فيطبق كل ما تقدم ذكره على كل من الأطفال الذين ولدوا عجزة والآخرون الذين أصيبوا بحوادث أو أمراض سببت عجزهم مثل شلل الأطفال . و بالإضافة إلى ذلك عليك أن تجد الحل المناسب لكل مشكلة تخلق نتيجة كل موقف من هذه المواقف إذا أردت أن يتمتع طفلك بمستوى طيب من صحته النفسية . فإذا كان عجز طفلك خلقياً فقد جنب الشعور بالحرمان الذى يعانيه زميله العاجز الذى سبق له ممارسة النشاط الجماعى الحر الطليق ، ولكنه من ناحية أخرى يعانى من مشكلة مزدوجة . فبجانب كونه عاجزاً جسمياً فإنه يفقد جزءاً كبيراً من تكوينه الانفعالى نتيجةلعدم حصوله على إشباع بقيامه ببعض الأعمال،التى يسرت لغيره من الأطفال الخالين من العجز الخلقى كالطفل السليم اليدين حينما يتعلم ربط حذائه أو تزرير جاكته ، وكالطفل سليم الساقين حينما ينجح فى القفز من على ارتفاع ما . وعلينا أن نساعد الطفل العاجز على أن يجد نشاطا بديلا حتى تتيسر له الميول والهوايات والجزاء الحسن لما فقده نتيجة ضيق آفاقه .

وعندما يفقد الطفل قدرته على الحركة بطريقة طبيعية بعد أن كان عاديا فى طفولته، فإن المشكلة التى تواجهه جد مختلفة . فسيكون له المقدرة على أداء أعماله السابقة لأنه يكون قد عرف الحرية فى الحركة ويكون قد تعلم كيف يقوم بقضاء حاجاته الشخصية الكثيرة

ولكنه سيكون عليه تحويل بعض الأهداف عن طريق وسائل جديدة تماماً . ويحسن لطفلك الذى كان لاعباً قديراً فى لعبة البيسبول مثلا أن يتعلم ليصبح قانعاً بأن يكون حكما . وإذا تعذر ذلك ، فعليه أن يحول هوايته إلى ألعاب أخرى كالداما أو الشطرنج ، تلك الألعاب التى يلعبها الشخص وهو جالس .

وتكمن مساعدتك له فى هذه الحالة فى أن توضح له أن ثمة أبطالا فى كثير من المجالات .

وقد يصبح سلوك طفلك مشكلة بعد إصابته بالعجز ،وهو إزاء ذلك يحتاج إلى صبر وتفهم ؛فكل طفل «شخصى» يختلف عن غيره من الأطفال ، وأى نوع من ميول طفلك السابقه قد تزداد فى الظهور، فإذا كان على سبيل المثال قد دأب على تحدى غيره فلن لا يكون راضياً عن مجهودك لعمل أى شىء له ، وسوف يقاوم الأعمال الجديدة والهوايات ، والمعاملة الجديدة أيضاً . وإن أفضل وسيلة تتعامل بها مع هذه الاستجابات هو أن تصمم بهدوء على دعوتك إلى الشىء الذى تظنه فى صالحه وأن تذكر له دائماً سبب الأعمال الجديدة التى تحاولها معه .

وحذار أن تستغل الطبيب أو أى عضو فى المجموعة التى تقوم

بعلاجه مثل إخصائى التدريبات العلاجية كوسيلة لتهديده ، كأن تقول له « إذا لم تؤد تدريباتك سوف أجعل الطبيب يجبرك على أدائها » لأن هذا وحده يزيد من صعوبة مهمة الإصلاح على الإخصائى ويزيد حالة طفلك العاطفية سوءا .

وإن من أصعب المواقف التى يمكن للوالدين أن يواجهاها قبول الحقيقة التى هى احتمال استمرار عجز الطفل . وسيساعدك الطبيب على تبليغ طفلك أية معلومات حول مستقبله ، ولكن قبل حدوث هذا يجب أن تتأكد من ضبط عواطفك وأن تتمكن من التحدث عن الحالة بدون بكاء وأن تستطيع أن تعرف أنه ما زال فى الحياة هوايات ووسائل للراحة بالرغم من أن النشاط البدنى قد حدد كله أو بعضه .

وقد تحتاج لبعض المساعدة فى ضبط عواطفك ، ويمكن لطبيب نفسى أو إخصائى اجتماعى مدرب على العمل مع قوم لهم ذات مشاكلك أن يساعدك وقد تعتمد تصرفات طفلك الحاضرة ونجاحه فى المستقبل على التصرف الذى اتبعته أنت معه خلال الفترة التى كشف فيها أنه قد يكون مقعداً طول الحياة . ولا يحتمل أن يشعر بالمرارة ما لم تشعر أنت بها ،فإذا لم تتصرف بغضب ولم تشعره بأنك ضحية فلن تكون لديه الفرصة لكى يتصرف بالمثل ، وذلك بمرورك على حقائق الموقف دون أن تعبأ بها ،وعليك أن توضح له الميول والفرص التى ما زالت مفتوحة أمامه

واجعله دائماً يشعر بثقتك فى مستقبله ، ولا تتوقع منه بمرور الوقت أن يـكون شجاعا على الدوام . عاونه فى الفترات التى يشعر فيها بالضعف وإذا كان لابد أن تبكى عند بكائه فانتظر حتى تبتعد عنه .

وإن العلاج من شلل الأطفال وحالات العجز الأخرى قد يطول لسنوات ، فبنمو الطفل قد تجرى له عملية جراحية أكثر من مرة . وقد تطول فترات التمريض فى المستشفيات وفترات النقاهة المنزلية . وفى مثل هذه الحالات تجد المتاعب العاطفية من ترك المنزل المفاجىء للعلاج والنقاهة . وستجد ذلك مفصلا فى الفصل التاسع عن الحمى الروماتزمية أو المرض الطويل .

وعندما يـكون طفلك تحت العلاج من أحـد أمراض العظام فإنك ستجد أن مما يعينه على البقاء مرحا أن تشرح له الدور الذى يقـوم به مختلف الأفراد لمصلحته .

أخبره بصراحة أن تقدمه قد يـكون بطيئاً ولـكن الفت انتباهه لما حدث من تقدم والأمل فى تقدم أكبر .

أنت مضطر لتسأل نفسك « كيف سيؤثر عجز طفلى على حياته » ولـكن بالطبع سوف لا يتمكن أحد من أن يعطيك إجابة قاطعة ولـكن يجب أن تتأكد مما يلى :

طالما أن اتجاهك ازاءه اتجاه كلى وطالما أنك تعود طفلك الاعتماد على نفسه وطالما أنك مدرك أن ثمة مناطق فى العقل وفى النفس يمكنه كشفها دون حاجة إلى أن يحرك قدميه ، إذا أدركت هذا كله فإن عجزه لن يحطم سعادته ، فقد ينظر إلى فقده القدرة على الحركة بحرية كخسارة جسيمة مثل ما يحدث فى مؤسسة تجارية . فقد تحدث خسارة فى هذه المؤسسة ولكن توجد بعض الودائع — وتستمر المؤسسة فى سيرها نحو الأمام بنوع من البطء والعجز ولكنها لاتفلس .

وطفلك رغم قعوده لا تزال لديه بعض القدرات ، ويستطيع أن يتكيف لعجزه إذا منحته الحب والمساعدة والتشجيع — وهكذا يستطيع أن يجعل من حياته شيئاً مربحاً .

الفصل الثالث

إذا كان طفلك مصابا بشلل مخى

قد لا يؤثر الشلل المخى إلا فى جزء من الجسم فقط ، كالساق مثلا ، وربما كان خفيفاً هيناً فلا يظهر له من الأعراض إلا شىء من التثاقل . أما إذا كان طفلك مصاباً بالمرض فى شكله القاسى الأكثر انتشاراً ، والذى يعم الجسم كله ، فإن سبب تخلفه يكون فى هذه الحال شاملا ودائماً .

ومن أقصى المصائب وأشدها إيلاماً للنفس أن الشلل المخى العام لا يؤدى إلى الشذوذ فى مكان واحد دون غيره ، ولا بطريقة واحدة لا أكثر ، بل إنه يشمل كثيراً من الأمكنة ويسلك كثيراً من الطرق. وهذه الحال نفسها مستعصيه على الشفاء ، فلا توجد حتى الآن وسيلة لإعادة الجزء المصاب من الجهاز العصبى إلى ما كان عليه ، وجعل حركات الطفل المصاب بالمشلل المخى الشديد سوية وكلامه عادياً .

ولكنك منذ عشر سنين لا أكثر كنت تجد من أسباب الألم واليأس من هذه الحال ما لا تجده منها اليوم . فقد كنت وقتئذ

لا تكاد تستطيع أن تفعل شيئاً من الناحية الطبية لمساعدة طفلك . ذلك أن طبيعة المرض نفسها لم يكن يعرف عنها إلا القليل لهذا فإن هذا الوضع السيء كان يزداد سوءاً بسبب ما يحيط به من الغموض والرعب . أضف إلى هذا أن الناس بوجه عام كانوا يفترضون إلى عهد قريب أن الأطفال المصابين بالشلل المخى ضعاف العقول ضعفاً لا حيلة لأحد فيه ، ومن ثم فإنه لا فائدة كبيرة ترجى من محاولة تعليمهم ، بل كان من الشائع أن يخبأ أمثال أولئك الصغار بعيدين عن أنظار الأهل والأصدقاء والجيران . فكان أمثال طفلك المصاب بهذا الداء فى الماضى غير البعيد يتجنبون و يوصمون وصمة الذل والهوان ، ولا يصل إليهم الأطباء أو المعلمون ، يقضون طفولتهم فى بؤس وشقاء و يواجهون مستقبلا مفعما باليأس والقنوط .

أما اليوم فقد تبدلت هذه الصورة . ذلك أن طبيعة الشلل المخى قد فهمت على حقيقتها ، وابتكرت الوسائل التى يستطاع بها تعليم الأطفال المصابين بهذا الداء كيف يصلحون من مشيهم وحديثهم ، واستعمال أيديهم ، وقد قدرت نسبة ذوى العقلية السوية أو المتفوقة بين المصابين بالشلل المخى بأكثر من ثلثيهم ، وأخذت النظرة الاجتماعية الزرية التى كان ينظر بها إلى الشلل المخى تتناقص تناقصاً مطرداً كلما زاد

الناس إدراكا لحقيقة هذا الداء ، وكثر عدد هؤلاء المدركين الذين لا يرون فيه إلا أنه مرض من أمراض الجهاز العصبى ، وأنه ليس أكثر « شذوذاً » أو « غرابة » من مرض الجهاز الهضمى مثلا .

ولنتحدث الآن عن هذا المرض فنقول إنه قد يحدث فى بعض الأحيان و بطريقة ماأن يصاب جزء من مخ طفلك المسيطر على الطريق الذى تسلكه الأعصاب إلى العضلات .

وتكون النتيجة فى هذه الحال أشبه بما يحدث لجهاز التليفون الذى يضطرب التناسق بين جزئه المرسل وجزئه المستقبل لأن الأسلاك التى تربطهما لا تقوم بعملها . وربما كان هذا الضرر قد حدث قبل ولادة الطفل نتيجة نمو خاطىء فى مخ الجنين ،وربما حدث وقت مولد الطفل نتيجة خطأ فى إحدى العمليات الآلية أو الكيميائية الكثيرة المعقدة ، وربما كان قد نشأ عقب مرض أو إصابة بعد مولد الطفل بأسابيع أو شهور أو سنين ، والذى لا شك فيه أن الطفل لم يرث المرض لأن الشلل المخى لا ينتقل من الآباء للأبناء .

وقد يحدث أن يكون التلف الذى يصيب المخ شاملا بحيث تتأثر به أجزاء من المخ عند الجزء الذى يرسل التنبيهات العصبية إلى العضلات فقد تبين أن ثلاثين فى المائة من المصابين بالشلل المخى

من ضعاف العقول ، وهؤلاء مصابون بتلف فى أجزاء المخ التى تقوم بعملية التفكير . أما السبعون فى المائة الآخرون من المصابين بهذا الداء فإن الجزء المفكر فى المخ فيهم سليم .

ويوجد من السبعين فى المائة الباقية من هم من بين ذوى الذكاء الأقل من المتوسط ومتوسطى الذكاء كما يوجد من بينهم الممتازون فيه ، بل ويوجد من بينهم قلة من العباقرة وهذا التوزيع يشبه ما يوجد عند سائر الناس من أصحاب السيطرة السوية على عضلاتهم

وإذن ففى حالتين من ثلاث حالات يكون طفلك ممن تشملهم نسبة السبعين فى المائة ، ويكون عقله يؤدى عمله من وراء ما يلاحظ عليه من تجهم ، ومن ركات لا هدف لها ، ومن حديث غليظ ، ومن لعاب يسيل ، وليست هذه كلها أدلة على عجزه عن التفكير بل هى شواهد على عجزه عن تحكمه فى عضلاته . ومثله فى هذا كمثل رجل دفن تحت أنقاض منجم بعد انهياره ، وفرقة الإنقاذ التى تجىء إليه لتنجيه مما هو فيه مثلها كمثلك أنت والخبراء الذين يعالجون المصابين بالشلل المخى — تعترضهم العقبات الجسيمة ليكشفوا عن عقليته وينتشلوها من تحت الأنقاض إلى وضح النهار .

أما إذا كان طفلك من بين العدد القليل من المصابين بالشلل

المخى العاجزين عقلياً وجسمياً فإنه فى هذه الحالة ينطبق عليه ما سنقوله فى الفصل السابع من هذا الكتاب المعنون « إذا كان طفلك متخلفاً » . ولكن حذار أن تسرف فى يقينك أنه عاجز الذكاء أو ناقصه إلا إذا كان لدى الإخصائى النفسى الذى يفحصه من الكفاية والدراية ما يستطيع بهما تطبيق الاختبارات على الأطفال ذوى العجز العضلى . ذلك أن الأطفال الذين يعانون المتاعب من عضلاتهم قد يجتازون الاختبارات الموضوعة للأطفال الأسوياء جميعاً . وليس ثمة أسهل من أن يخطىء المرء فيظن أن الشلل المخى نقص فى القدرة العقلية ، لأن للحالين بعض المظاهر المشتركة بينهما كالعجز عن المشى أو الكلام فى السن المعتادة .

كذلك يجب ألا يخفى عليك فى وقت من الأوقات أن الطفل المصاب بشلل مخى مهما بدت عليه مخايل النجابة لا بد أن يكون تعلمه بطيئاً ، مثال ذلك أن الأطفال الصغار يعرفون الشىء الكثير بكشف الأشياء بأنفسهم ، فهم يزحفون ويلمسون ، أما الطفل المصاب بالشلل المخى فيحال بينه وبين الانتقال من مكان إلى مكان ، وإذا حاول أن يقبض على شىء ، فإن أصابعه الصغيرة ربما امتدت إلى غير الاتجاه المقصود .

كذلك لا بد من تعليم طفلك المصاب كثيراً من الأشياء التى

يقوم بها الأطفال من تلقاء أنفسهم في أثناء نموهم ، كوضع إحدى القدمين قبل الأخرى فى المشى أو الانتقال ، ولذلك يجب عليك ألا تبخل ببذل جهودك فى هذا السبيل ما دام فى مقدورك أن تتبين فى الطفل بريقاً من التفكير السليم مهما صغر ؛ شأنك فى هـذا شأن فرقة الإنقاذ ، فهى لا تستسلم إلى اليأس ما دامت تستمع إلى صوت مهما كان خافتاً من إنسان حى بين من يترصدهم الموت ؛ وحتى إذا بدا لك فى فترة من الوقت — بعد أن لاحظت وجود أعراض الشلل — أن ليس ثمة دليل على الذكاء فلا تيأس وتظن أن هذا الذكاء معدوم ، وقصارى القول إن من واجبك أن تفسر الشك فى أن طفلك سوى لمصلحته ولا تحكم عليه بأنه معدوم الذكاء ، وسر فى طريقك معه مفترضاً أن الجزء المفكر من مخه غير مصاب ، إلا إذا أكد لك خبير مختص فى هذا الميدان بعد فحص دقيق خاص أنه ليس مصاباً بالشلل المخى فحسب ، بل إنه أيضاً ضعيف العقل ضعفاً لا شك فيه .

وثمة شيء آخر تحتاج فيه إلى معونة الخبير الإخصائى هو تحديد أى نوع من الشلل المخى هو المصاب به طفلك ذلك أن أنواع الشلل المخى مختلفة وكثيراً ما يختلط بعضها ببعض ، مما قد يترتب عليه ظهور أعراض مشتركة لأنواع مختلفة من هذا المرض وإن كان لواحدة من هذه الخصائص السيادة على غيرها ، ولهذا يجب عليك أن تطلب إلى

الطبيب أن يحدد لك أى نوع من الشلل هذا الذى يشكو منه طفلك ، وهذه المعرفة من الأهمية بمكان ، لأن لكل نوع من الشلل المخى مشاكله الخاصة من الناحيتين الفسيولوجية والنفسية .

ففى حالة الإصابة بمرض القفاع[1] تتحرك الأصابع حركة غير اختيارية ويقوم الطفل بحركات عشوائية لا هدف لها لا يستطيع توجيهها أو السيطرة عليها ، كما لا يستطيع الشخص السوى أن يسيطر على ضربات قلبه أو خلجات جفونه وقد يكون من بين النتائج التى يستتبعها هذا الداء تأثر الوجه وحده أو الأطراف وحدها أو هذا وتلك معاً بتقلصات الوجه وما يعانيه الطفل من صعوبة الكلام والمشى غير السوى وقد يصحب مرض القفاع أحياناً نقص فى السمع ، ويظهر هذا النقص فى رتبة الصوت « أى فى قوة نبره » أكثر مما يظهر فى ارتفاعه فإذا عجز الطفل المصاب عن سماع بعض الأصوات ، فقد يصاب بالعجز عن الكلام وإن كانت عضلات النطق عنده تؤدى عملها على خير وجه وقد يعجز الطفل المصاب بالقفاع عن فهم معنى

---

(١) Athetosis « لسان العرب » ويسمى أيضاً برقص الشق والكناع وهو مرض من خواصه حركات مستمرة فى أصابع اليدين والقدمين يحدث غالبا فى الأطفال وسببه الأصلى آفة مخية ويسمى أيضاً Post Hemiplegic choree

ما يقال له ، أو ينطق ألفاظه بغير الطريقة التى ينطق بها سائر الناس . لهذا السبب عينه ، وهو عجزه عن سماع بعض الأصوات . و إذا أجاب المصابون بالقفاع إجابات غير مفهومة عما يوجه إليهم من أسئلة ، فإن بعض الآباء يفترضون أن أولئك الأطفال أغبياء أو أنهم يتعمدون إغاظتهم ، ولـكن الحقيقة أن ثمة سبباً جثمانياً لا نفسياً أو انفعالياً لهذه الإجابات الفاسدة المعنى .

ومن الأخطاء الأخرى التى يرتـكبها كثير من الآباء ممن لهم أطفال مصابون بالقفاع أن يأمروا هؤلاء الأطفال قائلين لهم « لا تحركوا أيديكم أو وجوهكم أو أقدامكم » . وما يترتب من أثر على هذه المحاولة التى يبذلها الطفل لتنفيذ هذه الأوامر هو أن تزيد الحركات اللاإرادية سوءاً على سوء . لأن الجهد الشعورى الذى تبذله للسيطرة على العضلات يزيد الضغط على الأعصاب التى تنشأ عنها هذه الحركات ، و بذلك يقوى التنبيه الذى ينتقل إلى هذه العضلات .

والتشنج نوع من الشلل المخى ويصحبه تصلب فى العضلات وتـكون فيه الحركة ويـكون النطق بطيئين مجهدين ، ولـكنه يختلف عن مرض القفاع فى أن الشخص المصاب به قد يستطيع أن يتحرك بدرجة من الدقة لا بأس بها ، و إذا ما جلس الطفل هادئاً ساكناً مسترخياً إلى حد ما فقد تختفى حالة التشنج اختفاء مؤقتاً ، وثمة مرض

آخر هو Ataxia «أى تخبط الحركة» أو عدم توازنها لا يصحبه ما يصحب القفاع من حركات غير إرادية ولا ما يصحب التشنج من صعوبة الحركة. و إنما يعانى المصاب « بتخبط الحركة » من عجزه عن حفظ توازنه ومن أنه كثيراً ما يصاب بالدوا . وقد يعجز عن السيطرة على عينيه أو على عضلات لسانه وقد لا يستطيع الجلوس منتصباً أو استخدام ساقيه بدقة فى أثناء المشى .

وكثيراً ما يكون التصلب متقطعاً ، ويظهر فى العادة حين يحاول الطفل أن يتحرك حركات اختيارية نتيجة لنوع من المقاومة كذلك الذى نجده حينما نحاول ثنى أنبوبة من الرصاص .

والرعشة أو الاهتزاز هى تحرك العضلات حركات منتظمة غير إرادية . ويتبين من هذا بوضوح أن ما تشترك فيه جميع نماذج الشلل المخى هو نوع من الخلل فى العضلات ، وأياً كان هذا النموذج المرضى المصاب به طفلك فإنك تحرص على أن تجد علاجاً له وتتوق إلى الوصول إلى هذا العلاج . وقد تعثر على مركز من المراكز أو على شخص من الأشخاص يعدك بأن يشفيه من مرضه ، ويحسن حاله بوساطة نوع واحد من العلاج يفعل به المعجزات . ولكن هذا فى حد ذاته دليل قاطع على الدجل .

أما الذى يقوله لك أى إنسان ذى شأن فى هذا الميدان فهو أن

الشلل المخى يؤدى إلى نتائج متعددة واسعة الانتشار ، وأن هذه النتائج قد تشمل المشى والـكلام واللفظ والسمع وهو لهذا يحتاج إلى طائفة متعاونة من الإخصائيين وإلى جهود متنوعة فى اتجاهات كثيرة كى تـكون نافعة بحق وتستخدم الجراحة لتقويم ما قد يصحب الشلل المخى من تشويه فى العظام والعضلات ، ولـكنها لا تستطيع إزالة السبب الرئيسى للمرض ، ولا ينفك المختصون يبحثون عن ضروب من العلاج جديدة ولـكنهم لا يكادون حتى الآن يتعدون مرحلة التجريب . وأسلم طريقة يتوصل بها إلى علاج الشلل المخى فى الوقت الحاضر هى تدريب الطفل على استخدام عضلاته تدريباً شاملا .

وقد يبدو هـــــذا القول ضرباً من الخيال المستحيل التنفيذ لأن اتصالات الأعصاب بالعضلات لا تؤدى عملها أداء صحيحا ولـكن عليك أن تتذكر أن جسم الإنسان كائن حى ذو قدرة كبيرة على التكيف، فقد حبته الطبيعة بأكثر مما نحتاجه للقيام بعملنا ، مثال ذلك أننا نستخدم كليتين ، ولـكن إذا كان لابد من إزالة إحداهما بعملية جراحية فإن فى مقدورنا أن نظل أحياء ، وفى الجهاز العصبى كذلك أعصاب احتياطية ، فإذا كانت الاتصالات المباشرة بين مخ طفلك وعضلاته مختلفة مضطربة ، فقد تقوم بالعمل اتصالات أخرى غـير مباشرة . ولنعد مرة أخرى إلى مثل جهاز التليفون . فنقول إن النداء

المباشر يأتى عادة على خط مباشر ، ولكن إذا سقط سلك من الأسلاك أو تلف خط رئيسى من الخطوط ، فإن من المستطاع فى كثير من الأحيان إرسال رسالة بطريق ملتف غير مباشر .

وكما أن إصلاح جهاز تليفونى تالف يتطلب مهارة فنية ، كذلك يحتاج تعليم الطفل المصاب بشلل مخى إلى إرسال تنبيهاته العصبية عن طرق بديلة غير الطرق العادية ، وإلى مهارة فنية أيضاً وهذه المهارة تنقصك أيها الأب العادى . كذلك لا يوجد فى هذه الناحية شخص بمفرده أوتى كل القدرات الفنية التى يستطيع بها أن يقدم للطفل المصاب بالشلل المخى جميع ما يحتاجه من علاج وتدريب ، بل لا بد من وجود عدد كبير من الإخصائيين يبذلون جهودا متناسقة بتوجيه طبى قدير . يعملون جميعاً مع من يقوم بالعلاج عملا تدريجياً طويل الأمد ليساعدوه على الوصول إلى النقطة التى يبدأ منها الطفل نموه الطبيعى السوى .

ويستطيع فريق الإخصائيين أن يؤدوا هذا العمل ، ولكنهم لا يؤدونه عن طريق تعليمات وأوامر معينة تحدد أية طائفة من الأعصاب غير المباشرة يجب على الطفل أن يستخدمها — لأن هذا فى الواقع مستحيل لا جدوى منه — وبتدريب الطفل على استخدام تلك الأعصاب ، وبإثارة اهتمامه ، ورغباته واختلاطه مع غيره وتعاونه ،

سيضطر فى بادىء الأمر إلى بذل جهود أكثر من التى يحتاج إلى بذلها إنسان تسير تنبيهاته العصبية فى المسالك المعتادة ، ولكن هذا العمل يزداد سهولة بعد كل تكرار لحركة ما حتى يصبح فى آخر الأمر عادياً مألوفاً .

ولم يكن هذا العمل الجماعى الذى يقوم به الخبراء موجوداً منذ جيل واحد من الزمان ، وحتى ذوو الثراء أنفسهم لم يكن فى وسعهم أن يحصلوا على المعونة التى يريدونها لأطفالهم المصابين بالشلل المخى ؛ فقد كانت هذه المعونة غير متيسرة حتى إذا أدوا ثمنها .

أما الآن فإن ثمة عدداً متزايداً من المدارس يستطيع الآباء أن يرسلوا إليها أبناءهم المصابين بشلل مخى دون أن يؤدوا فى نظير ذلك إلا القليل من الأجر أو من غير أجر على الإطلاق وفيها يتلقى أولئك الأطفال منهاجاً موحداً من العلاج الفسيولوجى والعلاج المهنى والتدريب على الكلام ، والتعليم العادى ، واللعب الجماعى ، ومن هذه المدارس ما هو متصل بنظم التعليم العامة ومنها ما تمده بالمال الهيئات الاجتماعية أو النوادى ، ومنها مدارس كان السبب فى إنشائها مطالب الجماعات من آباء الأطفال المصابين بالشلل المخى ، وفى وسعك أن تجد من بين الهيئات القائمة فى الدولة والمختصة بعلاج الأطفال المقعدين ، وهى متصلة فى العادة بوزارة الصحة العمومية أو وزارة التربية والتعليم

— نقول إن فى وسعك أن تجد من بينها ما يحتاج إليه طفلك وأين يـكون مقره .

وقد قدر عدد المصابين بعاهات جسمية خطيرة يحتاجون معها إلى عناية دائمة فى معهد خاص ، قدر عدد هؤلاء فى ولاية نيو يورك وحدها بخمسة عشر فى المائة من بين الأطفال المصابين بشلل مخى عادى . وخليق بنا أن نقول بهذه المناسبة إن إرسال الطفل خارج المنزل من أصعب القرارات التى يتخذها الآباء ، وإن بين حالات أولئك الأطفال فروقاً كبيرة لا يستطيع معها الإنسان أن يقول وهو آمن من الزلل إن مايتخذه من قرار فى هذا الموضوع « صواب » أو « خطأ »

غير أننا نستطيع أن نقول بوجه عام إنه إذا كان الطفل مصاباً بعجز عقلى شـــديد بالإضافة إلى الشلل المخى ، وخاصة إذا كان فى الأسرة أبناء غيره ، فإن من الخير فى أغلب الظن أن يعنى به فى أحد المعاهد المختصة .

فإذا كان الطفل سوياً من الناحية العقلية ، وكان ثمة أمل فى تحسين حالته الجسمية ، وجب عليك أن تعنى بالنظر فى جميع العوامل المحيطة به ، وأقوى الحجج التى يعترض بها على إخراج الطفل من البيت ما يفقده من دلائل الحب التى يشاهدها يوماً بعد يوم والتى لايستطيع أن يجدها إلا عند أبويه . ويقابل هذا فى الـكفة الأخرى

الاعتبارات الآتية : إن هذا الشخص يجد فى المكان الذى يتولى أمره جميع العناية به، وعلاجه ، وتدريبه خبراء متخصصين فى معرفة حاجاته ومشاكله ، وتركز فيه هذه العناية وذلك العلاج والتدريب وتستمر أربعاً وعشرين ساعة فى كل يوم ، نقول إن هذا الشخص يجد فى هذا المكان من العون أكثر مما يجده إذا كان مقيما فى بيته حيث لا يستطع إيجاد طائفة من الأخصائيين ، أو وضع منهج تراعى فيه مصلحته دون غيرها . يضاف إلى هذا أن الطفل ، إذا كان مقيما إقامة داخلية فى مدرسة خاصة أو معهد خاص بالأطفال المصابين بشلل مخى ، ينجو من آثار الإجهاد ، والإخفاق والشعور بالنقص ، وهى الآثار التى تنتج من اضطراره إلى منافسة غيره من الأطفال العاديين ، ذلك أنه يجد فيمن حوله من الصغار صعاباً شبيهة بما يجده فى نفسه .

فعليك إذن أن تستشير الطبيب هل تخرج طفلك من البيت أو لا تخرجه منه، دون أن تتأثر بعواطفك أو بالشعور الخاطىء بأنك تتهرب بذلك مما عليك نحو طفلك من تبعات . وأهم من هذا كله يجب عليك ألا تتأثر بما يراودك من أفكار عما « يقول الناس » عنك ، بل إن الشىء الوحيد الذى يجب أن يبنى عليه قرارك هو « ما هو خير ، ما يجب أن يعمل لصالح الطفل وصالح الأسرة جميعها ، أى شىء يتيح له أحسن الفرص كى يفيد من نفسه أعظم فائدة » قد يكون الجواب

هو إبقاؤه معك فى المنزل وقد يكون عدم إبقائه .

ويجدر بك قبل أن تلحق طفلك فى مدرسة أو معهد من النوع السالف الذكر أن تبحث بنفسك هذا المعهد أو هذه المدرسة ، وذلك لسببين . أولهما أن الآباء الذين يعيش أبناؤهم بعيدين عن منازلهم كثيراً ما يصورون لأنفسهم ما قد يفعله الأبناء فى بيئتهم الجديدة خلال ساعات النهار المختلفة ، وإذا ما رسم الأب فى ذهنه صورة صحيحة لمكان نوم جميل ، أو مطعم حسن التنسيق أو حجرة للدرس حسنة ، وهيئة التدريس شفيقة رحيمة تؤدى عملها على خير وجه ، إذا ما فعل هذا كان أكثر أطمئناناً منه عما إذا لم يكن يعرف شيئاً عن المكان الذى أرسل إليه طفله أو عن الأشخاص الذين وكل أمره إليهم، أما السبب الثانى فهو أنك زرت مدرسة داخلية صالحة يقيم فيها المصابون بشلل مخى فستطيع فى عقلك صورة طيبة لمن يقيم فيها من الأطفال المرحين واسعى الآمال .

وإذا ما انتابك القلق وشغلت بالك بالتفكير فى أنك ستضع طفلك حيث يعنى به وهو بعيد عنك أربعا وعشرين ساعة فى اليوم فاحذر من أن يتسرب شىء من هذه الريب والشكوك والمخاوف إلى الطفل نفسه . وأهم من هذا كله أنه لا يصح لك بحال من الأحوال أن تتخذ المدرسة الداخلية أو المعهد وسيلة لتهديد الطفل .

نقول هذا لأن بعض الآباء يبلغ بهم الحمق حداً يقولون معه مثلا «إذا لم تحل تمار ينك فسنرسلك إلى مكان يرغمونك فيه على حلها» بل يجب عليك أن تفهم طفلك أن السبب الوحيد والذى لا سبب غيره الذى من أجلها سيعيش بعيدا عنك هو اعتقادك بأن فى ذلك نفعاً له

ويجب أن يظل هذا موقفك منه طوال مدة إقامته فى المدرسة أو المعهد ، وتتعاون مع أولى الأمر فى المدرسة أتم معاونة . وقد يحدث أن يستجلب الأب رضا طفله بالتسامح معه فى مخالفة قوانين المدرسة وقواعدها ، أو بالوقوف منه موقف الإنسان الرحيم الكريم الذى يعمل من أجله مالا يعمله له ممرضاته ومعلموه . وذلك خطأ بلا ريب والواجب عليك لخير طفلك وصلاح حاله أن تشعره أن الأشخاص الذين يعنون به ويعلمونه يعرفون ما فيه الخير له فواجبك إذن وواجبه هو أن تفعلا ما يأمرون به . أما الآباء الذين لا يتعاونون مع القائمين بالعمل فى المدرسة الداخلية للمصابين بالشلل المخى ، فقد يفسدون ما يسعى هؤلاء لأدائه من خير لأولئك الأطفال .

وإذا ما ألحقت طفلك بمدرسة داخلية ، فإنك تخطىء إذا أخرجته منها قبل أن يحصل على جميع ماتستطيع أن تقدم له من منافع . وعليك فى هذه الحال أن تسترشد بنصيحة الطبيب والقائمين بالأمر فى المدرسة

لتعرف كم من الزمن يجب أن يبقى طفلك فيها سواء كان ذلك بضعة أشهر أو عدة سنين ، والذى يجب أن يحدد مدة إقامته فى المدرسة و بعده عنك هو احتمال تحسنه لا رغبتك فى أن يقيم معك .

واتصال الطفل ببيته عظيم الأهمية حين يكون الطفل بعيداً عن أسرته ، لهذا يجب عليك أن تكتب كثيراً فيما يسره و يهمه ، كأحدث الأخطاء التى ارتكبها جروه ، والطفل الصغير الجديد الذى رزقته الأسرة المجاورة لبيته . ومن الواجب أن يلم إلماماً تاماً سريعاً بكل ما يحدث فى محيط الأسرة من تغيير سواء كان ذلك خطبة أخته الكبرى أو تحويل الحجرة التى عند مدخل الطابق الأول إلى حجرة للراحة والتسلية . فإذا فعلت هذا فإنه لن يضطر إلى أن يكيف نفسه عند عودته إلى ما يواجهه من مفاجآت ، و يستطيع أن يبدأ حياته من حيث تركها عند الذهاب إلى المدرسة أو نحو ذلك . ومن واجب الأب فوق ذلك أن يزور طفله كلما سمحت بذلك قواعد المدرسة.

وأياً كان المكان الذى يلقى فيه طفلك معونة الخبراء ، يجب أن تبقى أنت العامل الأساسى فى حياته . نعم إن خير الآباء هم الذين يجب عليهم أن يساعدوه على أن ينمو و يرقى إلى أقصى حد تتيحه له قدراته الجسمية والعقلية وذلك لما يمتازون به من مهارات فنية . ولكن كل ما يستطيعون فعله هو أن يضعوا الأساس لنوع آخر من النمو

لا يقل شأناً عما يفعله له الخبراء المختصون — وهذا الأساس يعتمد أكثر ما يعتمد عليك أنت وعلى موقفك من طفلك ، وأنت الذى يعتمد عليك آخر الأمر فيما يتاح له من الشجاعة أو الإرادة التى تمكنه من الانتفاع بما تعلمه . وقصارى القول إن الآباء يؤثرون فى الطريقة التى يكيف بها الأبناء أنفسهم وحياتهم أكثر مما يؤثر فى ذلك الخبراء الذين يتصلون بهم خارج منازلهم .

وأنت وحدك ـ بوصفك والده ـ الذى يستطيع أن يهبه ذلك الشعور بالأمن الذى يحتاج إليه جميع الأطفال ، والذى يحتاج إليه أكثر من سواهم المصابون منهم بالشلل المخى . وعليك أن تضع نفسك موضع طفلك ، فإن فعلت فسيدرك فى وقت جد مبكر أن غيره من الأطفال يفعلون ما لا يستطيع هو أن يفعله . وأنه يعجز على الدوام عن القيام بكل ما يحاوله تقريباً سواء كان ذلك هو التعبير عما يريده بالألفاظ أو الانتقال من مكان إلى مكان أو إمساك الأشياء . فهو حين يحاول ذلك يهتز ويعجز ، ويتطلب المعونة والثبات وأعظم ما يستطاع تقديمه له من عون أن يعرف أنه محبوب وأن أسرته فى حاجة إليه .

وهو أيضا فى حاجة إلى التشجيع ، شأنه فى ذلك شأن كل طفل يحبو ويتعثر ويقع فى المراحل الأولى من تعلم المشى . لكن الطفل المصاب بشلل مخى قد يقع على الأرض كثيراً ، وكلما زاد ما يلاقيه من متاعب اشتدت حاجته إلى أن يقال له إنه يتقدم تقدما يبعث على الرضا والارتياح .

وينطبق هذا نفسه على عنصر الخوف ، وإن كان فى هذه الحالة أشد وأقوى . فالطفل المصاب بالشلل المخى لديه من الأسباب ما يشعره بالخوف أكثر من الطفل السوى؛ فإذا حدث حريق مثلا لم يستطع أن يهرب منه بنفس السهولة التى يهرب بها الطفل الذى يسيطر على ساقيه سيطرة كاملة . وقد يتصور أن الظلام ملىء بكل أنواع الرعب ، وأن له فى ذلك ما يبرر مخاوفه ، ذلك أننا نستطيع أن نطلب إلى الطفل المريض ما نطلبه من السليم من التذرع بالشجاعة والجرأة ، ولكننا إذا قلنا للطفل المصاب بشلل مخى « كن ولداً كبيراً » أو « لا تكن أحمق » فإننا فى هذه الحال قد نعدو طورنا .

وليس استخدام ضوء دائم فى أثناء الليل فى متناول اليد ، وطمأنة الطفل وتهدئته وإظهار الحب له والعطف عليه ، ليس هذا كله بالشىء الكثير لتعويضه عما يشعر به من الخوف الذى ينشأ من عجزه عن

السيطرة على عضلاته وقد يخطىء الأب فيسرف فى ملاطفة طفله وتدليله ، ولكن حقائق الموقف يجب أن تحذوه من أن يخطىء فى الناحية الأخرى فيسرف فى الغلظة والاشتداد على طفله .

وكل ماهو ضار من الناحية العاطفية بالكثرة الغالبة من الأطفال يتضاعف الحذر منه مع المصابين بالشلل المخى . وانسجام البيت وحسن إدارته وتنظيمه من أهم العوامل فى تربية الصغار ، لأن الاضطراب يزيد من صعابهم الجسمية . ولا تكذب على طفلك كذبا يضعف من جهده ، لأن الطبيعة قد تكفلت من قبل بإضعاف هذا الجهد ، فلا تقل له مثلا إنه « لن يتألم » عندما تذهب به إلى الطبيب أو إلى جراح الأسنان إذا كنت تعلم أنه سيتألم بالفعل ، لأن خيبة أمله حين يجد أنك قد كذبت عليه قد تجعله أقل ثقة بنفسه و بالأشياء بوجه عام

و إن الخداع من أشق الأمور على الطفل السوى ، ولكن هذا الطفل تتاح له على الأقل فرصة طيبة تمكنه من أن يلقى عن عاتقه ما لهذا الخداع من آثار تسبب له الاضطراب . وأما الطفل المصاب بالشلل المخى فإنه يجد نفسه من الناحية العاطفية متعبا فى عالم تعترضه فيه العقبات الجسمية ، ولهذا يألم أشد الألم من كل شىء يضعف شعوره بالثقة بنفسه وهو الشعور الذى كان من قبل ضعيفا .

ويثبط همته أكثر من هذا أن تعطيه لُعباً يصعب عليه اللعب بها . فالقطع المتفرقة التي يطلب إليه تركيبها وجمعها ، والأشغال اليدوية التي نراها في رياض الأطفال والتي تحتاج إلى دقة في الحركات ، والدمى الكثيرة التعقيد في إلباسها وخلع ملابسها عنها قد تقوى شعور الطفل بعجزه . ولهذا يجب عليك حين تختار اللعب لطفلك أن تسترشد بقدرته وبنصيحة الخبراء ، لا بما تقوله لك بائعة اللعب إنه مناسب للطفل في سن الثالثة أو السادسة أو التاسعة والهدايا التي يقدمها الأجداد وغيرهم من الأقارب المحبين للطفل مشكلة من أكبر المشكلات ، فإذا لم تكن ثمة طريقة لبقة لإبعاد هـــذه الهدايا عن طفلك ، فإن ايذاء شعور المهدى يكون في هذه الحال خيراً من تعريض طفلك لشيء لا يستطيع النجاح في اللعب به .

وليس من الخير في شيء أن تعجل بتدريب أي طفل على الأكل وعلى إفراغ أمعائه ،فتطلب إليه من هذا وذاك أكثر مما تطيقه مراحل نموه ، ويزداد الحذر من هذا الاستعجال في حالة الطفل المصاب بشلل مخي ، وليس الذي يجب أن يحدد ما ينتظر من الطفل في هذه الحال هو سنه المحسوب بالأيام والسنين ، بل هو حال عضلاته . وأنت في حاجة إلى الصبر الطويل الذي قد يدوم عدة شهور أو عدة سنين بعد أن تشعر بأن من واجب طفلك أن يصبح نظيفاً ، أو أن يشرب بنفسه من

كوب ، وعليك أن تدرب نفسك على هذا الصبر الطويل حتى يستطيع طفلك أن يتعود الطمأنينة والارتياح ، وحتى ينمو فيه ، ببطء ، الشعور بالقدرة على العمل والثقة بالنفس ، وهى الصفات التى لا بد منها لتقدمه وتحسن أحواله .

والحق أن الصبر هو العامل الأساسى ، وهو الفضيلة التى لا بد منها لآباء المصابين بشلل مخى . . وأنت فى حاجه إليه حينما يتسكع طفلك ويتحسس طريقه إلى النشاط السوى ، كما تحتاج إليه لكى ترتضى تقدمه الذى هو بطبيعته جد بطىء وتدريجى . وأنت فى حاجة إليه حين يبدو لك أن فى نموه وتقدمه خطأ يحيرك ولا تستطيع فهمه .

مثال ذلك أنه قد يبدى ملاحظات تدل على النباهة ثم تجده فى سن السادسة لا يزال يسيل لعابه من فمه . ولا غنى لك عن هذا الصبر حين يبدو لك أنه قد تغلب على ما يعترضه من الصعاب فى القيام بطائفة ما من الحركات ، كصعود الدرج أو تنظيف أسنانه بالفرشاة ، تراه مع ذلك يعجز عن القيام بطائفة أخرى من الحركات الشبيهة بها فى الظاهر ، كالهبوط على الدرج أو استعمال فرشاة الرسم

وإنك لتجد بعض العون فى هذا إذا تذكرت أن حركتين تظنهما تستخدمان طائفة واحدة من العضلات قد تستخدمان فى واقع

الأمر عضلات تختلف فى كل منهما عن الأخرى أتم الاختلاف .

والأطفال جميعاً يسببون المتاعب للكبار حين يتسببون فى كسر أشياء من متاع البيت ،وهو ما يفعله الأطفال كلهم ، وطفلك المصاب بشلل مخى يسبب لك متاعب أكثر من غيره لأنه عرضة لأن يتسبب فى وقوع حوادث . ولهذا يجب أن تعنى بالتفرقة بين ما يحدث لمتاعك من أضرار لا لوم عليه فى وقوعها ، و بين ما يسببه عمداً وخبثاً ، وعالج كل نوع منهما بما يستحق . فإذا انكسر شىء بسبب عجز طفلك عن السيطرة على عضلاته وجب ألا تؤنبه على هذا العمل ، أما إذا كان ذلك نتيجة لسوء تصرفه فإن عليك فى هذه الحال أن تحمله تبعة ما فعل ، شأنه فى هذا شأن أى طفل سواه .

ذلك أنه فى حاجة إلى أن يتعلم ، كما يتعلم كل طفل ، كيف يعيش فى عالم يجب على الإنسان فيه أن يحترم ملك غيره من الناس وشعورهم ، ولذلك لابد للطفل من أن يدرب على الحياة مع غيره من الناس كما لو كانت أعصابه وعضلاته كأعصاب الطفل السوى وعضلاته .

وقد يحدث أن تؤدى شفقتك عليه وإسرافك فى عنايتك به إلى إفساده ، وإلى ترك حبله على غاربه ، وإلى التغاضى عما قد يكون

فى سلوكه من أنانية وخبث، ولو كانا فى غيره من الأطفال العاديين لما تغاضيت عنهما ولكنك إذا خضعت لهذا الميل الطبيعى فإن كل ما تعمله هو أن تضيف إلى ما يعانيه من نقص نقائص أخرى ، هى سوء الخلق والفظاظة ، والنزوات الشاذة المتقلبة ، والأنانية ، وعدم التبصر أما إذا أعنته على أن ينمى فى نفسه الميول الطيبة ، والتفكير فى غيره من الناس ، فإنك ستقوى فيه صفات اجتماعية تكون عوناً له طول حياته .

وليس التأديب إذا فهمت منه الضرب بالعصا أو سواها بذى فائدة للطفل سواء كان متخلفا أو غير متخلف ، أما إذا فهمت منه تدريب الطفل على أن يتخلق بأخلاق من نوع معين تجعل حياته مع غيره من الناس سارة ممتعة ، فإنه فى هذه الحالة لا غنى عنه لطفلك ولغيره من الأطفال . ومن واجب الطفل أن يتعلم أن إرادته لا بد أن تخضع فى بعض الأحيان لإرادة إنسان سواه ، وليس من القسوة فى شىء أن تعوده مقاييس من الطاعة والإيثار ، بل إن هذا هو الشفقة بعينها . والأطفال يرغبون من صميم قلوبهم أن يكون آباؤهم حكماء ذوى سلطان ونفوذ ، فإذا كنت عادلاً غير متناقض مع نفسك فيما تطلبه إلى طفلك من مسلك طيب ، فإنك فى هذه الحالة تبعث فيه شعوراً بالأمن والطمأنينة أكثر مما تبعثه فيه منهما إذا اتخذت من

عجزه حجة لترك حبله على غاربه والسير فى طريقه غير المنظم .

وإذا كان فى الأسرة أبناء غير الطفل المتخلف فإن من الواجب بنوع خاص ألا تكون حال الطفل الجسمية سبباً فى أن تخصه بامتيازات لا شأن لها فى الحقيقة بهذه العاهة ، كالسماح له بالسهر أكثر من غيره أو زيادة نصيبه من الحلوى أو أخذه إلى أماكن لا يؤخذ إليها سائر أطفال الأسرة . كذلك يجب ألا يعفى من جميع الواجبات التى تتطلبها حياة الأسرة أو من الإسهام بأى نصيب فى هذه الحياة . بيد أن مايقوم به فى هذه الحالة يجب أن يوائم حالته الجسمية . فإذا كان مصاباً بتقلصات فى اليد مثلا كان من غير المعقول أن يطلب إليه بجفيف أقداح الشاى التى تتكسر إذا سقطت على الأرض ، لكنه يسره أن يجفف ملاعق المطبخ وشوكه وسكاكينه ، لأنها إذا سقطت منه على الأرض فلن يصيبها أى ضرر . وإذا كان قدوم الوالد يعنى أن يهرع الأطفال إلى إحضار خفه وقصبة تدخينه ، فلتترك قصبة التدخين التى تنكسر إلى غيره من الأطفال وليعهد بإحضار الخفين إلى الطفل المصاب بالشلل المخى ، ولنحرص فى هذه الحالة على ألا يسرع غيره من الأطفال ليسبقوه . وتشجيع الطفل على الاشتراك فى هذه الأعمال المنزلية التدبيرية

يهدف إلى ثلاثة أغراض : أولها : أن ما يفعله غيره من الأطفال يقلل الفروق التى بينهم و بينه . ثم إنه فى الوقت نفسه تأديب طيب له . وثالث هذه الأغراض :أنه يمنح الطفل المصاب بالشلل المخى ما هو فى أشد الحاجة إليه ألا وهو الشعور بأنه ذو نفع وأنه إنسان ذو كفايات .

و يجب أن يجند كل فرد فى الأسرة وكل فرد يأتى إلى البيت ، سواء كان موظفاً مأجوراً أو زائراً ، ليشترك فى هذا المشروع الصالح ، مشروع مساعدة طفلك على إصلاح شأنه وعلى الوالد أن يشرح صعاب الطفل وأسبابها ، وحاجته إلى المعونة والتشجيع ، والآمال التى تراوده فى تحسنه — عليه أن يشرح هذا كله لكل إنسان يتصل به اتصالا منظما أو عارضاً — على ألا يكون ذلك بطبيعة الحال على مسمع من الطفل نفسه .

وعلى الإخوة والأخوات أن يشجعوا على إزجاء الثناء الخاص للطفل المصاب بشلل مخى كلما استطاع أن يقوم بعمل من الأعمال مهما كان صغيراً . و إذا كان لهم نصيب فى تكوين هذا الطفل ، فأكبر الظن أنهم لن يجدوا فى أنفسهم غضاضة إذا لقى هذا الطفل عناية أكثر مما يلقون هم لأنهم سيشتركون فيما يفخر به الوالد و يفخر به الطفل المصاب نفسه من تقدم .

ومهما يبلغ الوضع الذى تستطيع أن توجده فى منزلك من مثالية عليا ، فلا يزال أمامك مشكلة أخرى هى مشكلة من هم فى خارجه من حيث علاقتهم بطفلك .

ذلك أن أولئك الناس لا يزالون يحدقون بأبصارهم أكثر مما يجب فى الطفل المصاب بالشلل المخى ، وإن كان هذا التحديق فيه قد قل قلة ملحوظة بعد أن ازداد الناس علماً بأحواله ، ولعلك تحتار فلا تدرى ماذا تفعل مع أولئك الذين يسببون للطفل كثيراً من الأذى بجهلهم وعدم تفكيرهم . وإذا ما وصل طفلك إلى السن الذى يستطيع فيها أن يدرك معنى ما تلقيه عليه من تفسير ، فإن فى وسعك أن تقول له إن الذين ينظرون إليه نظرة التشوق والاستطلاع ينقصهم الحنان ، بل كل ما فى الأمر أنهم لا يفهمون السبب فى مشيه بالطريقة التى يمشى بها .

وإذا شئت أن تقلل من تحديق الناس فيه إلى أقصى حد فقد يكون من الحكمة ألا تلبسه ثياباً تستلفت الأنظار ، أو تعطيه إذا خرجت به من المنزل لعبا تستلفت الأنظار كذلك .

لكن عليك ألا تجعل أى إحساس بمواقف غيرك من الناس نحو طفلك ينزع بك إلى إبقائه منعزلا عن غيره ، ولا يصح لك أن تفكر

فى استخدام مدرس خاص به فى منزله إلا إذا كان قدبلغ من العجز درجة تحول بينه و بين الذهاب إلى المدرسة . و ذلك أنه فى حاجة إلى الاتصال بغيره من الأطفال والاجتماع بهم .

وقد يحقره بعض الصغار و يتجنبو نه ، وقد يعجز عن أن يحيا الحياة الاجتماعية العادية لمن كان فى سنه من الأطفال و بخاصة فى فترة المراهقة ، و إذا كانت العاهة الناشئة من الشلل المخى واضحة تستلفت النظر فإن تبين الشخصية التى تنزع هذه العاهة إلى إخفائها وطمس معالمها يتطلب كثيراً من الحصافة . ولكن من حسن الحظ أن كثيرين من الأطفال من الكبار يتمتعون بهذه الحصافة والحق أن الأطفال لا يشمئزون بفطرتهم من ذوى العاهات ، فإذا ما ابتعدوا عنهم كان معنى هذا الابتعاد أنهم يتأثرون بما يفعله آباؤهم ، لكنك ترى بعض مدرسى طفلك ، و بعض الصغار من أبناء جيرانك يظهرون كثيراً من الحنو و الاهتمام به ، وعليك أنت أن تنمى هذا الحنو وذلك الاهتمام ، ورحب بهؤلاء وأولئك فى منزلك ولو لم يكن آباء الأطفال من جيرانك فى مستواك الاجتماعى ، ذلك أن طفلك بنوع خاص فى حاجة إلى الأصدقاء ، ولهذا فإن من واجبك أن تشجعه جهد استطاعتك ، وأن تتيح له كل الفرص لأن يكون له أولئك الأصدقاء

ماذا يخبئه المستقبل لطفلك ؟ إنك لا تستطيع أن تجيب عن هذا السؤال إلا إذا اتصلت بالطبيب الذى يعالجه ، وحتى هذا الطبيب نفسه قد لا يستطيع أن يتنبأ لك عن هذا المستقبل بنبوءه صادقة محددة . ذلك أن ثمة تفاوتاً كبيراً فيما يصيبه الطفل المصاب بالشلل المخى من تحسن فى الكلام والحركات ؛ وأنت لا يسعك بطبيعة الحال إلا أن ترجو أن يقترب طفلك يوما بعد يوم من الحال السوية فى استخدام عضلاته ، ولكن كلما قل تفكيرك وأملك فى بلوغه هذه الحال السوية ، وازدادت قدرتك على قبول الحال التى عليها طفلك — أى الحال التى ينبئك بها الطبيب — كان فى ذلك الخير كل الخير لك وله .

ولست بحاجة إلى أن تحدد تفاؤلك على هذا النحو من الناحية العاطفية بمقدار ما سيناله طفلك من السعادة فى مستقبله . بل إن عليك ألا تنسى مطلقاً أنه حتى لو بقى طفلك عاجزاً عن أن ينطق بكلمة واضحة أو يتحرك حركة ذات هدف ، فإن وراء عجزه الطاغى عليه شخصاً له ما لغيره من الأشخاص ما يحب وما يكره ، وما يريده وما يشبع رغباته . وقد يكون له ما لغيره من الصغار من الأمزجة المختلفة ، وقد يكون مصوغا مثلهم من نفس المادة البشرية السهلة التشكيل وقد يكون من المستطاع إسعاده أو إشقاؤه .

وقد يألف الحال التى هو عليها أو يقبلها قبولا حسناً بعقل صحيح سليم ، و يسير فى الحياة بالرغم من أسباب عجزه وكم من الكبار المصابين بشلل مخى من هم سعــداء موفقون ناجحون ، بل إن من الإخصائيين فى شلل الأطفال المعروفين فى بلادنا من هو مصاب بهذا المرض ، ومن ضحاياه رجال ونساء متزوجون متمتعون بما فى إقامة الأسر من متعة وبهجة ، ولهذا فإن عليك أن تعامل طفلك على أنه إنسان أوتى ما للانسان من إمكانيات كثيرة ، واعلم أن الفرصة متاحة له لكى تتحقق هذه الإمكانيات إلى حد كبير .

الفصل الرابع

إذا كان طفلك مصاباً بالصرع

لقد أخذ الضوء يزداد انتشاراً على أسباب التشنجات وعلاجها بعد أن مضى أكثر من ألفى عام كان خلالها ضباب كثيف من الرعب واليأس ينتشر حول الصرع فيخفى أسبابه ووسائل علاجه .

ولم يعد آباء الأطفال الذين يصابون بالصرع يواجهون فى قنوط ويأس مستقبلا مظلماً لأبنائهم لا يلوح لهم فيه إلا العزلة الاجتماعية والتعاسة الشخصية والفردية التى تدوم مدى الحياة . ذلك أن طبيعة النوبات التشنجية قد فهمت الآن وأصبح من المستطاع علاج معظمها علاجاً يجتثها من أصولها أو يقللها ويخفف آثارها .

ولا حاجة بنا إلى القول بأنك تتألم أشد الألم إذا رأيت طفلك تنتابه إحدى نوبات الصرع ، وأنك تشعر بالحيرة الشديدة حين تشاهد حركات جسمه التى تبدو لك مجردة من المعنى ، وأنك يستولى عليك اليأس حين تبصره قد فقد وعيه ، ولكننا لا نجد فى أغلب الظن حالة أخرى غير الصرع تزداد فيها الحقائق الواقعة سوءاً على سوئها بسبب

الأخيلة الرهيبة التى لا تزال باقية منذ العهود القديمة ، ذلك أن عقيدة العصور الوسطى التى تقول بأن المصابين بالصرع بهم مس من الشيطان لا تزال باقية دون وعى و إدراك فى تفكير الناس الذين بلغوا من الاستنارة درجة لا يقبلون معها هذه الفكرة بمعناها الحرفى و إن الفكرة الخاطئة التى تقول إن الصرع مرتبط ارتباطاً مشئوما بالانحلال ، والجنون ، وضعف العقل ، والإجرام والمسكنة و بكل ما يشين الإنسان من قريب أو بعيد — إن الفكرة التى تقول بهذا تكافح للبقاء ولا تموت إلا موتا صعبا بطيئاً . يضاف إلى هذا الاعتقاد الخاطىء الذى لا أساس له والقائل بأن نوبات الصرع هى على الدوام شاهد على أن المصاب ينتمى إلى أصول « ملوثة » . إن هذا الاعتقاد يصحبه شعور بالعار و بالإجرام . وآخر هذه الآلام أن الخوف من أن التشنجات المتكررة ستؤدى لا محاله إلى تدهور العقل أو إلى « شخصية مصروعة » إن هذا الخوف ستثيره الأعراض الظاهرة و يقلبها إلى شىء رهيب مجهول أسوأ كثيراً من كل ما يعترضك يوما بعد يوم فى تجاربك مع طفلك .

فإذا شئت أن تحتفظ باتزانك العاطفى ، وأن تساعد طفلك على أن يحيا حياة سوية سعيدة بقدر ما يستطيع رغم عجزه ، فإن أول ما يجب

عليك أن تفعله هو أن تفرق فى الاضطرابات التشنجية بين ماهو معقول وما هو هراء وسخف .

وأوضح الحقائق الواضحة المعروفة عن هذه الاضطرابات فى هذه الأيام أنها أعراض لشذوذ فى تناسق التيارات الكهربائية الصادرة من المخ

وكما أن الفواق يحدث إذا ما تدخل شىء فى الحركة المنظمة المتناسقة للجهاز التنفسى ، كذلك يحدث شىء من التعثر فى الإدراك ، أو شىء من التقلص إذا ما تذبذب اتزان الجهاز العصبى بطريقة ما . وتختلف أشكال النوبات اختلافا لا تكاد تحصى أنواعه بين المصروعين كما تختلف أنواعه أيضاً فى الشخص الواحد . كذلك تختلف الظروف التى تنشأ عنها أعراض النوبات اختلافا كبيراً فى شدتها ، فقد تكون ورما فى المخ أو جرحا شديداً فى الرأس ، وقد تكون أذى يبلغ من الصغر درجة لا يمكن معها الكشف عنه بالطرق المعروفة فى هذه الأيام .

ومعنى هذا بعبارة أخرى أن النوبات ليست إلا شواهد على وجود اضطراب فسيولوجى من نوع ما ، شأنها فى ذلك شأن الحمى أو القىء أو غيرهما من الأعراض الناشئة من مختلف الأسباب والتى لا يصحبها شىء من العار أو التقزز . و إنك لتجد اليوم خير الأطباء لا يتحدثون

عن الصرع على أنه مرض مستقل بذاته ، بل يتحدثون عن نوبات صرع أو اضطرابات تشنجية أو عدم تناسق فى المخ أو نحو ذلك .

ولسنا ننكر أن الضرر أو المرض الذى يسبب اضطرابا فى المخ يؤثر أيضاً فى بعض الأحيان فى الجزء المفكر من المخ ، وينشأ من ذلك ضعف فى العقل كما تنشأ عنه نوبات الصرع . ولكن نسبة العاجزين عجزا عقليا راضحا من المصابين بالصرع لا تزيد على عشرة فى المائة ، ولا تزيد نسبة الذين تنقص حالتهم العقلية نقصا قليلا عن الحالة السوية المعتادة على ثلاثة وعشرين فى المائة ، أما الباقون — وهم سبعة وستون فى المائة — فإنهم يتمتعون بذكاء متوسط أو متفوق ، والحق أن من المصابين بالصرع — ومن بينهم دستوفسكى وسونبيرن ويوليوس قيصر ، وبجانبنى ونابليون نفسه — كانوا عباقرة .

ولسنا ننكر أن بعض المصروعين يهذون وتصيبهم الأوهام وغيرها من أعراض الأمراض العقلية ، ولكن هذه الحال بعينها يتعرض لها من لا تعتريهم النوبات التشنجية ، وليس ثمة صلة مباشرة بين السلوك الشاذ والنوبات التشنجية اللهم إلا فى نوع واحد من الصرع وهو لحسن الحظ نادر الوجود بين الأطفال . وفى هذا النوع تكون الإصابة فى جزء من أجزاء المخ ذى شأن هام فى نمو شخصية المصاب .

أما من حيث العلاقة بين الصرع والإجرام فإن الدليل على ذلك ينقصنا ؛ والحق أن الدراسة قد دلت على أن نسبة المصابين بالصرع بين المسجونين لا تفترق عن نسبة من يستمتعون بقواهم الجسمية والعقلية من السكان بوجه عام .

وقصارى القول أن النوبات التشنجية ليست دليلا على اضطراب فى العقل أو الشخصية ، وكل ما تدل عليه هو اضطراب فى الجهاز العصبى ، وليس ثمة ما يستحى منه أكثر مما يستحى من مرضهم المصابون بالشلل أو الآلام العصبية أو الشقيقة[1] وهى الأمراض ذات الصلة بالصرع

وإذا كان طفلك تعتريه نوبات صرع فإن هذا لا يدل على شىء بالنسبة لأسرتك ولقد تغالى الناس كثيراً فى أهمية عامل الوراثة فى الصرع

وقد وجه الدكتور وليم . ح . لنوكس الأستاذ بمدرسة الطب بجامعة هارفرد بعد دراسة مستفيضة أن واحداً لا أكثر من كل خمسة مصروعين يعرف أن له قريباً مصاباً بنفس الداء وأن واحداً فقط من كل خمسة وعشرين له أب مصاب بالصرع أو أم مصابة به ، ولم

---

(١) صراع فى نصف الرأس (قاموس الدكتور شرف)

تكن نسبة من يولد لهم أطفال مصروعون من الآباء المصروعين العاديين تزيد على واحد فى كل أربعين . بينما كانت نسبة من يولد له طفل مصاب بالصرع من الآباء العاديين واحدا فى كل مائتين ، وقد وجد أن احتمال ولادة طفل مصروع من أبوين سويين لم تعترهما نوبات الصرع ولكنهما « حاملان » لهذا الداء أكثر من احتمال ولادة هذا الطفل إذا كان أحد الوالدين مصاباً بالصرع والآخر سويا « غير حامل » للداء .

وجملة القول أن نظام الوراثة معقد يبلغ من التعقيد حداً كبيراً بحيث إذا امتنع الرجال والنساء عن أن يكون لهم أبناء خشية أن يكون أولئك الأبناء مصروعين فإن كثيراً من الأطفال الأصحاء لم يكونوا يولدون قط .

يضاف إلى هذا أن العلماء يزدادعلمهميوما بعد يوم عن نمو الجنين، وعن مختلف الأضرار الكيميائية والآلية التى قد تحدث فىأثناء عملية الولادة ، ولهذا فإنهم قد عرفوا أن عوامل كثيرة غير عامل الوراثة قد تسبب ذلك التهيج المخى الذى يظهر فى صورة نوبات ، فالتشنجات مثلا قد تحدث نتيجة حوادث تقع للانسان فى أية فترة من حياته ، وقد أصيب بها لأول مرة كثير من الجنود الذين مارسوا القتال طويلا على

أثر جرح فى الرأس ولهذا فإنك لست أنت ولا غيرك الملوم على نوبات الصرع التى يصاب بها طفلك أياً كان سببها .

وثمة نقطة هامة أخرى يجب مراعاتها فى معالجة مشكلة الطفل المصاب باضطرابات تشنجية علاجاً صالحاً موضوعياً ، وهى أن هذه الاضطرابات ليست مستمرة ولا تشغل كل وقته فهو لا تبدو عليه أعراض الصرع خلال الأيام أو الأسابيع أو الشهور التى تتخلل النوبات . وهذه الفترات التى لا تظهر عليه فيها أعراض الداء تشغل من وقته أكثر مما تشغله فترات إصابته .

وسواء كان طفلك تمر به فترات قصيرة من عدم الوعى ، قد لا يتبينها الإنسان أحياناً إلا باختلاج جفونه وهو الاختلاج الذى يمتاز به « الصرع الصغير Petit mal » أو كان مصابا « بالصرع الشديد Grand mal » الذى يؤدى إلى سقوطه على الأرض وتحرك أطرافه حركات تشنجية ، سواء كان هذا أو ذاك فإن نوبات صرعه مهما كثرت تجيء وتذهب كأنها نوبات من السعال .

وعليك إذن أن تخفف من قلقك على طفلك بأن تذكر على الدوام أن فى مقدوره أن يذهب إلى عمله وكأنه غير مصاب بأى داء .

ولسنا نقصد بهذا القول أن نقلل من خطورة مشكلاتك ، لأن

نوبات الصرع مهما اصطنعنا العقل فى تقبلها ، لا تخلو من صعاب عاطفية شديدة الألم . ولعل أشد هذه الصعاب هى المخاوف التى تسببها تلك النوبات للطفل نفسه ولأبويه .

ذلك أن الطريقة الخاطئة التى تحدث بها هذه النوبات ، تجعل كل ذى صلة بها يعيش وكأن سيفاً مصلتا فوقه ، فلست بقادر أنت أو طفلك على معرفة الوقت الذى تظهر فيه أعراض الصرع أو المكان الذى تحدث فيه ، وإن تحررك التام من الخوف من أن يفقد وعيه فى زمان أو مكان يتعرض فيه للخطر الشديد ، إن تحررك هذا ليتطلب منك قوة فوق قوة البشر .

يضاف إلى هذا أن نوبات الصرع تظهر فى أشكال كثيرة مختلفة ، وأنها كثيراً ما تحدث عقب أنواع مختلفة من الشعيرات الفسيولوجية كاصفرار الوجه ، ولهذا فإن من الطبيعى أن ينتابك القلق الشديد كلما شاهدت أعراضا جسمية ولو كانت منقطعة الصلة بالصرع كل الانقطاع . فإذا ما ارتفعت حرارة طفلك ، أو اضطربت معدته ، أو سقط على الأرض فى أثناء جريه ، أو ظهر عليه أى عرض من الأعراض الصغرى الكثيرة ، أو وقعت له حادثة من الحوادث التى يتعرض لها كل طفل فى العالم ، فإنك تميل ميلا له ما يبرره إلى أن تنظر إلى هذا بعين القلق الشديد .

وليس ثمة فائدة ترجى من نصحك بأن « لا تقلق » لأنك ، وأنت تعيش كما يعيش شخص بالقرب من بركان قد يثور فى أى وقت من الأوقات ، لابد أن تقلق ، ولـكن مصلحة طفلك تحتم عليك أن تسيطر بقدر ما تستطيعه الطاقة البشرية على أسباب قلقك من أن تعتريه نوبات الصرع ـ وكذا قلقك على صحته بوجه عام ـ وقد تـكون صحته هذه غاية فى الجـودة إذا صرفنا النظر عن نوبات الصرع . إن عليك أن تبذل جهوداً جبارة كى تسيطر على مخاوفك منه ، ذلك أن هذه المخاوف معدية ، وإذا كان هو قد لاقى الأمرين من جراء سقوطه على الأرض أو إظلام ما حوله ، فإن حسبه ما يعتريه من مخاوف دون أن يضاف إليها مخاوفك التى تنتقل إليه بالعدوى . لهذا كان هدوءك فى حضرته على الدوام من أجل الخدمات التى يمـكن أن تؤديها إليه .

وكثيراً ما يحدث أن يضطرب الأبوان إذا كان ولدهما مصابا بالصرع اضطراباً يحتاجان معه إلى المساعدة على أن يـكيفا أنفسهما للظروف التى تحيط بهـما من جراء ذلك . فاذا وجدت أن قلقك ومخاوفك قد تغلبت عليك ، فإن فى مقدور طبيب نفسـانى أو إخصـائى اجتماعى نفسانى أن يرشدك إرشاداً عظيم القيمة إلى اتزان عواطفك حتى تصبح هادئاً ثابتاً فيما يواجهك ، وحتى تنظر إلى الظروف كلها نظرة بعيدة شاملة.

ومن الأطفال من تظهر نوبات الصرع جد مبكرة فى حياتهم ،

ومنهم من تمر بهم فى بداءة الطفولة ، وقد يمر بهم جزء كبير من الطفولة نفسها قبل أن تحدث لهم أولى نوبات الصرع ، كذلك تختلف هذه النوبات وترددها ، فقد يحدث أن تعترى طفلا ما نوبة واحدة ثم لا تعود إليه أبداً ، وقد تتكرر النوبة مرتين فى العام ، وقد تحدث له عدة نوبات فى اليوم الواحد . وليس ثمة نوبتان متماثلتان كل التماثل .

وأيا كان هذا الاختلاف فإن من واجبك أن تستعين بالطبيب على الفور ، ولا تستمع إلى ما يشير به عليك الأصدقاء أو الأقارب من عدم الذهاب إلى الطبيب لأن الأمر لا يعدو أن يكون « ارتباكا فى المعدة » أو « وضعه فى حمام ساخن سيذهب بعلته » أو أن هذه العلة « ستزول متى كبر » .

وأكبر الظن أن الطبيب لن يستطيع أن يرى طفلك فى أثناء النوبة ، وعليك فى هذه الحال أن تصف للطبيب ما سبقها من الأعراض ، وأى جنب من جنبيه أو عضو من أعضائه قد تأثر بها ، وكم من الزمن دام التشنج ، وما إلى ذلك من التفاصيل الأخرى التى قد تساعده فى مهمته ، فالطبيب فى حاجة إلى معلومات عن الإصابة بالصداع فقد يكون ذلك نوعا من النوبات

غير أن بعض الآباء قد يسرفون فى ملاحظة أطفالهم إسرافا مستمراً

مصحوباً بالقلق لأنهم يعتقدون خطأ أن أقل شذوذ فى سلوكهم قد يكون جزءاً من نوبة صرع ، ومن واجبك أن تذكر أن الأطفال جميعاً قد يسلكون فى بعض الأحيان سلوكا يبدو للكبار غريباً أشد الغرابة ، وستجد بحق أن ليس ثمة علاقة ما بين نوبات الصرع وبين سلوك طفلك كما يسلك غيره من الأطفال الذين هم فى سنه أما إذا اعترته طائفة متتابعة من النوبات واستطعت أن تربط بينها وبين أوضاع خاصة . كأن يكون طفلك متعباً تعباً غير عادى ، أو أسرف فى الطعام . أو كان فى كل نوبة يشكو الصداع ، وإذا حدث هذا فبادر بإبلاغ الأمر إلى الطبيب ، وإن كان عليك ألا تشعر بخيبة الأمل إذا عجز عن أن يربط العلة بالمعلول رباطاً قوياً ، كذلك يجب عليك ألا تفقد ثقتك بالطبيب إذا لم يستطع أن يفصح لك عن سبب « إصابة طفلك بالتشنجات »

والعناية بالتشخيص ذات أهمية بالغة فى الاضطرابات التشنجية حتى يستطيع الطبيب أن يعرف ماذا عليه أن يفعل أو لا يفعل مثال ذلك أنه إذا كان سبب تهيج المخ ورماً فيه فقد تكون الجراحة مرغوباً فيها ، ولكن الجراحة قد لا تفيد أية فائدة فى معظم حالات الاضطرابات التشنجية ومن بينها الاضطرابات الناشئة من آثار جروح فى نسيج المخ . ومن أجل هذا يجب أن يعرض طفلك على

طبيب أعصاب ، ويحسن أن يـكون هذا الطبيب قد تخصص فى علاج الصرع ، ولـكن الذى يؤسف له أن أحدث الاكتشافات فى ميادين الاضطرابات التشنجية لم تصل بعد إلى جميع الأطباء ، ولايزال بعضهم يتبع الأساليب القديمة فى العلاج .

فقد يقال لك إنه لا يستطيع عمل شىء يفيد فى خلاص طفلك من نوباته ، وقد يوصف للطفل جرعات من الدواء مسكنة ، وهى كل ما كان فى مقدور الطب أن يفعله منذ عشر سنين أو أكثر قليلا . أما الآن فقد وجدت أدوية أعظم أثراً ، لا يؤدى استعمالها إلى تعودها ، وليس كل مالها من أثر التهدئة القليلة للمريض ، وهذه الأدوية الجديدة تستعمل إما وحدها أو مع غيرها من الأدوية القديمة . وقد تؤدى إلى نتائج طيبة مدهشة فى علاج نوبات الصرع الخفيفة والشديدة جميعاً .

وقد يستطاع باستعمالها قطع دابر النوبات أو تخفيف حدتها فى كل ثلاث حالات من أربع . فلا تقبل إذن ما يقال لك من أنه « لا يمكن عمل شىء » لطفلك إلا بعد أن تستشير طبيبا تثق من أنه قادر على علاج الاضطرابات التشنجية بأحدث الطرق .

فإذا لم تستطع الذهاب إلى إخصائى فى هذا المرض ؛ وإذا لم يـكن طبيبك ملماً بأحدث أنواع العلاج ؛ فإن « الجامعة القومية للصرع التى

مركزها ١٣٠ شارع ولز الشمالى ، بمدينة شيكاغو ٦ مقاطعة الينوى »
يسرها أن تقدم لطبيبك أحدث ما كتب فى علاج هذا الداء ، وعليك
بعدئذ أن تتبع تعليمات طبيبك وألا تحاول أنت تقديم الدواء له ، واعلم
أن الأدوية التى تفيـد فى السيطرة على الاضطرابات التشنجية قد تضر
بطفلك لأنها قوية الأثر ، ولهذا فإنها لا يمكن الحصول عليها عادة إلا
بتذكرة طبيب . وإذا لم يفلح الدواء الأول فى وقت النوبات ، فإن فى وسع
طبيبك أن يجرب غيره من الأدوية ، لأن التجارب وحدها هى التى
تثبت أن دواء ما هو خير الأدوية .

وتجنب كل من يقدم اليك الوعود بأنه « سيشفى » طفلك ، لأن
الذى يقول لك هذا دجال بلا ريب ، ولأن جميع الأدوية المسجلة التى
يعلن عنها بأنها تشفى الصرع تحتوى على عناصر مسكنة قوية ، ولكنها
ضعيفة فى منع التشنجات ، وإذا ما أشار طبيب مختص بأن يتعاطى طفلك
جرعة من دواء ما ، فإن من واجبك أن تعود الطفل بأسرع ما تستطيع
على أن يتحمل هو نفسه تبعة تعاطيه

وقد يبدو لك طفلك « عجيباً » أو « مختلفا » عن غيره من الأطفال
فلا يرضى أن يتعاطى الحبوب أو الأقراص مرة أو مرتين فى اليوم وفى
وسعك أن تعالج هذا الموقف بقولك له إن كثيراً من الناس يضطرون
إلى أن يداوموا على فعل أشياء من أجـل صحتهم كأخذ حبوب

الفيتامينات أو لبس النظارات ،و إذا ما أفلح العلاج فى وقف النوبات أو تقليلها ، فثق أن طفلك سيشكر الطبيب ويحرص على مداومة العلاج بقدر شكرك أنت وحرصك .

وحين تصيب طفلك نوبة التشنج فإنك لا تستطيع أن تفعل شيئاً ما فى وقتها . وكثيراً ما يحدث أن يسبق النوبة إنذار بقربها قبل أن يفقد المصاب وعيه ، فإذا ظهرت الأعراض على طفلك قبل أن يسقط على الأرض ، فإنه سيكون لديه متسع من الوقت يجد فيه مكانا لينا آمنا كسرير أو أريكة ، فإذا لم يجده كان عليك أن تحمله أنت إلى شيء من هذا القبيل . وفى وسعك أن تحول بينه و بين عض لسانه بأن تبادر إلى وضع جسم لين ــ كرباط ملفوف أو جريدة أو طرف فرخ من الورق ــ بين أسنانه الخلفية ولكن لا تحاول أبداً أن تفتح فمه إذا ما بدأت النوبة وانطبقت أسنانه بشدة بعضها على بعض . كذلك يجب ألا تحاول منع تقلصات أطرافه ، وكل ما تستطيع أن تفعله هو أن تنتظر خلال الثوانى أو الدقائق التى يدوم فيها التشنج والتى تبدو لك كأنها ساعات طوال

وقد يستحوذ عليك فى أثناء نوبات الصرع شعور من اليأس يعذبك و يفت فى عضدك ،وترى معه ألا جدوى من كل ما تعمله، ولكن يجب عليك

ألا تعتقد بحال من الأحوال بأنك تراخيت أو أهملت ، لأنك إن اتخذت ماذكرناه لك من احتياطات قليلة بسيطة فقد فعلت كل مايستطيع أن يفعله أى طبيب من الأطباء . وثمة حقيقتان أخريان إن عرفتهما نجوت من كثير من القلق والاضطراب . أولاهما الظن الخاطىء بأن طفلك قد يموت فى أثناء التشنج ، فالحقيقة المعروفة أن نوبات الصرع فى حد ذاتها ليست قاتلة، ولسنا ننكر أن الموت كان يحدث أحيانا فيما مضى من الأيام نتيجة الإعياء الشديد بعد أن يكون المرض قد مر بسلسلة طويلة من النوبات واحدة فى إثر واحدة تدوم عدة أيام ، ولكن هذا النوع من الصرع قد أصبح الآن نادر الحدوث بفضل الطب الحديث حتى لا يكاد يكون له وجود .

وثمة فزع آخر قد تعانيه ،وهو أن طفلك يعانى آلاماً مبرحة فى أثناء النوبات ،ذلك لأن حركات وجهه وجسمه ومايصحبهما أحياناً من صراخ قد يدخلان فى روعك أنه يتألم . ولكن الحقيقة التى يجب أن تثق بها كل الثقة هى أن تشنجات الصرع لا يصحبها ألم لأن المريض فى أثنائها يكون غائباً عن وعيه .

ويعقب النوبة عادة بعد أن ينقضى دورها نوم عميق ، ومن واجبك أن تترك طفلك ينال قسطه الكامل من النوم مهما أحسست

بالدوافع تعتريك إلى أن توقظه لتتأكد من أنه لم يصب بسوء ، ذلك أن النوم هو الوسيلة التي تتخذها الطبيعة لإعادة مافقده من النشاط في أثناء التشنجات ، فقد أجهد الطفل جسمه ولكن ضرراً ما لم يصبه في جسمه أو في عقله . حاول أن تظهر أمام طفلك حين يصحو من نومه بوجه باسم، حتى لاتكون عودته إلى وعيه محوطة بجو من القلق ، بل بجو من الحب والثقة .

وستستفيد كثيراً إذا استعنت بممرضة من ممرضات الصحة العامة ، وذلك لا لتسديك النصح السديد فيما يجب أن تفعله في أثناء النوبات فقط ، بل لأنها فوق ذلك تشير عليك بما يجب أن تبذله من العناية بطفلك من جميع النواحي ، ومن المهم في جميع الأوقات أن يتبع الطفل نظاماً صحيحاً في حياته ، لأنك كلما استطعت أن تحافظ على صحته زادت قدرتك على الحيلولة بينه و بين النوبات . و إذا سألت أي نظام صحي يجب أن يتبع ؟ كان الجواب أن نظام الحياة الصالح المعقول للطفل السوي هو بعينه النظام الصحيح لطفلك ايضاً مع زيادة قليلة في العناية ببعض النواحي مثال ذلك : أنه يجب أن ينال طفلك ، كما ينال أي طفل آخر بل أكثر من أي طفل آخر ،وجبات طيبة منتظمة مغذية لاتتأثر بالبدع الكيمائية ، وقد كانت الأغذية الغنية بالمواد الدهنية تعد في وقت ماقبل اكتشاف أدوية الصرع الجديدة ذات فائدة كبرى في تقليل نوبات التشنج ،

لـكن استعمال هذه الأغذية قد أخذ يقل شيئاً فشيئاً ، فإذا لم يصف الطبيب هذا الغذاء الخاص ، فإن خير غذاء لطفلك هو الغذاء المتوازن الذى يفيد كل طفل فى دور النمو ، لذلك يجب ألا يـكون اهتمامك باستبعاد بعض أنواع الأغذية من طعام طفلك أكثر أو أقل من اهتمامك بذلك لو أن طفلك لم يصب بنوبة صرع على الإطلاق . وقد يصاب الطفل بالإمساك إذا كان معتاداً على تناول بعض العقاقير المسكنة ، فإذا حدث هذا فاستشر طبيبك فى الإجراءات التى يجب أن تتخذها بالضبط ،ولا تحاول أن تختار بنفسك شيئاً من المسهلات أو الحقن الشرجية ، بيد أن الإكثار من تناول الفاكهة أو الأطعمة الخشنة قد يفيد طفلك كما تفيد أى إنسان غيره .

وهو أيضاً لا يحتاج إلى قسط من الراحة أكثر مما يلزم أى طفل آخر فى مثل سنه ليحتفظ بصحته العامة جيدة ،وليس عدد الساعات التى يجب أن يقضيها الطفل المصاب بالصرع نائماً مهما بالدرجة التى يظنها كثيرون من الآباء .

ومن الخطأ أن تعامل طفلك معاملة المرضى أو حتى أشباه المرضى ، وقد يـكون فى التفريط الشديد فى النشاط من الضرر مثل مافى الإفراط فيه ، فقد دلت التجارب على أنه كلما اكتملت حياة الشخص المصروع وسعدت ونشطت قل عدد النوبات التى تعتريه ، فلا تخش إذن من

أن يمارس طفلك ضروب الرياضة البدنية .

والحق أن احتمال حدوث نوبات الصرع بعد أن يأوى إلى فراشه ليلا ، أو قبل أن يستيقظ فى الصباح أكثر من احتمال حدوثها وهو يتسابق أو يلعب الكرة . . ولا حاجة إلى القول بأن من المجازفة الخطيرة أن يترك الطفل المصاب بالصرع يسبح وحده من غير رقابة، ولا يقل عن ذلك خطأ منعه من السباحة منعاً باتاً حين يكون غيره من الناس على مقربة منه ينقذونه إذا ماحدث ذلك الحادث البعيد الاحتمال ، وهو حدوث نوبة فى أثناء حركته فى الماء .

وليعلم الآباء أن الضرر النفسانى الذى يصيب الطفل المصروع من عدم الحركة يحتمل أن يكون أكثر من الضرر الجسمانى . وقد يحدث فى بعض الأحيان أن يحتاج المرء إلى ما يقرب من البطولة كى يتجنب الإسراف فى حماية الصغير الذى يعرف أنه قد تعتريه النوبة فى أى وقت من الأوقات . ولكن عليك أن تذكر على الدوام أن احتمال إصابة المصروع بأذى فى أثناء النوبة قد بولغ فيه كثيراً وأكثر ما يكون ذلك على يد من يعلنون عن الأدوية الجاهزة الذين يحبون أن يظهروا للناس صوراً لأشياء لا تكاد تحدث فى عالم الواقع ، كصورة مصروع سقط فى وسط الطريق بين وسائل المواصلات ولهذا يجب

عليك أن تشتد على نفسك ، وتقمع فيها كل ميل إلى القلق مهما يكن هذا القلق طبيعياً مفهوماً ، ولا تشتد على طفلك فتمنعه من أن يسير وحده أو يشترك فى الألعاب العادية المألوفة ذلك أن ما تتفاداه من خطر قليل بفرض الرقابة الشديدة عليه لا يجزى فى أن تجعله يحس كأنه مصاب بعلة مزمنة لا يبرأ منها أبداً .

ولا حاجة إلى القول بأنك إذا كنت من الآباء الذين روقبت نوبات صرع طفله زمنا طويلا تستطيع معه أن تثق ثقة معقولة بأن النوبات لن تعاوده قط أو لن تعاوده إلا نادراً ، فإن فى مقدورك أن تنسى أو تكاد تنسى ما يتعرض له من الأخطار الجسمانية ، ولكن عليك أن تذكر مع ذلك ، سواء كان طفلك قد نجا من النوبات أو أنه لا يزال معرضاً لها ، أن طفلك قد مرت به تجارب أثرت فيه من الناحية العاطفية ، ولهذا يجب أن تراعى فى مسلكه هذا الاعتبار . ويصدق هذا حتى إذا لم يعد لنوباته التشنجية أثر فى ذاكرته الواعية .

وثمة حالة واحدة تستثنى مما سنقوله عن التجارب وكيف تحدد سلوك المصروع وتعدله . وهذا الاستثناء يحدث حين يكون التهيج والاعتداء وفقد السيطرة فى الطفل نتيجة مباشرة لضرر أصاب جزءاً معيناً من أجزاء المخ . . وإذا كان من يصابون بضرر فى هذا الجزء

من المخ لا يزيدون على عشرة فى المائة ، فإن التوصيات التى نؤمن بها يمكن تطبيقها بوجه عام .

ولربما كان أعمق جرح نفسانى تحدثه فى الطفل نوبات الصرع هو إحساسه العميق بعدم الاطمئنان والاستكانة ، وليس من الصعب أن يدرك الإنسان السبب فى أن فقدان الوعى فجأة حين يحدث من آن إلى آن ، ومن غير أن يتوقعه الإنسان ، يشعره بالقلق والتوجس . ولهذا يجب عليك أن تعمل على الدوام لكى تقوى فى طفلك الشعور بالاطمئنان والثقة بالنفس ، وأقوى أساس لهذا هو بطبيعة الحال ما تبعثه فيه من الحب واليقين الثابت المتأصل بأنه طفل محبوب مرغوب فى وجوده .

وعليك أيضاً أن تساعده على أن يشعر بأنه آمن ، لا بالنسبة إليك فحسب ، بل بفضل ما يقوم به من أعمال . وسواء أوتى الطفل من الذكاء كثيراً أو قليلا . فإنه فى حاجة إلى التشجيع والثناء ، وإلى أن يساعد على عمل أشياء كثيرة يستطيع أن يفخر بها ، وبذلك يستطيع على الرغم من عجزه الفسيولوجى أن يشعر بالاستقرار الشخصى ، وبأن له مكانا فى هذا العالم ، وهو المكان الذى حطمته الطبيعة بغلظة وقسوة فى بعض الأحيان ، فإذا ما تحصن الطفل بالشعور بأنه شخص كسائر

الأشخاص ، وأرضى نفسه بأن أدرك بأنه قد قام على خير وجه بأعمال شرع فى القيام بها ، فإنه مستطيع على مر السنين أن يتغلب على أسباب عجزه ، فإذا ما أسعده الحظ فأصبحت نوبات الصرع عنده فى خبر كان فإنه يستطيع أن يتغلب تدريجياً على ما سببته تلك النوبات من اضطراب عاطفى . حتى إذا لم تنقطع هذه النوبات فلعلها لا تكون كما كانت من قبل علة عاطفية أو نفسانية خطيرة .

وقد يعقب نوبات الصرع التى تحدث من آن إلى آن شعور بالذلة والاستكانة . وربما كان سبب هذا الشعور أن طفلك قد ابتعد عنه غيره من الصغار أو ربما جاءت المعاكسة من الكبار . أو ربما كان قد منع رحمة به أو قسوة عليه من الاشتراك مع بعض الجماعات أوالانضمام إلى بعض المجتمعات أو أوجه النشاط المنظم وكان هو شديد الرغبة فى الاشتراك فيها ، فهوفى هذه الحالة يشعر شعوراً يضايقه ويؤلمه بأنه سيسقط على الأرض أو يفقد وعيه أمام الناس ، وإن لم يقل له أحد أو يفعل أمامه شيئاً يؤذيه لأنه « مصروع » أو « تعتريه نوبات » أو « أدوار » .

ويختلف رد الفعل الذى يقوم به الأطفال بسبب شعورهم بالخجل والعار ، ولكن فى وسعنا أن نقسمه بوجه عام إلى نوعين من السلوك متناقضين أتم التناقض . فقد يكون طفلك خجولا حيياً إلى أقصى

حد ، يكره الاختلاط مع الناس ، وينزع إلى الانطواء على نفسه . أوقد تكون حاله عكس هذه الحالة تماماً ، فينزع إلى تعويض ما أصيب به من أضرار عاطفية مؤلمة بأن يكون فى أعماله مفرطاً فى الاعتداء على غيره وفى الاعتداد بنفسه

وسواء كانت حالته هذه أو تلك فإن فى وسعك أن تساعده إذا أفهمته إفهاما ممزوجاً بالعطف أن يسلك طريقاً وسطا فى موقفه من بقية العالم . وإذا ما أدخلت فى اعتبارك أنه ليس « عنيداً » إذ ما سلك مسلك النساك واعتزل العالم ، وأنه ليس سيء الطبع صعب المراس إذا ما ثار من آن إلى آن ،أو كان مختالا فخورا إلى حد تستنكره ، واعلم أن شخصيته نتاج ما تجمع له من تجارب مؤلمة .

وعليك أن تعترف بأنك لا تستطيع أن تغريه بأن يكون إنسانا اجتماعياً ، أو ترغمه على أن يكون فى أعماله متواضعاً متحفظاً ،وذلك بما تلقيه على مسامعه من العبارات أو بالاستمرار فى تأنيبه ومضايقته، بل الذى يجب عليك هو أن تساعده على أن يكسب تلك الثقة الداخلية التى يستمتع فيها بالنجاح و بالشعور بأنه إنسان محبوب مرغوب فيه ، واعمل بقدر ما تستطيع كى تكشف عما يضايقه ، وذلك بالمناقشة الصريحة فى تجاربه وآلامه ودعه يعرف أنك تفهم مشاعره ، وأنك مع ذلك تنتظر منه أن يتغلب

عليها ، وأهم من هذا كله أن تشجعه كل التشجيع على أن ينمى تلك الثقة بالنفس التى قلنا فى الفقرة السابقة إنها ذات أهميـــة بالغة. ذلك لأنه إذا ما وثق بنفسه فإنه لا يعود يشعر بما يدفعه لأن يختفى عن الناس أو يصطدم بهم .

وكثيرا ما كان الناس فى الماضى يصدرون أحكاماً عامة عن الصفات التى كانوا يظنونها من خواص الصرع ، كما كانوا يظنون أن الطفح من خواص الحمى القرمزية ، وشاهد ذلك أن ما كتب قديماً فى هـذا ملىء بالإشارة إلى « شخصية المصروع » فكان يقال مثلا إن المصابين بالصرع ينزعون إلى سورات الغضب ، أو إنهم ينزعون إلى فرض مطالبهم على غيرهم . أما الآن فإن « شخصية المصروع » بوصفها طرازاً خاصاً من الشخصيات لا يؤمن بها معظم الثقات فى هـذا الموضوع ، فالشخص المعرض لنوبات الصرع قد يكون رقيق الطبع أو حاده ، صبوراً أو سريع التهيج، لطيفاً أو بغيضاً ، سهل الانقياد أو عنيداً ، لا يستثنى من ذلك إلا ما قلناه من قبل عن الإصابة الخاصة التى تنشأ منها شخصية محدودة المعالم . وجملة القول أن المصروع قد يكون متصفا بمختلف الأمزجة والخواص التى يمكن أن يتصف بها أى إنسان سواه .

ولسنا ننكر مطلقاً أن كثيرين من الأطفال المصابين باضطرابات تشنجية يبدو عليهم أنهم أكثر من الأطفال السويين تعرضا لسورة

الغضب،أو أن يتصرفوا تصرفات غير معقولة،أو أن ينقبوا عن عيوب غيرهم. لكن الاعتقاد السائد فى هذه الأيام أن المصابين بالصرع كلهم تقريباً ممن يتصفون بصفات غير مرغوب فيها،وهم لا يتخلقون بهذه الأخلاق بسبب حالتهم الفسيولوجية الناشئة من علتهم ، بل منشأ هذه الصفات هو الطريقة التى عوملوا بها .مثال ذلك:أن المضايقات القاسية التى يلقونها من الأطفال يحتمل كثيراً أن تؤدى إلى نوبات من الغضب لا يمكن السيطرة عليها تصيب الطفل الذى لا يستطيع بغير هذه الوسيلة أن يثأر لنفسه ممن يعذبه .

على أن هناك سبباً أقوى من هذا لنشأة السلوك غير المرغوب فيه ،وهو الطريقة التى يعامل بها الطفل فى المنزل . ذلك أن كثيرين من الآباء يخشون أن يغضبوا الطفل المصروع لئلا يؤدى غضبه إلى «حدوث نوبة» ولهذا تراهم يدللونه و يلاطفونه إلى أقصى حد .

ومن الآباء من هم سريعو التهيج ، وهى صفة أبعد ما تكون عن تهدئة الطفل ذى الجهاز العصبى المضطرب ، ولهذا فإنك كلما كنت متزنا فى معاملة طفلك كان ذلك خيراً له وأجدى ، فحاول أن تحتفظ معه بهدوئك على الدوام ، وكن فى ذلك على وتيرة واحدة ، واعلم أن من الخطأ أن تستسلم له وتتركه يفعل ما يشاء لخوفك من أن تعتريه نوبة تشنجية إذا امتنعت عن ملاطفته ، ذلك أن طفلك هذا يحتاج إلى تنمية صفة

التأديب الذاتى بقدر ما يحتاج إليها غيره من الأطفال ، و إلا فإنه يندفع اندفاعا سريعا إلى المتاعب يخلقها مع إخوته وأخواته الذين نعاملهم معاملة أقل منه تسامحاً ولينا ، ومع كل إنسان ذى صلة به أياً كانت ، وبما من أحد يحب الشخص الفاسد ، الأنانى ، العاجز عن السيطرة على نفسه .

وفضلا عن هذا فإن طفلك يحتاج ، كما يحتاج كل طفل آخر ، إلى أن يضمن لنفسه قدراً معقولا من الانتظام فى حياته اليومية . فعليك مثلا أن تعوده أن يحدد لنفسه أوقاتا معينة فى بعض الشئون العادية كالذهاب إلى الفراش أو تناول الطعام ، على شريطة ألا تغالى فى هذا مغالاة تبلغ حد التعصب . ولسنا ننكر أن الحرص الشديد على فعل الشىء نفسه دائماً بالطريقة نفسها ، وفى الوقت نفسه يمكن أن يغالى فيه مغالاة ضارة ، و إن بعض التسامح فى هذه الناحية أمر مرغوب فيه ، ولكن قدراً كافياً من النظام السوى الثابت الرتيب يعود بالنفع على أى إنسان .

ومن الأخطار الأخرى التى تتعرض لها شخصية الطفل المصاب بالصرع أن يصبح الطفل منطوياً على نفسه ، ونقول هنا مرة أخرى إنه لا علاقة متأصلة بين هذه الصفة و بين نوبات الصرع ، وقد يكون ذلك نتيجة مايبذل من العناية التى لا بد منها بجسم المصاب أو الذهاب إلى الأطبـــــاء .

لكنها قد تكون أيضاً نتيجة الجزع الشديد عليه ، أو دوام الالتفات إليه ، وهما أمران لا تستلزمهما حالته ، وفى وسع الوالدين أن يخففاهما متى أرادا . وأنت إذا أسرفت فى العناية بطفلك ورعايته فثق بأن هذه العناية نفسها دون أى شىء آخر ذى صلة بجسمه و بنيته هى التى تدفعه إلى أن يكون منطوياً على نفسه ،وقصارى القول إنك كلما قللت الاهتمام ، كان ذلك خيراً له .

ومما لاشك فيه أن ثمة مشاكل حقيقية عملية ذات صلة بالصرع ، منها أنه يجب ألا يوجد الشخص المعرض لنوبات الصرع فى أماكن عالية . كأن يكون فوق سلم مثلا ، كما يجب ألا يترك دون رقابة بالقرب من موقد ساخن أو أن يسوق عربة .

وأكثر من هذا بلبلة للأفكار و إيجاداً للعقبات التى تحول دون الحياة المستريحة السوية أن كثيراً من الناس والجماعات لايزالون يسلكون نحو المصروعين مسلك أهل العصور المظلمة ، ولهذا تجد طفلك ممنوعاً من الاشتراك فى المعسكرات ، وفى جماعات الرحلات ، وفى مدارس الحضانة ، بل وفى المدارس العامة نفسها

وقد يصدق هذا حتى إذا كانت نوبات الصرع قد سيطر عليها سيطرة تامة

ولهذا نجد فى كثير من البيئات مدارس خاصة بالمصروعين ، وقد لا نجد أية محاولة تبذل لإفهام القائمين بأمر المدارس أن نوبة الصرع لا تكاد تحدث اضطرابا حقيقياً فى سير الدرس إذا كان لدى المدرس والتلاميذ من المعلومات ما يجعلهم يعتبرونها من الأمور العادية ، ولا يزال أمامنا الشىء الكثير الذى يجب أن نعلمه للجمهور خاصاً بالصرع ، وحسبنا أن نقول الآن إنه إذا منع طفلك من الذهاب إلى المدرسة ، فإن عليك أن تواصل البحث حتى تجد له مكانا يستطيع الذهاب إليه ويقبل فيه ولا ترهقك نفقاته ، وفى وسعك أن تستمد ما يلزمك من المعلومات الخاصة بهذا الموضوع من « جامعة الصرع القومية بالولايات المتحدة الأمريكية The National Epilepsy League

ومن السهل الاستعانة بالمدرسين الخصوصيين لتعليم الأطفال المعرضين للاضطرابات التشنجية ، وهذا يحل مشكلة التعليم عن طريق الكتب إلى حد ما ، ولكن عليك إن استطعت أن تعلم طفلك مع غيره من الأطفال حتى يفيد من ذلك اتخاذ أصدقاء له ، والاشتراك فى الحياة المدرسية ، وهما أمران لا يقلان أهمية لجميع الأطفال عن تلقى المعلومات العلمية .

وليست العناية بالأطفال المعرضين لنوبات الصرع فى مستشفى

أو معهد داخلى ضرورية فى معظم الحالات ذلك أن تقدم الطب فى هذه الأيام قد قلل من عدد نوبات الصرع التى تصيب المصروعين، وخفف من حدتها إلى حد يجعل من المستطاع العناية بهم فى المنزل الطيب العادى . غير أنه قد يكون من الخير لطفلك ، ولأسباب غير نوبات الصرع نفسها ، أن يوجد فى مدرسة داخلية أو معهد داخلى .

فقد يكون وجوده فى مثل هذه المدرسة أو هذا المعهد هو الوسيلة الوحيدة لتربيته وتعليمه ، أو قد يكون عرضة للاضطرابات العاطفية وفى هذه الحالة يكون وجوده بضعة أشهر أو سنة أو نحوها فى مدرسة خاصة تضم هيئة من المدرسين الخبراء يستطيع فيها أن يتعلم الطريقة التى يكيف بها نفسه لتقبل العلاج ومعرفة أسباب عجزه ، نقول إن وجوده فى هذه المدرسة زمنا ما قد يكون ذا نفع كبير له فى إصلاح شأنه مع نفسه ومع العالم كله أو قد يكون واحداً من تلك القلة من الأطفال الذين أثرت النوبات فى أجسامهم وأضعفت عقولهم ، وفى هذه الحالة ينطبق عليه ماذكرناه فى الفصل السابع من هذا الكتاب تحت عنوان « إذا كان طفلك متخلفاً »

وإذا قبل طفلك فى مدرسة عامة أو مدرسة خاصة خارجية فلا تحاول أن تخفى حالته عنها ، بل اكشف عنها لمدرسه بصراحة تامة ،

وفى مقدور المدرس النابه العارف بأصول مهنته أن يشرح تلك الحالة لباقى الأطفال ، حتى إذا جاءته النوبة فى حجرة الدرس ، فلن يحدث فيه إلا قليل جداً من الهرج والمرج كذلك يجب عليك أن تتخذ المدرس موضعاً لثقتك إذا كان طفلك معرضاً لنوبات الصرع الخفيف لأنك إن لم تفعل فقد يخطىء المدرس « أو المدرسة » فيظن أن فقدان وعيه هو عدم انتباه منه للدرس فيلومه على شىء لا حيلة له فيه .

وإذا كان لك أبناء غيره ، فقد يسرهم أن يعاونوك فيما تحاوله من مساعدة أخيهم المصروع (أو أختهم المصروعة) على أن يشعر أنه محبوب ومرغوب فيه ، وأنه واحد منهم ، كما أن فى استطاعتهم أيضاً أن يجعلوا حياته وحياتهم تعسة بائسة . والأمر فى كلتا الحالتين موكول إليك ، وإذا قال الأبوان إن أبناءهم الآخرين « يسببون لهم مشاكل بسبب وجود أخيهم المريض » فإن الحقيقة التى لا شك فيها أن عدم تكيف الأبناء الآخرين ليس ناشئاً من وجود الطفل المصاب بالصرع بل سببه سوء تصرف الأبوين .

وإذا كانت النوبات تربك الأبوين وتشغلهما ، وإذا كانا ينظران إليها نظرة الرعب والفزع ، وإذا أخفيا أمرها عمن يجب أن يعرفها ، وإذا ما عومل الطفل المصاب بالصرع معاملة أشد غلظة

أو أكثر ليناً وتسامحاً من سائر أطفال الأسرة فلا مفر من أن يشعر إخوته أن مرضه يسبب الشقاء لبيت لولاه لكان بيتا سعيدا ، وإذا هم يظهرون استياءهم وشعورهم بالعار بأن يسلكوا فى البيت سلوكا غير مرغوب فيه . أما إذا عومل الطفل الذى تعتريه نوبات الصرع على أنه أولا وقبل كل شىء طفل كسائر إخوته . وأن مرضه عارض لا أكثر ، وإذا ما شرح مرضه لغيره من الناس شرحا صريحا لا يشوبه شىء من الاعتذار عنه ، فإن إخوته سيرون أنه هو ونوباته من الأمور الواقعية، ويقبلونها قبولا حسنا كما يقبلها الأبوان أنفسهما .

وإذا ما بلغ أبناؤك السويون السن التى تجعلهم جديرين بالثقة ، فعلمهم ما يجب أن يفعلوه وما يجب ألا يفعلوه إذا حدثت لأخيهم نوبة صرع ، واطلب إليهم أن يطبقوا ما علمتهم إياه إذا حدثت لأخيهم نوبة فى أثناء غيابك . وإذا ما امتنعت عن التأثير فى عواطفهم نحو أخيهم « المسكين » أو أختهم « المسكينة » ولم تطلب إليهم أن يكون ما يبذلونه من العناية نحو أخيهم أو أختهم واجبا مفروضا عليهم ، فإن التبعة التى تلقى عليهم ستجعل الأخ المريض عزيزاً عليهم ، لأننا جميعاً ننزع إلى أن نحب أى إنسان يلقى منا حنوا وعونا طائعين مختارين . وإذا ما استثنينا هذا فإن سائر أفراد الأسرة يجب ألا يشعروا بحال من الأحوال

أن الطفل المصاب بالصرع يجب أن يلقى معاملة تختلف عن التى يلقاها سائر الأطفال .

وأكبر الظن أنك ستحس بمشكلة خطيرة فيما يجب أن تقوله لجيرانك ، وطبيعى أنك لا تريد أن تعلن فى كل مكان تحل فيه أن طفلك مصاب بالصرع، ولكن الذى سيحدث عاجلا أو آجلا أن شخصاً ماسيراه فى أثناء إحدى النوبات . أما الذى يصح أن تفعله إذا ماتطلبت الظروف هو أن تتحدث عن مرض ابنك كما تتحدث عن أى مرض آخر كالحصبة مثلا ، دون أن تجعل لهذا الأمر أهمية خاصة أو أن تخص بمعرفته بعض الناس . وفى وسعك فوق هذا أن تفعل الشىء الكثير فى زيادة معلومات الناس عن الاضطرابات التشنجية ، وذلك بطريقة هادئة غير مسرحية . وما من شك فى أنك ستجد عدداً قليلا من الناس لا يزالون متمسكين بخرافاتهم وأوهامهم ، وقد يصيبك أنت وطفلك من هؤلاء أبلغ الضرر بالابتعاد عنه .

ولكن فى أكبر الظن سيرضيك ويسرك ما تلقاه من قبول حسن بوجه عام ذلك أن الكثرة الغالبة من الناس رحماء مشفقون بغريزتهم ، فإذا وجدتهم قساة غير متسامحين فمنشأ ذلك هو الجهل .

أما من حيث طفلك نفسه، فكن معه صريحاً فيما يختص بمتاعبه الجسمية والاجتماعية وسم له عجزه باسمه الحقيقى ، ذلك أنه ليس فى وسعك أن تكافح ما يعانيه من اضطراب عصبى ، وأن تضع هذا الاضطراب فى مكانه الصحيح إلا إذا أخذت أنت وهو الأمر على حقيقته الكاملة — ومكانه الصحيح هو أنه ظل ألقى على حياة كاملة سعيدة ، ولكنه أبعد ما يكون عن الظلام التام .

الفصل الخامس

إذا كان طفلك ضريراً أو ضعيف البصر

إن إنجاب طفل مكفوف يجلب لوالديه من الحزن قدراً لا يشاركهم فيه الكثيرون على وجه الأرض . ولا حاجة بنا إلى إيضاح ذلك ، فمنذ القدم والمكفوف يستثير الشفقة ، وعاهة فقد البصر أو ضعفه ضعفاً خطيراً تعتبر حرمانا كبيرا و إقلاقاً ، فلا عجب إن تحملها طفل يشعر من يحبه بأن مصابه غير محتمل .

وقد استطاعت العلوم الطبية أن تعالج ضعف البصر أكثر مما كانت تستطيع معالجته من جيل مضى ، وأصبح هناك بعض العمليات الجراحية الجديدة كما أن استعمال مستحضرات السلفا والبنسلين يوقف استفحال إصابة العين . والأطفال كذلك يلبسون الآن النظارات الطبية فى سن مبكرة عن ذى قبل ، وحتى النظارات ذات البؤرتين يمكن أن توصف الآن للأطفال قبل دخولهم المدرسة . وينبه أطباء الأطفال إلى عيوب البصر . ولكن مع هذا كله يفقد بعض الأطفال بصرهم دون أن يخطىء فى حقهم أحد .

إن أعيننا تعتبر من أعز ما نملك، ولذا يظن أغلبنا أنه لا يمكن أن تكون هناك حياة سعيدة أو حتى معقولة لأى شخص فقد بصره ، فإذا كان طفلك مكفوفا فإنك يجب أن تفكر فى الرجال والنساء الذين كف بصرهم ومع ذلك نجحوا نجاحاً بارزاً فى الناحية الفنية والسياسية والفكرية والاقتصادية لتطمئن نفسك ، و يجب أن تذكر أيضاً العدد الكبير من الأفراد المكفوفين ؛ أطفالا و بالغين ، الذين احتلوا مراكز مرموقة والذين يعيشون أيامهم فى ثقة واستمتاع

و يتوقف مستقبل طفلك أولا على ما يحصل عليه من مساعدة خاصة من والديه . وهناك عوامل أخرى تؤثر فى مشكلته إلا أنها مسئوليتك قبل كل شىء إذا كان مبتئسا أو ضعيفا . أو إذا كان سينطوى على نفسه أو ستكون له الرغبة والقدرة على الحياة السعيدة ذات الهدف .

والشىء الهام الذى يجب عليك أن تتذكره دائما أن ابنك طفل أولا وطفل ذو عاهة ثانيا وليس من السهل عليك أن تحافظ على هذا الاتجاه إزاء الصغير لأن فقد البصر سيكون دائما مصدر حزن كبير فى طريقة معيشته ونموه وتعليمه . وسوف تكون مدفوعا إلى الشفقة عليه . إلى الحد الذى تجد فيه نفسك عاجزا كلية عن التعامل معه على أنه شخص عادى .

ويجب عليك لمستقبل طفلك وحاضره كإنسان يتعلم ويحب ويعمل فى نفس الحياة مع الأفراد الآخرين — بالرغم من عجزه الجسيم — يجب عليك أن تنسى حزنك على مصابه حتى تكون لديك القوة والإخلاص فى مساعدته كى يساعد نفسه . وإن سلوكك وتصرفاتك سوف تحدد سلوك وتصرفات باقى الأسرة . فإذا عاملته على أنه شخص مصاب عاجز يستحق الشفقة فإنهم سيعاملونه بالمثل ، لكنك إذا تصرفت معه دائماً على أنه طفل له كل الحقوق للاعتماد على نفسه واحترام ذاته مثل جميع الأطفال فإنهم سيتبعون نفس المنهج وإن الوسيلة التى تجعل بها طفلك يعتمد على نفسه ليحيا حياة سعيدة قدر المستطاع يمكن أن تطبق سواء كان أعمى كلية أو ضعيف البصر . وفى الواقع إن عدد المكفوفين عادة أقل مما نعتقد ، وإن الكثير مما نسميهم مكفوفين يمكنهم تفرقة الليل من النهار ورؤية الأشياء الكبيرة .

والتعريف الفنى للعمى هو عـــدم القدرة على الرؤية من مسافة عشرين قدماً ما يراه الأشخاص سليمو البصر على بعد مائتى قدم ، وليست انعدام البصر كلية . ونحن نستعمل لفظ أعمى على هذا المعنى الطبى العام . ورغماً عن ذلك فإننا فى حياتنا اليومية وللأغراض العملية يجب أن نشعر بنوع من الارتياح حينما نسعى لإكساب طفل ضرير

لا يرى — قسطا ضئيلا من الإبصار ، وهذا لاشك يعتبر مساعدة كبيرة له وخاصة فى انتقالاته وحركاته .

فإذا كان طفلك مكفوفا منذ طفولته المبكرة فإن لك أيضاً قدراً بسيطا من العزاء لأنك تعلم أنه لا يستطيع أن يقدر مدى حرمانه . وحيث أنه لم يعرف مطلقا ما هو البصر فلن يكون له نفس الشعور بأنه فقد شيئا . ذلك الشعور الذى تحس به إذا أصبت بالعمى الآن . وإن إحاطة ما فقده بالشفقة والاهتمام يفوق سوءاً وضع الملح فى الجرح ، فإنه يؤدى فقط إلى خلق جراح لا وجود لها فى ذلك الوقت والأمر الهام هو أن تشجع طفلك كى ينمى ما لديه كحواسه الأخرى وجسمه وعقله لا أن تؤثر عليه بالأسف على ما فقد .

وغالباً ما تغلب على الوالدين العواطف القاسية العنيفة حينما يعلمان أن طفلهما أو وليدهما مكفوف . ولا يستجيب طبعاً فردان من الناس لنفس الصدمة بنفس الطريقة ، ولكن عادة ما يتساءل والدا الأطفال المكفوفين « لم يحدث لنا مثل هذا الشىء الأليم ؟ » كما يشعر الوالدان بمرارة لحدوثه وإذا غمرك الشعور بالصدمة والثورة لذلك فلا تخجل من طلب المساعدة للتغلب على هذه العواطف الطبيعية . وسواء استعنت أولا برجل الدين أو الواعظ فإنك ستجد المساعدة التى

تقدمها الإخصائية الاجتماعية ذات قيمة كبيرة ، لأنها تعاونك على مواجهة المواقف وضبط عواطفك والوصول إلى الطريقة التي تمكنك من توجيه حياتك وحياة طفلك بشكل مرض .

ويمكنك أن تنال خدمات الإخصائية الاجتماعية من العيادات التي قد تكون علمت منها أن ابنك مكفوف ، أو عن طريق المؤسسة المحلية المكفوفين أو مؤسسة رعاية الأسرة[١] والطفل فى المنطقة ، أو بالاتصال بالإدارة الحكومية لخدمة المكفوفين والأطفال العجزة .

ولا شك فى أن الأمر يحتاج لبعض الوقت لتغيير اتجاهك ، فستصل عاجلا أو آجلا إلى مرحلة تعتبر عجز ابنك ليس بكارثة تهدد حياته برمتها رغماً عن شعوره بخطورة عجزه . ويمكنك أن توجه حزمك إلى تدبير الوسيلة لتعليمه النواحى العملية ، بل الأهم منها المعلومات العامة للحياة .

ويفضل بقاء الطفل فى المنزل فى فترة الحضانة والطفولة المبكرة عن بقائه فى مؤسسة أيا كان نوعها ، ذلك أنك لا تحتاج إلى تدريب خاص فى إمداده بحاجاته الأساسية التى لا تختلف عن حاجات أى طفل آخر . . وهناك قبل أى شىء الحب الذى هو بطبيعة الحال أقيم شىء فى

---

(١) يعادلها فى مصر المؤسسة النموذجية لرعاية المكفوفين وجمعية النور والأمل.

الحياة الأسرية ، ولست فى حاجة إلى أن يطلب منك أن تعطيه له ، ولـكن كن متأكداً أن حبك هذا غير مقرون بالحماية الزائدة . أى الحب المخلص لذاته ، وليس ذلك النمط من الحب العاطفى الذى يعتبر محاولة لتعويضه عن فقد بصره .

وهناك أيضاً الشعور بالأمن . هذا الشعور الذى يستمر طـوال الحياة ولا يمـكن أن يحس به إلا فى منزله . وإن إعطاءه لطفلك مبدأ يتساوى فيه مع باقى الأطفال ولـكن يجب أن تراعى الدقة والإيجابية فى تطبيقه .

ويتأثر طفلك بالخوف أكثر مما لو كان بصره سليما . ذلك لأن مخيلته التى لا تتمكن من أن تتبين سوى الصور المطموسة ، أو لا تتمكن من رؤية شىء ألبتة مخيلة مشوشة ومليئة بالأشياء المجهولة ، وخير مثال لذلك عندما يسمع أصواتاً لا يمكنه تحديد مصدرها وهو أكثر من الطفل الطبيعى فى حاجته إلى أن يكون قادراً على أن يثق فى شىء ما . وحيث إنك أنت الشخص الذى يترجم له العالم الذى حوله فعليك أنت أن تكون مصدر طمأنينته .

يجب أن يـكون دائماً قادراً على الاعتماد عليك فى استفساراته . فلا تـكذب عليه وإلا قوضت ثقته فيما قد يـكون الشىء الوحيد الذى

يحس بحقيقته . وتجنب تهديده فإن أشياء كثيرة تخيفه بطبيعتها . و إن التنظيم فى الأعمال اليومية كمواعيد الطعام والنوم يفيد فى تقليل حيرته وقلقه ، ومن ثم فإنه من الأهمية بمكان أن يشعر طفلك بالأمن .

وهذه هى ميزة حسن النظام ، فإذا عرف مثلا أين توضع دائماً ملابسه فلن يحتاج إلى البحث عنها . وواجب عليك لنفس السبب أن تعلمه النظام ،وأن يضع أشياءه فى أماكنها فهذه سوف تفيده أيضاً طول حياته .

والحاجة النفسية الثالثة التى يشترك فيها جميع الأطفال هى أن يشعروا بلذة القدرة على الأداء . وهنا تحول الكثير من هذه الفرص دون تذوق هذه اللذة ولكن يمكن فتح آفاق جديدة لتذوق هذه اللذة عن طريق التدريب الصحيح الذى يتيسر حينما تقوده أو توجهه فى أى عمل يتيح له فرصة الشعور بالنجاح ، مثل تذكر الأنغام أو العزف على الهرمونيكا أو البناء بالمكعبات

وهناك مبدآن عامان يطبقان باستمرار منذ سنين طويلة يفيدان كثيراً فى جعل الطفل مساهماً فعالاً فى الحياة بدلا من هروبه منها نتيجة لشعوره بفشله . أولهما: ألا تؤدى له أبداً ما يمكنه عمله بنفسه . وليس من القسوة أن تقف ساكتاً بينما هو يمديده ليمسك «بخشخيشته» ، بينما تستطيع أنت أن تضعها بسهولة بين أصابعه ، بل إن منتهى الشفقة والإيثار منك أن تتحكم فى

أعصابك حتى لا تساعده . يسر له أن يفعلها بنفسه وأن يبتهج لذلك .

وبانقضاء أسابيع وشهور وسنى حضانته وطفولته المبكرة ، لا تغير من طريقة تصرفك معه لأنك إن فعلت كل شيء له ، أو دللته بدافع الشفقة على عاهته جعلته أكثر عجزاً ، وأضفت عاهة أخرى إلى عاهته . فالطفل الذى لا تتاح له فرصة مساعدة نفسه لا يفقد المهارات والقدرات المكتسبة فحسب ، ولكنه يفقد أيضاً استقراره العاطفى ؛ لأنه لا يتمكن من الحصول على الشعور الحيوى بالرضا نتيجة القدرة على إنجاز الأعمال .

ومن الضرورى أن نتبع سياسة السماح بالتقدم مع معظم الأطفال ، لأن العملية الطبيعية للتعلم والنمو تقوم بالباقى ولكن تعليم طفلك يختلف فى طريقته عن الطفل المبصر ، لذا يتحتم أن يكون للبرنامج الذى يتيح له فرصة الشعور بإنجاز الأعمال نواحى إيجابية أخرى ، نقصد بذلك تعليمه وتشجيعه على أن يقوم ببعض الأعمال التى يقوم بها الأطفال المبصرون بأنفسهم .

وخير لك أن تتبع فى توقيتك لتعليم ابنك إرشادات طبيب الأطفال أو الطبيب العام ذى الخبرة بتطور نمو الأطفال ، لأنك إذا أقحمت طفلك فى أنواع جديدة من النشاط قبل أن يكون معداً لها لن تنال إلا خشيته من أدائها .

لا تقلق بالك على عقليته إذا تأخر بعض الشيء في المشي أو الكلام ، ولا تهتم بمستوى ذكائه لأنه قد يتأخر بسبب عاهته عن باقي الأطفال الأصحاء في مقدرته على أداء الأعمال . ذلك لأن محاكاة الطفل لما يراه يلعب دوراً كبيراً في نموه ، لأنه لا يكون قادراً على التعلم بالرؤية فقط ، ولكن الكثير مما حوله لابد وأن يحدث له ارتباكا ، وقد يحاول بدون جدوى أنه يجد المعنى الحقيقي لها .

وكخطوة أولى لمساعدة طفلك على اكتساب اعتماده على نفسه اتركه وحده يلعب ببعض اللعب البسيطة .

فإذا كانت لديه أية قوة على الإبصار فلتعمل على إحاطته بالأشياء البراقة اللامعة وكذا أدوات لعبه ، فقد يجذب البعض منها انتباهه . علق أجراسه «وخشاخيشه» في مهده ، ثم في مكان لعبه فإن أصواتها تستثيره .

ومن المحتمل أن تضطر إلى مساعدة طفلك كي يقف في المكان المسور للعبه ، ولن يحاول هو الوقوف بمفرده كما يفعل الطفل المبصر ؛ إذ أنه لا يرى شيئاً يستطيع التعلق به ، ومن المحتمل أيضاً أن تعامه كيف يخفض قامته ، وهي قدرة يكتسبها الأطفال الآخرون بعد تعلمهم الوقوف . وقد تضع بعض الوسائد لتحميه من الخبطات التي قد تصيبه والتي لا تحب له أن يمر بها .

سوف يحتاج طفلك إلى تعلم المشى لأسباب عديدة . أحدها : أن بعض الأطفال المكفوفين يستمرون فى مرحلة الحبو التى عادة ما تسبق المشى؛ لأنهم لا يجدون شيئاً يدفعهم لترك هذه المرحلة. والآخر: أن طفلك لا يستطيع أن يتعلم بمحاكاة ما يراه . ولانعدام خبرته بالفراغات أيضاً فإن الدافع لتحركه من مكان لآخر يكون قليلا ، ولحسن الحظ أن تكون لديك القوة كى تتغلب على ميل طفلك للسكون .

وعندما يقول لك طبيبك أو عندما تجد طفلك مستعداً ليبدأ تعلم المشى ، ساعده بمسك كلتا يديه ، وليس الغرض من ذلك فقط أن تزيد ثقته ، بل كي تمنعه أيضاً من أن يمد يده باستمرار أمامه . تلك العادة الطبيعية للمكفوفين التى يستحسن أن تقوم قبل أن تصبح سلوكا معتاداً ثابتاً لديه

وجه خطوات طفلك ، من غير أن تجذبه أو تدفعه ، فهو سيميل إلى وضع أطراف أصابعه أولا لكى يتبين طريقه . لذلك عاونه كى يضع كل أصابع رجليه على الأرض مرة واحدة كى يتعلم المشى بطريقة صحيحة وبوضع سليم . وهو يحتاج أيضاً إلى أن يرفع رأسه . وطبيعى أن يبقيها منخفضة إذا ترك وشأنه ، لأنه أولا لا يجد ما يدعوه إلى النظر إلى أعلى. وقد يوافق بعض الأطباء على استعمال الوسائل المعينة على المشى ، وقد لا يوافق عليها آخرون ، وعليك أن تتبع نصائح طبيبك .

وعندما يصبح طفلك قادراً على المشى بمفرده ، يسر له الفرص التى يمارس فيها المشى حتى لو تعثر ، وشجعه على الاستطلاع استثر رغبته فى التنقل من مكان إلى آخر ، واجعله مثلا يتعلم الطريق بين حجرة الجلوس والمطبخ حيث يحصل على بسكوتة أو كوب من اللبن .

شجعه أيضاً على مسك الأشياء وتعلم استعمالها ، مثال ذلك : يمكنك أن تصف له «الكرسى الكبير المريح الذى يجلس عليه الوالد فى المساء» و يمكنه أن يتحسسه وأن يجلس عليه

وتعتبر حاسة اللمس بالنسبة له إحدى الوسائل الهامة للتعليم ، وعلى قدر ما يسمح له بممارستها سيصبح تدريجياً أكثر حساسية وأكثر نفعاً . راع أن يكون الأثاث موضوعا دائماً فى أماكنه المعتادة حتى تقيه من السقطات التى لا داعى لها ، وما يترتب عليها من تثبيط عزمه ، ودرب باقى الأسرة على أن يفعلوا مثلك .

ولا حاجة إلى القول إنه كلما قلت أدوات الزينة القابلة للكسر و كلما قل الضجيج فى المنزل كان أفضل . و كما يحتاج الطفل الذى أصيب بالعمى فى طفولته المبكرة إلى تعلم المشى يحتاج أيضاً إلى تعلم القفز والجرى . ابدأ معه فى كل مجموعة جديدة من الحركات المترابطة داخل المنزل ثم شجعه على ممارستها فى الخارج بعد ذلك . وسوف يتألم قلبك كثيراً من التقويم والتوجيهات

المملة التى تقدمها له لكى يتمكن من اكتساب المهارات. تلك المجهودات التى يحصل عليها غيره من الأطفال تلقائياً وبسهولة. ولكنك ستجد الشجاعة لتستمر فى تعليمه إذا وضعت هدفك دائماً فى الذاكرة، وهو « أن تحرر طفلك من الأزمات الجسمية والعاطفية عن طريق الأعمال التى يمكنه أداؤها».

ويحتاج كل الأطفال الصغار إلى تدريب بسيط فى أكلهم، أما طفلك فسيحتاج إلى الكثير منه، فعندما تبدأ فى تعليمه كيف يستعمل الفنجان أو الكوب أو الملعقة أو الشوكة، ضع يده عليها وساعده على حملها إلى فمه. كرر ذلك كثيراً حتى يصبح هذا العمل تلقائياً. قدم لطفلك طعامه فى وعاء ذى حافة أو فى « سلطانية » حتى يتجنب سكبه، وحذار أن توبخه إذا سكب طعامه.

ابدأ منذ وقت مبكر فى تعليم طفلك ارتداء ملابسه، وعليك أن تبدأ معه بأسهل خطوة، وهى رفع جوربه وهكذا يتيسر تدريب الطفل وتعليمه عن طريق حاسة اللمس وبتوجيه يديه ومصاحبة ذلك بوصف بسيط لطريقة ارتداء الملابس فيقال مثلا « هكذا يلبس القميص. هذا هو ذيل القميص. يوضع بعد ذلك فوق رأسك وينزلق هكذا »

اجعل طفلك راغباً فى مساعدة نفسه عن طريق معرفته بأنه يساعدك إذا ما فعل ذلك وذلك لأن القيمة الانفعالية للشعور بأن الفرد يسهم فى عمل ما ذات قيمة كبيرة لأولئك الذين يعتمدون على غيرهم فى نواح متعددة .

وهناك فائدة عملية أيضاً بجانب عملية الأداء نفسها وهى التحكم فى العمليات المعقدة مثل فتح وغلق الزراير . فهى تساعد على تنمية عضلات الأصابع الدقيقة التى سيكون فى حاجة لها مستقبلا فى القراءة بطريقة بريل Braille وفى استعمال الآلة الكاتبة .

ولا شك فى أن الصوت يلعب دوراً حيوياً بالنسبة للأطفال المكفوفين ، فهو وسيلتهم الوحيدة للاتصال ، لأنهم لا يستطيعون أن يستجيبوا لتعبيرات الوجه أو حركات اليد ومن ثم فإنه من الأهمية بمكان أن نجعل نغمة صوتك مرحة ومعبرة عما ترغب الإفصاح عنه ويجب أن تحتل الموسيقى مكاناً كبيراً فى حياة طفلك ويمكنك أن تقدمها له فى وقت مبكر فى صورة أغانى المهد ، وإذا مارست هذا الغناء فإنه لن يشعر بالسرور من النشاط فحسب ، بل سيحس أيضاً بأنه قادر على أن يسهم بشىء متعاونا مع والدته أو والده . ومن أسباب تفضيل

الموسيقى كذلك أن النغم يؤكد التناسق، و يشعره بالأمن تبعاً لذلك وما يترتب عليه من توكيد الذات .

تحدث مع طفلك منذ وقت مبكر فهو يعتمد كثيراً على الكلمات لأنها إحدى الوسائل الهامة لتعلم ما فى عالم لا يراه . علمه كيف يتوجه إلى المصدر الذى تأتى منه الأصوات التى يسمعها وكن عينيه عن طريق وصفك أشياء يفهمها و يلمسها ويحسها و يشمها ويسمعها يجب عليه أن يكون قادراً على تركيب الألفاظ والأشياء لكى يحصل على ما نحصل عليه نحن بالبصر . و بقدر ما تستطيع أن توضح له مثل هذه الارتباطات سوف تتوسع مداركه ويكون أكثر تحرراً من القلق .

لا تضجر أبداً من إجابة أسئلته لأنه يجب أن يسأل ليتعلم أكثر ممايصنع الطفل المبصر . فإذا أردت أن يعمل شيئاً أو إذا أرسلته لإحضار شىء ، وضح له ذلك بطريقة مبسطة وبالتفصيل على قدر المستطاع . فمثلا «اذهب الآن ياعزيزى واغسل يديك، تذكر أن فوطتك معلقة على يمين الحوض » أو « هل لك أن تحضر حقيبتى ؟ إنها موضوعة على المنضدة الصغيرة التى تلى الأريكة الكبيرة » وهكذا .

اقرأ له كى تنمى قدرته اللغوية وتوسع أفقه ، وتفضل الكتب

الواقعية التى تمده بمعلومات عن طبيعة الأشياء ، يسر له فرصة الاستماع لبعض التسجيلات الغنائية المناسبة لصغار الأطفال مما يمكنك العثور عليها محلياً ،ويسر له فرصة الاستماع إلى الراديوولكن دون إفراط . وتذكر أنه بالرغم من أن طفلك يستفيد من الاستماع إلا أنه يحتاج أكثر من ذلك إلى أن يمارس بعض أساليب النشاط الإيجابى . اصطحبه إلى مختلف الأماكن واجعل هذا التنقل جزءا من تربيته ، واشرح له أولا ما قد يتوقع أن يجده ، فمثلا اذكر له عندما تكونان فى الأوتوبيس ما قد يحدث عندما تدفع ثمن التذاكر ، وصف له موضع الكراسى فى أثناء سيرك فى الممرات ، ويسر له فرصة اكتساب خبراته أيضاً عن طريق العمل ، فمثلا قد يمكنك توجيه يديه نحو الجرس حتى يتمكن من جذبه عندما تهمان بالنزول .

ومحل الفاكهة مكان آخر يمكنك أن تنتفع به فى التعلم فقد يساعدك على انتقاء التفاح أو البرتقال ، وعندئذ يتعلم شكلها ورائحتها ويحس بها .

انتهز الفرصة أيضاً لاصطحابه فى الزيارات واستثر فيه مجموعة من التوقعات اللطيفة كأن تقول له مثلا « ستسر جدتك لرؤيتك فى ردائك الأحمر الجديد »

أو « إن العمة لديها كاب صغير يحب أن تربت عليه » وسواء كان فى المنزل أوخارجه تأكد دائماً أن تجعله يعرف بأن هناك أشخاصا آخرين حاضرين ، وذلك بتعليق هادئ طبيعى .

وتأكد من أن طفلك يلعب مع غيره من الأطفال حتى قبل أن يصل إلى سن الذهاب إلى المدرسة ، وطبيعى أن يكون خجلا نتيجة لمخاوفه العامة ، ولكن إذا سمح له أن ينطوى على مشاعره لن يكون مستعداً لأخذ مكانه فى الحياة .

ادع إلى منزلك أطفالا ولو كانوا أقل منه سناً ، واجعلهم يفهمون ما تراه ضرورياً عن عاهته . فمثلا هناك بعض الألعاب لا يمكنه أن يلعبها معهم ، وحبذا لو تشرك أمهاتهم فى مساعدتك لإيضاح ذلك لأبنائهم . ولكن حذار من أن تنضم إلى صف ابنك فى خلافاته مع رفقائه فى اللعب ، لأنك إن فعلت فإن هذا يعادل تماماً شعورك بالأسى . هذا الشعور الذى يتضمن اعترافك بدونيته ، الأمر الذى يترتب عليه جرحك لاحترامه لذاته .

وكثير من الآباء يرسمون الخطط لأطفالهم ، ويتدخلون فى كل حركة يأتونها بدافع الخوف والقلق عليهم . ولكنك لا تساعد طفلك حينما تحول دون تفكيره وتعترض سبيل أعماله ، وهذا ينطبق خاصة على

الأطفال المكفوفين الذين يحتاجون بشدة لممارسة المبادأة والاقتناع بسلامة تصرفاتهم .

ولا شك فى أنك إذا أتحت الفرصة لطفلك فى تقرير الأمور البسيطة مثل ما يتناوله فى إفطاره أو ما يرتديه من ملابس فإن ذلك لا يسره فحسب، بل سيساعده فى حياته . ويجب أن يكون التنظيم للطفل الكفيف مثل التنظيم لأى طفل آخر — وسيلة لضبط النفس أكثر منها للعقاب . فلا شك فى أن جميع الأطفال يشتركون فى حاجاتهم لاكتساب عادات الإخراج والأكل والنوم رغماً عن أن مثل هذه العادات يتم اكتسابها عند الأطفال المكفوفين فى وقت متأخر قليلا .

وقد تجد لطفلك بعض الحركات التى تعتبرها « لازمة » فقد يلوح بأصابعه أمامه أو يضعها فى عينيه أو أذنيه أو يحك أعينه أو يهز جسمه أو قد يغطى عينيه بيديه . وتوجد نظريات كثيرة تفسر أسباب هذا السلوك فى الأطفال المكفوفين ، ولكن لا يوجد خلاف فى طريقة تناولها . فاللوم لا يفيد ، ولكن عن طريق شغل الطفل فى أمور متعددة تزول هذه العادات وتختفى .

وعموماً إذا عملت على أن يكون طفلك واثقاً من نفسه ، وأعطيته الأمن والثقة بالنفس، وأمددته بكل أنواع الخبرات الممكنة التى لا تعتمد على

البصر فسيكون حسن التكيف ، وطبيعى فى كل ناحية عدا القدرة على النظر، وذلك عندما يصل إلى السن المدرسى .

وقد لا يكون طفلك مكفوفاً عند ولادته أو فى طفولته المبكرة ، بل فقد بصره بعد سن الخامسة نتيجة حادث أو عدوى أو تطور مرض، فسوف يختلف فى هذه الحالة عن الطفل الذى ولد مكفوفاً لأنه يكون قد كون بعض الصور فى ذهنه ،ولن تكون مضطراً لأن تفعل له كل ما يحتاج إليه ، ولكن ساعده أن يتذكر أفكاره عن الأشياء التى رآها بالوصف المختصر . فمثلا « الأوتوبيس الكبير الأخضر الذى نركبه باستمرار » أو « المنحدر الأخضر خلف منزل الجدة » وطبيعى أنه كلما كانت إصابة الطفل بالعمى فى سن متأخرة أصبح إحساسه أكثر عمقاً ، وأصبح أشد انطواء عن الطفل الذى ولد أعمى والذى لا يحس إطلاقاً بهذا الشعور ، أو يشعر به بدرجة أقل كثيراً

ورغماً عن ذلك فإنه ليس من العسير أن تتصرف بحكمة إزاء حزن ومرارة الطفل الكفيف الذى عرف معنى البصر ، فإذا لم تشاركه سخطه على القدر فإن تصرفك إزاء عذابه قد يفيد كثيراً فى التأثير عليه ، ويمكنه من أن يشعر بأن حياته ما زالت قيمة . اجعله يستمر فى الاهتمام بكل الأشياء التى لا تستدعى البصر، والتى كان يهتم بها قبل

عرفه بأنك مدرك لمشاكله ومصاعبه ، ولكن لا تقلقه بالمتناقضات ولا تذله بالشفقة عليه .

وإذا كان طفلك قد فقد بصره بعد تعلمه القراءة ، لا تتوقع منه أن يواصل تقدمه بنفس السرعة ، لأنه لن يتمكن من القراءة بطريقة بريل مثل ما يقرأ المبصرون بطريقة الطبع ، ولكن إذا تأخر فى أعماله المدرسية فليس معنى ذلك أنه لن يتمكن من مواصلة دراسته فقد تخرج الكثيرون من الأولاد والفتيات المكفوفين من المدارس العالية بل ومن الجامعات أيضاً . وإن يكن ذلك يحدث متأخراً عاماً أو عامين عن باقى المجموعة المبصرة .

وفى معاملة الطفل الكفيف سواء الكفيف ولادياً أو الذى أصيب بالعمى فى طفولته المبكرة ، يجب تطبيق المبادئ العامة التى تتمثل فى تنمية الثقة بالنفس وزيادة الفرص للتجارب ولاستثارة النشاط بدلا من الخمول ، وتشجيع العلاقات مع غيره . وليس من الضرورى بطبيعة الحال أن نعلمه الأشياء الأولية كالمشى والأكل . ومع ذلك قد يحتاج إلى أن نعيد تعليمه لها بعض الشىء حتى يستعيد استفادته منها إلى أقصى درجة .

وبالنسبة لدراسة الطفل الكفيف فإن البرنامج يجب أن يسير فى

نفس الخطوط بدون النظر إلى السن الذى حدثت فيه الإصابة بالعمى، ويحسن أن تتصل بالمدرسة المحلية للمكفوفين بمجرد أن تتأكد أن طفلك مكفوف . إذ تحوى مثل هذه المدارس بعض المختصين فى تعليم العميان . وحتى لو كنت تعيش بعيداً عن المدرسة يمكنك أن تستفيد من توجيه خبرائها فى الوقت الذى يسبق دخول ابنك المدرسة . وأعد طفلك فى نفس الوقت لترك المنزل إذا آن الأوان ،وذلك بتصوير المدرسة له على أنها مكان سيقضى فيه وقتاً طيباً فى التعليم واللعب وتكوين الصداقات .

وتحتوى بعض المنظمات على رياض للأطفال ودور للحضانة للأطفال المكفوفين ،وقليل من الأحياء بها فصول دراسية نهارية لهم ، وسوف يكون فى إرسال طفلك إلى المدرسة الداخلية سواء الخاصة أو العامة تعويض مناسب لعدم حصوله على الدراسة وحيث إنه لا يتمكن من الاستفادة من المطبوعات التى يعتمد عليها التعليم اعتماداً كلياً فسيحتاج إلى دراسة متخصصة عالية، ومعدات غالية الثمن ، وتقدم المدارس الداخلية التابعة للدولة أو الفصول النهائية المحلية هذا التدريب مجاناً ، فإن لطفلك الحق فى هذا التدريب مثل ما لغيره من الأطفال فى التعليم العام .

وسوف يكون هناك بالرغم من ذلك صعوبة فى إرساله إلى المدرسة ولكنك ستجعلها ذات فائدة إذا نظرت إليها على أنها فرصة له وسوف يتمكن فى المدرسة الداخلية من تعلم القراءة والكتابة والحساب فى كل المراحل بما فيها المرحلة الثانوية .

وسوف يسر من مصاحبته لأطفال مثله ، وربما كون صداقات تستمر طول حياته .

وسوف يكون أكثر نجاحا فى مناقشته لهم أكثر مما لو كان بين أطفال غير عجزة . كما أن أساليب النشاط الترويحى تقابل حاجات ومطالب معينة لديهم، فمثال ذلك أن الأطفال فى مدارس المكفوفين يتسابقون وهم يربطون خيوطا ملفوفة حول أصابعهم ، أو يستعملون الحبال الموجهة ، وسوف يتدرب طفلك فى المدارس الداخلية أيضاً على استعمال يديه ، وهى ذات أهمية للمكفوف ، لا على أنها مهارة عملية مؤقتة وكخطوة نحو التدريب المهنى فحسب ، ولكن لإعطائه أيضا الرضا عن طريق الابتكار . فقد مضى العهد الذى كنا نتصور فيه أن العمى يرتبط بالعكاز أو العصا الموجهة ، وأصبح الطفل المكفوف الآن يتعلم الكثير من الحرف اليدوية ، مثل صناعة النماذج ، أو شغل الإبرة والنسيج وأعمال النجارة . ويحسن أن تبعث بطفلك إلى المدرسة

حين يقول لك الإخصائى أو الطبيب إنه أصبح قادراً على بدء الدراسة، وسوف لاينفصل عنك فى هذه الحالة ،وسيحضر إلى المنزل فى الإجازات، ويمكن أن تكون على اتصال به دائما ، ومن المصلحة أن يتعلم الكتابة بطريقة بريل، حينئذ سوف يتمكن من قراءة خطاباتك بنفسه بطريقة بريل، وهى طريقة للكتابة على شكل رموز مرتفعة تقرأ باللمس ، وقد تبدو لذلك معقدة ، ولكن الأطفال فى الواقع يتعلمونها بسرعة وسهولة . ويكملها — لأنها بدون شك قراءة بطيئة — استعمال الكتب الصوتية ، وهذه الكتب تساعد الصغار على الإكثار من القراءة فى وقت أقل مما لو كانوا يتمكنون من القراءة بطريقة بريل فقط

ويلتحق بعض الأطفال الذين أصيبوا بالعمى بعد أن أتموا دراستهم الأولية بالمدارس لاستكمال الدراسة العالية . ولا يتملكك شك فى أن التعليم بالطرق الخاصة لاكتساب المهارات المعينة قد فات أوانه ولن يستطيع طفلك ممارسته ، فكل خبرة سابقة له تفيده فى اكتساب خبرات جديدة . أما إذا كان ضعيف البصر فإن التحاقه بمدرسة داخلية خاصة يتوقف على رأى المدرسة والطبيب ، فكثير من المناطق بها فصول المحافظة على البصر للأطفال المصابين فى بصرهم . وقد يحدث من ناحية أن يكون لطفلك قوة الإبصار الكافية التى تيسر له الالتحاق

بهذه الفصول . ومن ناحية أخرى قد يكون طفلك على قدر كاف من قوة الإبصار التى تتيح له الالتحاق بالفصول العادية مع بعض الوسائل الخاصة للمحافظة على البصر

إن العناية الطبية المبكرة مهمة بالنسبة لأية إصابة فى العين ، فمثلا يمكن علاج الحول بالجراحة للأطفال الصغار وعندما تؤثر أمراض كالحصبة على البصر فإن العناية الطبية العاجلة قد تكون سببا للوقاية من عجز دائم .

و يحسن أن تصحب طفلك إلى طبيب العيون الذى يسمى أيضا بإخصائى الرمد ، لفحصه ، إذ لا يوجد غيره لديه المعلومات الصحيحة لتشخيص وعلاج أى شىء يصيب العين ، فمن الرؤية غير الواضحة التى قد تكون علامة لمرض مثل السكر يؤثر على الجسم عامة إلى اللابؤرية (الاستجماتزم) الذى يتسبب من عيب تكوينى فى العين نفسها ، فإن أطباء العيون يتلقون دراسة طبية عامة قبل أن يبدءوا فى تدريبهم المتخصص .

و يجب ألا يستشار إخصائى النظارات بدلا من طبيب العيون ، ذلك لأن خبرته تنحصر فى قياس قوة البصر وعمل النظارة الملائمة .

ولا تذهب أبداً إلى النظاراتى الذى يختص بتجارة النظارات

لاستشارته فيما يختص بعيب فى طفلك فإن النظاراتى يعرف كيف يفصل العدسات ولـكنه غير مؤهل لوضعها .

و يقوم صانعو النظارات فى الواقع بصنع و بيع العدسات بناء على وصف أطباء العيون فقط ،و يشجعون عملاءهم على الذهاب إليهم لفحصها من حين لآخر.

وطالما أن نظر طفلك يتحسن إذا ما ثابر على لبس النظارة فراع أن يكون استعمالها دائماً . ومن المسلم به أن الأطفال يكرهون النظارات ، وقد تضطر إلى أن تتحمل كثيراً كسرها وضياعها قبل أن يقبل طفلك لبسها . حاول ألا تهتم كثيراً بموضوع ضياع أو كسر النظارة و إلا أصبحت أكثر مضايقة عن ذى قبل وفضلا عن ذلك سيحتاج إلى بذل جهد جديد فى تعويد الطفل على العناية الدقيقة بنظارته إذا اتبعت فى ذلك طريقة إيجابية عن طريق تحميله مسئولية المحافظة عليها والافتخار بذلك أمام الآخرين .

وعموماً إذا لم تشعر بأن لبس النظارة مصيبة بل مدعاة للسرور ؛ لأنها تجعل الحياة أكثر متعة ، فإن هذا الشعور سينتقل إلى طفلك ، وكل حقيقة تتعلق بلبس النظارات والعناية بها يطبق على العيون الصناعية على حد سواء .

وبالرغم من أن الناس جميعاً يميلون إلى العناية بالأعمى فإن الطفل الضعيف البصر يكون مادة للتعب ، وقد يسخر منه بعض الأطفال إذا تحسس طريقه أو لبس نظارة أو إذا كان أحول . وقد يهزءون منه أيضاً لكونه مقيد الحركة ، وتكون نتيجة ذلك أن يميل طفلك الضعيف البصر إلى الشعور بأنه مختلف، وأن يصبح خجلا .

واجب عليك أن تنمى فى طفلك مثل باقى الأطفال العجزة الثقة ، وأن تشجعه على تكوين العلاقات مع غيره من الأطفال . وقد يميل الطفل الكبير الذى يعانى من عاهة البصر إلى السخط والتساؤل : « لماذا يكون لى مثل هذا الشكل ؟ » وقد لا تستطيع وحدك إجابته ، وقد تحتاج إلى مساعدة رجل الدين لك و إذا أراد طفلك أن يعرف «غلطة من هذه ؟ » فأكد له بأن لا لوم على أحد فى ذلك . فقد يحاول أن يواجه ضعف بصره وشعوره بأنه مختلف بأن يكون عدوانياً أو منطوياً جداً من ناحية أخرى

تفهم ردود أفعاله هذه ، وحاول أن تمده بالوسائل العامة للتغلب على عجزه ، وذلك عن طريق أدائه أعمالا فى الميادين التى لا تعتمد على البصر ، فالموسيقى والحرف اليدوية مثلا مرغوبة سواء للأطفال الضعاف البصر أو المكفوفين . فإذا كان طفلك الضعيف البصر يعانى من مرض متقدم

فى العين، أو من حالة قد تزداد سوءاً ، كن حريصاً على ألا تجعله يحس بقلقك من أن يصبح مكفوفاً . . ومن الحكمة إذن أن تكيف نفسك لهذا الاحتمال، وأن تداوم الاتصال بالمدرسة الحكومية للمكفوفين، أو بالإدارة الحكومية للتعليم التى يتبعها

ودون أن تتخذ قراراً فى ذلك يسر لطفلك أن يكتسب سعة من الخبرة ومن الميول الجديدة التى لا تحتاج إلى استعمال أى قدر من البصر ؛ حتى يتيسر له أن يعتمد على هذه الخبرات وتلك الميول إذا ما احتاج إليها يوماً فى مستقبل حياته .

و إن العناية الطبية بالعين مهمة بطبيعة الحال لطفلك الضعيف البصر الذى يحتاج إلى أن يتمكن من استعمال كل جزء من بصره . اسأل عن النصائح الطبية والفنية واتبعها بطريقة صحيحة . وتجنب أن يتعرض للأماكن ذات الضوء الساطع .

علمه ألا يرهق عينيه ، وأن يعطيهما الراحة الكافية التى يحتاج إليها بعد استعمالها . و بدون أن تجعل حياته بائسة بالنصائح التى لا تنقطع . وقد يتعب طفلك بسرعة لأنه تحت تأثير مجهود غير طبيعى فى محاولة النظر ، فهو يحتاج إلى فترة طويلة من النوم . اجعله فى صحة عامة جيدة قدر استطاعتك . لأن حالته العامة تؤثر فى مدى إمكانه استعمال عينيه . اعمل

برأى طبيب العيون إذا كان على دراية بالوسائل التعليمية المتيسرة، فى منطقة سكنك التى سيكون طفلك ملحقاً بفصول ضعاف البصر بها .

ومثل هذه الفصول تكون عادة للأطفال الذين لا يرون على بعد عشرين قدماً ما يراه الأسوياء من الناس على بعد سبعين قدماً ، ومن لا يمكن إصلاح بصرهم أكثر مما هو عليه بالنظارات الطبية .

ويحدد كلا من درجة عجز طفلك، وطبيعة هذا العجز، كيفية تعليمه ، وكم من الوقت سيظل فى الفصول الخاصة وما إلى غير ذلك . .

و تستخدم فصول المحافظة على البصر ـ كما تسمى دائما ـ أنواعا كثيرة من المعدات الخاصة مثل الطباعة بالخط الكبير ، والأوراق الخاصة غير اللامعة والآلات الكاتبة ، والكتب الناطقة والأسطوانات والمذياع، وتكون المكاتب من النوع الذى يمكن تحريكه حتى يكون الأطفال دائما فى أحسن وضع بالنسبة للضوء . وتكون الإضاءة بطريقة خاصة ، ويكون للمدرسات المدربات تدريباً خاصاً عدد من التلاميذ أقل من الذين يكونون فى الفصول العادية . وغالباً ما يؤدى الأطفال الضعاف البصر محفوظاتهم ومناقشاتهم مع أطفال آخرين تساعدهم المدرسة والمعدات الخاصة على العمل على قدم المساواة .

ويعارض بعض الآباء فى إرسال أطفالهم إلى فصول المحافظة على

البصر ،ويخشون أن تكون الدراسة التى تقدم فيها أقل مستوى . ولكنها فى الواقع دراسة مفيدة بالنسبة للطفل الضعيف البصر ، فاقبلها بسرور إذا ما أتيحت له . وتأكد أيضاً من أنه سيقبل بارتياح وجوده فى فصول المحافظة على البصر بنفس الدرجة التى تقبلها أنت .

ويستطيع الأطفال الذين يعانون من خلل فى بصرهم التحرر من المشاكل اللاشعورية التى تحيط بهم جسمياً ونفسياً وعاطفياً إذا ما قدمت لهم طرق التربية الصحيحة والتدريب والتعليم المناسبة وكثير من الخدمات متيسرة للوصول إلى هذه النتيجة

وتعطى بعض الولايات برامج لأمهات الأطفال المكفوفين تستمر حوالى أسبوعين، وترسل لهم ممرضات للعناية بالأطفال فى الفترة التى يحضر فيها الأمهات هذه الدراسة تذكر دائماً أنه بالرغم من أن طفلك عاجز فى إحدى حواسه يمكنك أن تجعله يعتمد على نفسه ليعيش بسعادة وبثقة فى النفس فى عالم الأفراد والأشياء والأفكار فإذا كنت متأنياً وصابراً ، رقيقاً ومدركا ، يمكنك أن تساعده للوصول إلى مكان آمن حيث يعيش فى صحة نفسية وسعادة .

الفصل السادس

إذا كان طفلك أصم أو ضعيف السمع

لا شك فى أنه قد أثقل قلبك ما سببه صمم ابنك أو ضعف سمعه من عوائق عدة له . فإننا نعرف أنه قد لا يستطيع سماع منبهات الخطر مثل آلة تنبيه السيارات أو خطوات القادم . فإذا كان قد ولد ضعيف السمع أو أصابه ذلك قبل تعوده الكلام فإنك تعرف بلا شك أن عاهته حينذاك مزدوجة تشمل قدرته على الكلام وعلى السمع فى نفس الوقت ، وستعرف أيضاً مدى مسرات الحياة التى حرم منها ، فمن الأشياء البسيطة كسماع صوت احتراق الخشب وزقزقة العصافير إلى الموسيقى العظيمة ، وقد حرم فوق هذا كله من اللذة والفائدة التى يجنيها الفرد من التكلم مع أقرانه .

وتفكيرك فى هذا الحرمان الذى تعرض له ابنك ليس مجرد تعذيب عديم الجدوى للنفس ، بل على العكس فإن من الضرورى أن تفعل ذلك ، إذ هو الطريقة الوحيدة لتقدر تماما العوائق التى تقف أمام طفلك . وإذا تصرفت كالنعامة وقللت من أهمية إصابته فى سمعه وتأثيرها الانفعالى عليه فإنك لن تستطيع مساعدة طفلك ليبلغ أكمل وأسعد حياة مستطاعة

له . ومحاولة إغفال الحقيقة و إن كان أقل ألماً من مواجهها فى لحظتها إلا أن طفلك يحصل على الكثير وعلى السعادة إذا ما واجهته الحقائق عن حالة سمعه وما يصاحبها نفسيا وانفعاليا بشجاعة . إذا ما وجهت ذلك واقعيا فإنك تستطع مساعدته لتستفيد من مقدار ما يملك من سمع أقصى استفادة ، و يمكنك فتح آفاق السعادة أمامه بدلا من محاولة المستحيل ، و يمكنك توجيهه وتشجيعه فى تكوين علاقاته مع الآخرين ، وهذا ما يحتاج إليه كل الأطفال عامة من والديهم و يحتاج إليه من أصيبوا بعاهة فى سمعهم على وجه الخصوص ، لأنهم قد بدءوا حياتهم بهذا النقص .

وقد يكون كل هذا الحث على أن تقابل الموقف بهذا الشكل المختلف أمراً غير ضرورى فى حالتك إلا أن من المؤسف له أن كثيراً من والدى الأطفال ضعيفى السمع يميلون لإرجاء مواجهة الحقائق المرة أو تخفيفها .

وهناك أسباب عدة لذلك : منها أن عاهة ضعف السمع لا تظهر بوضوح مثل القدم الملتوية أو النوبات الانفعالية مثلا ، وقد تهمل على أمل شفائها بدلا من علاجها إلى أن يصبح نكرانها أمراً مستحيلا . وحتى فى حالة الصمم منذ الولادة فإن الأمل قد يعطل اتخاذ أى علاج لأن الوالدين قد يعتقدان أن فشل الطفل فى القيام ببعض الأشياء راجع لسبب آخر غير

الصمم . وهناك سبب آخر يجعل بعض الآباء يتعمدون تأجيل معالجة المشكلة . وهو الشعور بالعار الذى يرتبط على مايبدو بالنقص فى السمع، وقد يبدو ذلك عديم المعنى إلا أنه موجود فعلا . ورغما عن أن الأفراد الذين يحتاجون لتصويب سمعهم بسماعات يعادل الذين يحتاجون لنظارات إلا أنك لا تلاحظ فى الطريق إلا القلة النادرة ممن يستعملون سماعات إذا قورنوا بمن يلبسون النظارات وهذا دليل على الاختلاف فى اتجاه الناس نحو ضعيف البصر أو ضعيف السمع وكم من شخص جعل حياته بؤساً لنفسه وللآخرين لعدم اعترافه بصعوبة سمعه ، و يفضل أن يعتقد الناس أنه غبى أو غير منتبه أو عديم الذوق أو غير ذلك عن أن يعترف بعاهته . وكثير من الوالدين لديهم نفس المقاومة للاعتراف بضعف سمع أطفالهم دون أن يقولوا ذلك علانية .

وليس هناك فى الواقع أى عار فى أن تكون أذنا الشخص لا تسمعان جيداً . وكلما كان تقبله لهذه الحقيقة مبكراً كان ذلك أجدى لنفسك ولطفلك، ولتكن متأكداً أن طفلك سيكون اتجاهه مثل اتجاهك بالضبط ، فإذا اعتبرت سمعه الضعيف مجرد سوء حظ وليس بشىء يحاط بالغموض والسر ،فسيشعر بنفس الشعور بالنسبة له وإذا ما تحريت عن رجل ضعيف السمع حساس محرج يجعل حيـــاته أصعب مما تستحق برفضه استعمال سماعة ،أو إنكاره عن الناس أنه لا يسمع قولهم وجـدت

أن أسباب ذلك ترجع إلى الاتجاه الخاطىء الذى اتخذته أسرته إزاءه حينما كان طفلا .

وستدهش عندما تعرف كم أثرت فى طفلك، وفى الناس عامة، نظرتك الطبيعية الخالية من الحرج إلى عاهته .

فمن المعروف أن الإفراط فى الحساسية وتوقع الفشل يدوران فى حلقة مفزعة ، ومن ثم يستجيب لهم الآخرون بطريقة لاشعورية استجابة يتوقعون فيها الفشل وهكذا يزداد إحساسهم بعاهتهم . أما أولئك الذين يواجهون الحياة بحالتهم ، وبدون أسف ، لا يخلقون أسباباً لهذا الأسف.

وإذا اتخذت أنت وطفلك اتجاهاً صريحاً إزاء عجزه فإن الآخرين يتخذون نفس الاتجاه . ومن الضرورى لأسباب عملية ونفسية أن نتعرف على النقص فى السمع فى وقت مبكر ، فقد يجدى العلاج فى بعض الحالات، ولهذا فإن أول ما يجب عمله هو الحصول على العلاج الطبى المستطاع .

ويجب أن تثق ثقة تامة بما يقوله إخصائى الأنف والأذن بالنسبة لدرجة السمع وسبب الضعف إذا ما قام بتشخيص وقياس درجة السمع الموجودة ، ولا يعنى هذا ألا تحاول استشارة طبيب آخر إذا لم تكتف برأى طبيب واحد ، وعلى أية حال فإنك توفر كثيراً من الوقت والجهد والمال وتستفيد منه فى أوجه كثيرة مثل توفير التعليم لطفلك بدلا من الجرى

وراء الأطباء دون جدوى أملا فى أن يستطيع أحدهم المساعدة أو التأكيد بأن طفلك يسمع أكثر مما تعتقد ، وبالرغم من كل الحقائق الدامغة بالنسبة لضعف السمع فإن المجتمع ملىء بالمحتالين الذين يسببون كثيراً من الحزن والأسى لوعودهم المستحيلة بإصلاح الإصابة العضوية للأذن أو بخلق مقدرة السمع عند طفلك .

إن الأصوات التى نسمعها عبارة عن ذبذبات تلتقطها الأذن خلال القناة السمعية إلى الطبلة ، ثم إلى سلسلة من العظام الصغيرة إلى الأذن الداخلية ، وتنتقل تلك الإحساسات من هناك عن طريق العصب السمعى إلى المخ حيث يسجلها . وقد تكون العيوب الضارة بحاسة السمع — سواء منها ما ولد به الطفل وما تسبب عن حوادث أو عدوى — فى أى جزء من جهات نقل الإحساسات . ومن الممكن علاج بعض الإصابات بحيث لا تؤدى لنتائج أكثر سوءاً . وقد يكون العجز فى السمع الولادى ، أو الناتج عن إصابة معينه نتيجة لخلل فى أى جزء فى عظيمات الجهاز الناقل للذبذبات . ويمكن علاج بعض حالات النقص فى السمع حتى لا تزداد خطورتها ، فاسترجاع بعض السمع ممكن فى بعض الأحيان رغما عن أن استرجاعه التام يكاد يكون نادراً إلا إذا كانت الإصابة نتيجة عدوى أو إصابات مؤقتة . ويمكن فى العادة علاج

الحالات المتسببة من إصابة الأذن الوسطى عن طريق استخدام السماعات ، فإذا كان ثمة وسيلة لتحسين سمع طفلك فان الإسراع فى استعمال هذه الوسيلة للتخفيف من عجزه أمر غنى عن البيان

ومن الضرورى أن تعرف حالة الطفل الحقيقية فى وقت مبكر قدر الإمكان ، حتى إذا كان الطب عاجزاً عن تحسين قدرته على سماع الأصوات وحتى إذا ما كان نقص سمعه يزداد ويسوء مهما عملت من من أجله ،وحتى إذا كانت السماعات عديمة الجدوى على الإطلاق كما يحدث عادة فى حالة إصابة العصب الذى يربط بين الأذن والمخ .

ورغما عن ضآلة مايقدمه التشخيص المبكر لتغيير عجز الطفل السمعى فإنه يفيد فى نظرتك ونظرة الطفل إليه . هذه النظرة التى تكمن فى تصور حقيقة قدرته ،وفى معاملته للآخرين وفى تعليمه وتربيته وثقافته وأنت تستطيع أن تتقدم بنجاح فى تصرفاتك مع طفلك من غير أن تعرف حقيقة عاهته وإن ما تستطيع أن تعمله يتفرع فى نواح كثيرة ، ويحتوى على الكثير من التفصيلات ،ولكنها جميعاً تتجه إلى الهدف ذاته وهو أن يصبح طفلك مساهماً فى الحياة سعيداً . وحيث إنك فرد ضمن أفراد الأسرة ، ابذل ما فى وسعك كى يقوم بنصيب فى الأعمال المنزلية ، وإذا فكرت قليلا تمكنت من إيجاد كثير من المسئوليات التى

يستطيع أداءها فمثلا سيكون مثل أى طفل آخر قادراً على ترتيب المائدة و رعاية الحيوان المستأنس أو العناية بحديقته الصغيرة . و إذا أقام أحد إخوته أو أخواته عيد ميلاده فبالرغم من أنه لا يستطيع أن يشارك فى الغناء فإنه يستطيع أن يحصل على السعادة والتقدير فى معاونته لعمل الزينات والسماح المعقول لعمل مثل هذه الأعمال يكون له أثر أكبر من السعادة الوقتية السطحية . وسوف تكون هذه التصرفات إذا ما استمرت طوال السنين أساساً متيناً للشعور بالانتماء ، ذلك الشعور الذى يحتاج إليه طفلك . وسيشعر فى مناسبات عديده بأنه وحيد لأنه لا يستطيع أن يشترك مع باقى الأطفال فى الحديث أو اللعب الذى يحتاج الى سماع الإشارات . وهو يحتاج إلى أكثر من الشعور العادى بالانتماء بأن يكون له عمل مفيد فى ذلك المكان الهام وهو المنزل ، و إلا كان هنالك احتمال عدم تغلبه على الشعور بالحقد والريبة والألم

ويعتبر الحب أكبر حاجز للمشاعر الحزينة التى تكون نتيجة الإهمال . و يجب أن يشعر طفلك بأنه محبوب كلية ، من رأسه إلى أخمص قدمه ، داخل المنزل وخارجه .

والتعبير عن الحب من الأمور الصعبة بوجه عام ، حتى لو أمكن التعبير عن هذا الشعور بالكلمات . وتزداد صعوبته إذا استدعى الأمر

التعبير عنه بوسيلة أخرى غير الـكلام . فسلوكك وابتسامتك وإبداؤك الموافقة ورعايتك ، كلها ستؤكد لطفلك حبك له . وإن صبرك الحكيم سوف يطغى عليه أيضاً ، واذا أصبح بسبب وحدته القاتلة سليط اللسان أو مكتئباً أو حتى مبغضاً فلا تؤنبه على ذلك . ويمكن أن يكون مقياس الحب أكثر من مقياس عدم ثقته فى جميع من حوله ممن لا يسمعهم جيدا أو لا يسمعهم على الإطلاق .

ويجب أن يشعر طفلك بحبك له وذلك بصبرك على القدر الزائد من التهيج الذى قد يشعر به وتذكر أنه يبذل دائماً جهداً ليدرك ما يدور حوله ، وهو معرض لأن يتعب أكثر من المعتاد ويتضايق أكثر كذلك . ومن حسن حظك وطفلك أن تكون سعة صدرك شيئاً طبيعياً ، فإذا لم تكن كذلك فإن حبك لابنك هو خير وسيلة لاكتساب هذه الصفات وتنميتها لديك ، ذلك لأنها ضرورية كى يحيا طفلك حياة سعيدة بالرغم من عاهته .

شجع طفلك على أن يشركك فى خبراته ، وعلى قدر استطاعتك أشركه معك أيضاً ، وافعل ذلك بكلمات كلما كان ممكناً أن تصل إليه وينطبق ذلك على الأعمال طبعاً . تأكد من أنه يشترك فى الأعباء الأسرية أو الرحلات . تحين له الفرص كى يكون له مثل هذه المشاركة فى

الخبرات مع الآخرين . تحدث عن عاهته بصراحة مع أصدقاء معنى باختيارهم ممن تعتقد فيهم الفهم ، وأشرك أمهاتهم على قدر استطاعتك فالناس بما فيهم الأطفال عادة طيبون فإذا تصرفوا بوضاعة وقسوة نحو شخص ذى عاهة فإن ذلك يرجع إلى عدم بصيرة أو إدراك وليس معنى ذلك أن تستجدى الشفقة لطفلك ، فلا يود أى شخص ذلك ، ولـكن عليك ببساطة إخبار الأفراد الآخرين بالحقيقة وأن توضح لهم مدى أهمية الصداقة لطفلك واتركهم لدوافعهم الطيبة كى يبذلوا مجهوداً ليحققوا ذلك له .

ركز تركيزاً قوياً على ميول طفلك وقدراته . وسوف تدهش إذا ما بدأت تفـكر واقعياً فى كل الفرص الممكنة للعمل واللعب حيث لا يـكون للصوت فيها نصيب وسوف تدهش من كثرة عدد هذه الفرص ، فهى تتدرج من القراءة إلى التمرينات الرياضية العنيفة ، ومن الأعمال اليدوية إلى الألعاب التى تعتمد على الرياضيات . وحينما تركز انتباهك على ما يستطيع طفلك القيام به سيهتم هو أيضاً بتلك الأشياء بدلا من اهتمامه بما لا يستطيعه . وإن الشعور الحازم الأمين بالنجاح يعتبر من أحسن العوامل التى تساعد فى التغلب على الخجل الذى ينمو طبيعياً لدى الطفل الأصم أو الضعيف السمع . وكذلك يمـكن أن تعمل ثقته بنفسه على تقليل مخاوفه . وهذه العوامل الإيجابية الذاتية

أقوى بكثير وأنجح من الأوامر الوالدية مثل « لا تخف » أو « اذهب والعب مع الأطفال الآخرين »

وهناك إجراءات كثيرة خاصة يمكنك اتخاذها لجعل الحياة أيسر وأسهل لطفلك بجانب مساعدتك له ليكوّن وجهات نظر واتجاهات عامة تجعله قادراً على التحرك بحرية نفسية في عالم مغلق جزئياً أمامه . وهناك مقاييس خاصة كثيرة يمكنك استخدامها لتجعل حياته أكثر يسراً .

ومن الأمور الأكثر أهمية مساعدته على تعلم الكلام أو تحسينه لأنه من البديهي ، أن الأفراد يتصلون أولا ببعضهم البعض عن طريق الكلام. وفي وقت من الأوقات كان يطلق على الأطفال الذين ولدوا مصابين بالصمم «الصم البكم » وكان يظن أنه لا يجدى معهم محاولة الكلام سواء لأن لهم عقلية شديدة الضعف أو لعجز جهاز الكلام عندهم أو للسببين معاً. ونحن نعرف في الوقت الحاضر أن الأطفال الذين يفتقرون إلى السمع منذ طفولتهم المبكرة لا يستطيعون الكلام أيضاً لأنه لم يكن لديهم الفرصة لتعلم الأصوات والكلمات واستعمالها فإن الخطوة الأولى لتعلم الكلام هي تقليد الأصوات ، وطبيعي إذا ما عجز الطفل عن سماع الأصوات لا يستطيع أن يعيد نطقها .

ويتساوى المستوى العقلى للأفراد المصابين بضعف السمع مع هؤلاء الذين يسمعون . وحتى لو وجدت العاهة المزدوجة عدم القدرة على السمع والحديث .فلا يوضح ذلك وحده أى نقص فى العقل أو فى جهازالكلام .

وحتى إذا ما أمكن نطق بعض الكلمات ، فغالباً ما تكون غير كاملة بشكل ملفت للنظر ونعود مرة أخرى لنقول إن ذلك لا يكون حتما نتيجة إصابة عضوية فى الفم أو الرقبة أو الشفاه ولا بسبب نقص فى القوى العقلية .

إن أهم العوامل التى تلعب دوراً رئيسياً فى خلق الكلام غير الدقيق عند هؤلاء الأطفال هو العجز عن التقاط الأصوات التى يأتيها الآخرون والتغيرات الجوية التى تؤثر على السمع .

ولقد تطورت لحسن الحظ وسائل تدريب الصم على الحديث : وتستعمل المدرسات المتخصصات فى علاج الكلام حاسة اللمس والنظر لتبين لمثل هؤلاء الأولاد والبنات ماتتضمنه عملية الحديث . فهم يدربون مثلا على الملاحظة والإحساس بأناملهم حركات شفاه المدرسات ويضعون أيديهم على شفاههم وعلى وجنات مدرساتهم لكى يتعرفوا بأنفسهم على ذبذبات الهواء التى تنتج هذه الأصوات : ويكتسب الإحساس

بالنغم الذى يعتبر ضروريا فى تحسين الكلام بمثل هذه الوسائل كوضع أيدى الأطفال على البيانو لالتقاط وقع ذبذباته .

وعادة ينص على ضرورة مساعدة معلمة الكلام للطفل الأصم لأن تعلمه يعتبر عمليه بطيئة وشاقة وتتضمن طرقاً فنية خاصة وتتطلب تدريباً لا يستطيعه غيرها .

وثمة مدارس عامة تتضمن بعض فصول خاصة للذين يعانون من خلل فى سمعهم، بيد أن هذه الفصول غير كافية ، وبعض المناطق بها مدارس حضانة لهم ، فإذا كان فى منطقتك مدرسة حضانة خاصة انتهز هذه الفرصة بشتى الوسائل لكى ترسل طفلك إليها ، ويتردد كثير من الآباء فى إرسال أطفالهم المصابين بالصمم أو ضعف السمع إلى مدارس الحضانة لاعتقاد خاطىء منهم هو أنه من الشفقة أن يجنبوهم الاجتماع مع أطفال آخرين إلى أقصى مدة ممكنة ، وفى الحقيقة أنه من المستحسن بالنسبة للطفل المصاب فى سمعه أن يحصل على مزايا المدرسة الخاصة أكثر من الطفل العادى لأنه كلما أسرعنا فى تشجيعه على التغلب على ميله للعزلة كان ذلك أفضل ، كما أن مدرسة الحضانة تقدم توجيها خاصا فى تحسين طريقة الكلام الصحيحة .

وقد تكون مخيراً — إذا كان طفلك فى سن الدراسة — بين المدرسة

الداخلية أو عدم الدراسة على الإطلاق لأن الأطفال الذين يعانون من فقد سمعهم بدرجة كبيرة قد لا يقبلون بالمدارس الحكومية ، أو قد تضطر إلى إرسال طفلك إلى مدرسة داخلية بدلا من ذهابه إلى المدرسة العادية بدون أى اعتبار لعجز سمعه . وتفضل المدرسة الداخلية ذات الإمكانيات الخاصة فى كلتا الحالتين .

وبالرغم من احتمال أن يكون طفلك عادى الذكاء ضع فى ذهنك دائماً أن إحدى حواسه غير عادية ، وإلا فستضيف عجزاً آخر إلى عجزه ما لم تعلمه طبقا لحاجته الخاصة ، فمثلا قد يكون ذكاؤه مناسبا لسنه أو أكبر منه ولكن قد يكون محصوله اللغوى وطريقة حديثه وأسلوبه فى الكلام مماثلا للطفل الأصغر منه كثيراً ، أو قد يحتاج إلى تدريب على الكلام لأن الكلمات كما يسمعها لها صوت يختلف تماما عن الطريقة التى تنطق بها فعلا لدرجة تجعله ينطقها بطريقة خاطئة أو تختلط عليه ويسىء استعمالها ، وقد تكون المدرسة الداخلية التى صممت عليها خاصة أو حكومية تعتمد على مقدار دخلك وعلى النسبة التى تراها مناسبة للإنفاق على تعليم طفل من أطفالك إذا كان لك أكثر من واحد .

وقد كان الاعتقاد السائد أن المدرسة الداخلية هى الوسيلة الوحيدة

لتعليم كل الأطفال المصابين بالصمم : ولـكنها لا تعتبر أفضل الوسائل حالياً إذا كانت الدراسة الخـاصة متيسرة فى بيئتك ذلك لأن القـيم الإنسانية التى تنشأ نتيجة الحياة فى البيت ، وشعور الحب والأمن الذى ينشأ من علاقة الوالدين الدائمة تـكون القاعدة المثلى والأساس السليم للتعليمات اليومية فى المدرسة . وبالرغم من قيـام شخص فنى . بالتعليم الفعلى إلا أن تعلم طفلك الـكلام يتطلب مجهوداً منك ومنه. وإن الأمل فى إدراكك أن عاهة الـكلام قد لاتستمر سيساعدك ويدفعك لبذل مجهود مستمر لتـكمل عمل معلمـة الشواذ . وتشجيعك لـكلامه أمر حيوى .

اقبل كلامه وشجعه عليه أيا كانت درجة عجزه . تجنب التصحيح المتـكرر لـكلامه وعامله دائماً كما لو كنت تتوقع منه الحديث ، وإنك سعيد لأنه يفعل ذلك ، تحدث فى أذنه أطول مدة ممكنة لأنه فى هذه الحالة سوف يستطيع أن يخزن تأثيرات الصوت التى ستساعده يوماً ما فى التحـكم فى الـكلام .

كن صابراً على اختلاف صوته أو ارتفاعه المفاجىء أو انخفـاضه وتذكر أنه عاجز عن سماع نفسه كما هو عاجز عن سماع الآخرين ولا يستطيع أن يـكون دقيقاً فى التحكم فى الصوت الذى يأتيه وأن كثرة

تأنيبه لن يكون لها فائدة إلا فى تقليل شجاعته فقط.

وكلما وعى طفلك ما يقال له أصبح راغباً فى الاستجابة للحديث فحاول بصبر وبانتظام أن يكون كلامك مفهوماً إلى أكبر حد ممكن بالنسبة لطفلك .

وهذا النمط هام للأسباب الآتية أولها كلما وعى طفلك مايقال له زادت رغبته فى الاستجابة الكلامية . وثانى هذه الأسباب وهو سبب عام هو مساعدته فى تكوين علاقات مع غيره من الأفراد ، وسبب أخير ولكنه هام أن مثل هذا السلوك يساعده على التحرر من الجهد المتعب الذى بذله لإدراك ما ترغب فى نقله إليه .

ويعتقد الكثير من المتصلين بضعاف السمع اعتقاداً خاطئاً أن الصوت المرتفع هو الطريقة المفضلة للحديث ، وليس هذا صواباً فهو يسبب الضجيج الذى لاداعى له فضلا عن أنه ليس بالشىء الذى يبعث السرور على وجه العموم .

اعرف درجة صوتك التى يسمعك بها طفلك جيداً وتحدث بها معه فبعض الأشخاص المصابين فى سمعهم يفضلون الأصوات العميقة ، والبعض الآخر يفضل النغمات العالية ، ولذلك قد تضطر إلى قضاء فترة للتجربة. تحدث دائما بوضوح ونبرات محددة ، ولكن بدون تحريك كثير للفم

وأهم من ذلك تحدث إليه كثيراً وفى اعتبارك دائما أنه يفهمك . ومن الخطأ أن تتحدث إليه مغمغما أو أن تهمل فى نطقك أو تطمس كلماتك بحجة أنه لن يفهم ما تقوله على أية حال . فمثل هذه الحجة بمثابة تسليم بالهزيمة من قبل أن تبدأ . وفى هذا يكمن خطر هام، وهو أثر ذلك على الناحية النفسية للطفل . فقد ينتج عن ذلك شعور طفلك بعدم ثقتك به ومثل هذا الشعور هدام بالنسبة لأى طفل ، ناهيك بأثره على طفل عاجز.

حاول ألا تتحدث فى جمل طويلة أو تدخل كلمات لا داعى لها. اجعلها قصيرة قدر استطاعتك ، فإذا لم يفهم ما قلته من أول مرة فعبر عنها بعبارات أخرى ولا تكررها . فمثلا « هذا الكتاب ثمنه ربع دولار » يمكن أن يقال بطريقة أخرى « هذا الكتاب ثمنه خمسة وعشرون سنتا » أو «اغلق الباب » إلى « أقفل الباب » وليس ذلك فى الواقع بالشىء الصعب تنفيذه كما يبدأ لأول وهلة : وكل فرد حاول أن يتحدث بلغة أجنبية لا يجيدها اضطر لإجراء عدد كبير من الممارسات كى يتيسر له إبدال لفظ بآخر :

حاول ألا تستسلم لإغراء استعمال الحركات بالأيدى أو الكتابة لتسهل اتصالك بطفلك . فإنك تستطيع زيادة مساعدتك له إذا عودته على فهم ما تعنيه عن طريق الكلمات التى تقولها .

وتلعب الموسيقى والغناء دو اً إيجابياً فى تحسين الـكلام : وتقديمها لطفلك لا ينمى فيه إحساسه بالنغم فحسب بل تنمى فيه أيضا الشعور بالتغيرات فى درجات الصـــــــوت ونغماته التى تساعده على أن يجعل لصوته معنى .

كن متأكداً قبل أن تبدأ أى نشاط غير عادى مـع طفلك مثل تـكليفه أداء عمل من الأعمال المنزلية لأول مرة أو لعب لعبة جديدة كن متأكداً أنك قد وضحت له جيداً وبدقة ماتتوقعهمنه ، وإلا أضفت قلقاً على قلقه الذى يشعر به فعلا فى عالم ينقصه الصوت أو به أصوات غير واضحة فإذا كان طفلك ضعيف السمع ، ربما نصحك البعض بإعطائه برنامج القراءة بالشفاه حيث يتلقى دراسته الخاصة . وطبيعىأن ينطبق ذلك أيضاً على الطفل الأصم . ويلزم فى هذه الحالة كما يلزم فى تعليم الـكلام مدرب خاص ، ولـكن هناك الـكثير أيضا مما تستطيع تأديته ، فمهمتك بلورة ما تعلمه وتعزيزه واستمراره ، ولذلك كل ما أقترح بشأن مساعدة الطفل على استقبال الأصوات ينطبق تماما على قراءة الشفاه . ولذلك يجب أن تتأكد أنك تقف دائما بحيث يقع الضوء على وجهك حينما تتكلم ، ولا تقف وظهرك مواجها للنافذة . واجعل تعبيراتك حية قدر استطاعتك ، فإن تعبيرات الوجه توضح

الـكلمات ، والوجه الجامد لا يعطى أى طريق للمعانى ، واجذب انتباه طفلك دائماً قبل أن تتحدث إليه ، وإذا استدعى الأمر لمسة خفيفة على ذراعه أو الوقوف مواجهته ، وسوف تحتاج إلى صبر خلال فترة التعليم البطيئة عندما يتحتم على الطفل أن يترجم فى نفس الوقت حركات الشفاه إلى معنى ما يقال :

لقد اختلف خبراء الصمم لسنوات طويلة فيما يفضل فى طريقة تعليم الصم . أن يتعلم الأطفال الذين يصابون بالصمم قبل تعلمهم النطق (الصم البـكم) الـكلام وقراءة الشفاه أو أن نعلمهم بالقراءة اليدوية (أى هجاء الـكلمات على الأصابع) . والواقع أنه لاتوجد مشـكلة فى التفضيل من وجهة نظر الصحة النفسية . فمن الواضح أن الطفل الذى يستطيع أن يضيع رغباته وأفـكاره بنفس طريقة الاتصال الـكلامى التى يستعملها معظم الناس ، يكون أقل عزلة عن غيره ممن لا يستطيع الاتصال إلا مع من يعرفون لغة اليد فقط ، هذا بالإضافة إلى أنه لن يـكون مختلفاً بين الآخرين . ونحن لا نلجأ إلى طريقة الـكلام اليدوى إلا إذا قطع الخـــبراء المختصون باستحالة تعليم الطفل الـكلام وقراءة الشفاه .

وليس هناك اختلاف فى رأى المختصين فيما يتعلق باستعمال السماعات عندما يمـكن تحسين السمع عن طريقها فإذا نصحك أخصائى

الأذن الذى تتعامل معه باستعمال أى منها ، ابحث عن كل وسيلة لكى يحصل طفلك عليها ، ولا تجعل ثمن السماعة يقف حائلا دون ذلك . فإذا لم تتمكن من أن تدفع ثمنها بنفسك فإن المساعدات المالية متيسرة عن طريق بعض المنظمات التى تمول تمويلا خاصاً أو عن طريق أموال الخدمات الحكومية للأطفال العجزة التى تكون فى أغلب الأحيان متصلة بوزارة الصحة . وهناك أسباب أخرى غير الثمن تجعل الآباء يترددون فى السماح لأطفالهم باستعمال السماعات . ورغما عن الفروق الكبيرة فى الحجم بين الجهاز الحديث الضئيل الحجم وبين جهاز الصمم الذى كان يستعمل فى السنوات الماضية فإن ثمة بعض الآباء والأمهات يحجمون بدافع كبريائهم الكاذب أن يفرضوا على أطفالهم أجهزة ظاهرة . وقد يخشى البعض الآخر مشكلة إغراء وتعليم الطفل ، خاصة الطفل الصغير استعمال الجهاز متأثرين فى ذلك بفكرتهم عن مشاكل السماعات التى كانت أكثر تعقيــــدا فى استعمالها عن وقتنا هذا .

وقد تعلم الأطفال الذين فى سن الثانية من العمر استعمال السماعات بنجاح ، ولا جدال فى أن الأطفال يكونون عادة أكثر صبرا فى التعود عليها عن الكبار .

وهناك بعض التحيز ضد السماعات نتيجة للخبرات غير السارة

عندما كانت تشترى وتستعمل بدون الاستفادة من طبيب الأذن ، ويستحسن ألا يصف اخصائى الأذن الجهاز فحسب بل و يشرف أيضا على ملاءمته وتكيفه حتى يتعود عليه من يستعمله

ويعتمد الكثير من الأفراد نتيجة لضعف المستوى الاقتصادى أو نتيجة الجهل على بائعى السماعات فى تقديم خدمة هى بطبيعتها من اختصاص طبيب الأذن أو أطباء آخرين ذوى تخصص ، ويستطيع المجلس الصحى التابع لك أو إدارة الصحة الحكومية أن ينصحك بمن تستشيره .

وسوف ينصحك كل من طبيب الأذن ومستشار المصنع ذى السمعة الطيبة الذى أرسلك إليه الطبيب، إلى طريقة تعليم طفلك استعمال السماعة ، وسوف يكون لسلوك الشخص وعاداته فى الطاعة بطبيعة الحال أثر فى درجة استعداده لبذل المحاولة أو صبره حتى يتكيف لها ، وفى استمراره فى استعمالها ، وإذا اقتنع فى يوم من الأيام أن متعته فى الحياة تزداد عندما يجد سمعه قد تحسن ، تكون بذلك قد كسبت نصف الجولة ، ويمكن القول بوجه عام بأن فترة استعمال الجهاز تحتاج إلى الزيادة ببطء تدريجى . وهى تختلف عن النظارات فى أن فائدتها فى الإصلاح لا تظهر فى الحال فإذا لم يكن طفلك

قد عرف قط ما هو السمع الصحيح فإن جميع أنواع الصوت فى أول الأمر ستكون جديدة عليه ، مثيرة لانتباهه ومثار قلق له ثم لا يجب ألا يدفع للتعرض للكثير من هذه الأصوات إلا ما يمكنه أن تتقبله براحة وهدوء و ضى. وإحدى الطرق التى تساعده على تكوين القدرة على سماع الصوت هى أن تجعله ينصت إلى نغم موسيقى قوى ، فإن أصواته العالية تكون مرغوبة ومحبوبة أكثر من الأصوات الأخرى وهى وسيلة حسنة توصل بين عالم السكون وبين الصوت ، وعموماً إن استعمال السماعة يحتاج إلى فترة طويلة من التكيف التدريجى الرقيق لسماع الصوت.

وتعتمد السماعة على البطاريات ، لذلك احرص دائماً على أنها غير معطلة وإلا تعرض طفلك للانهيار النفسى ، وإذا كانت سنه تسمح له بتفهم شرح ماكينة الجهاز ، عليك أن توضحها له ، فقد يصبح معجباً بالطريقة التى يعمل بها . وسوف يميل إلى استعمالها بانتظام .

وفى الواقع مهما كانت النصيحة التى وجهها لك الشخص المختص وطريقة تكييف طفلك أو مدى صبرك وذكائك فى العمل معه ، فإن عليك أن تجهز نفسك لفترة تحضيرية معه خلال الفترة التى يتدرب فيها على جهازه الخاص الذى هو بمثابة السند له وسوف تجـــد فى

سعادته الواضحة عندما يكتشف العالم الذى كان مغلقاً بالنسبة له أكثر من مكافأة لك .

وإذا كان لديك أقارب أو أصدقاء ضعيفو السمع ممن استطاعوا الحياة بسعادة بالرغم من عاهتهم ادعهم لكى يقصوا على طفلك خبراتهم وسعادتهم فسوف تكون لمثل هذه الأفكار قيمة خاصة فى تشجيع طفلك الذى لم يتضح صممه إلا بعد طفولته بوقت طويل . وحيث إنه يعرف ما هو السمع فهو يحتاج إلى مساعدة كبيرة كى يستطيع أن يكيف نفسه لحالته الجديدة ؛ حالة حرمانه من السمع .

اعمل على بناء حياة طفلك على ما بقى لديه إذا كان قد فقد شيئاً كان يملكه فى وقت مضى . شجعه على أن يعمل الأشياء التى كان يحب عملها قبل أن يفقد سمعه أو قبل أن يصاب بضعف فيه . ذلك لأن الشخص الذى يشعر بالضيق عامة يميل إلى إهمال ما كان يجلب له السرور فى يوم من الأيام . وما زال يستطيع التمتع به . ساعد طفلك على زيادة نشاطه فى ميدان اللغة مثل الهجاء والقراءة والألعاب التى يمكن إلى حد ما أن تكون ذات أثر عليه .

وتعتبر أجهزة التسجيل Anagrams وهى الأجهزة الخاصة للنطق بصوت مرتفع ذات فائدة فى هذا المجال .

وإذا كان طفلك مراهقاً أو فى سن قريب من المراهقة فسيكون فى مرحلة تفكير فى مستقبله ؛ وإذا كان صممه قد منعه من تحقيق آماله فى أن يكون موسيقياً أو ممثلا أو محامياً أمام القضاء مثلا فابذل جهدك لتوجيه ميوله وخططه نحو وظيفة عملية ويفضل تلك التى تكون من نفس الطائفة فمثلا قد يضطر إلى التخلى عن رغبته فى أن يصبح طبيبا ولكنه مازال يستطيع أن يعمل على أن يكون باحثاً طبياً ناجحاً .

احرص على أن يقوم باقى أفراد الأسرة المقر بين بنفس الأعمال التى تقوم أنت بها وكن حريصاً على أن تعطيهم فكرة عن الصعاب التى تتعلق بعجزه . وضح لهم مثلا أنه فى حالة توتر مستمر عندما يكون مع الناس . وهو يحتاج إلى أن يسأل عما يقال أمامه . فهو غالباً ما يكون عاجزاً عن التعبير عن نفسه ، وهو بطبيعة الحال بمنأى عن الكثير مما يدور حوله ، وهو يعتقد أيضاً أن الناس يتكلمون عنه وهو محق فى معظم الأحيان ، فإذا أصبح لهذا السبب شديد الحساسية وانطوى على نفسه،أو إذا تظاهر على العكس من ذلك بعدم المبالاة ليغطى آلامه،فعلى من يتصلون به باستمرار أن يدركوا ذلك وأن يضعوه فى اعتبارهم .

وليس معنى ذلك أن يغمر الطفل القاصر السمع فى حالة مستمرة

من الحساسية والألم والريبة ، ولكن القاعدة المتبعة التى تنطبق على حالات كثير من الأطفال هى ضرورة تعامله مع آخرين مع شىء من التسامح لانفجاراته الانفعالية التى تكون نتيجة عجزه .

وليس عليك أن تحس بالوحدة فى مسئوليتك نحو تحطيم الحاجز المختص الذى يحيط به عالم الصمت أو السمع القليل ، فالكثير من الهيئات تقدم لك مساعدات .

هذه المهمة بمثابة اختبار لك ، لأن تفصيلاتها غير محددة ، ومن المحتمل أنك لن تجد نقطة فى نمو ابنك تدل على ما بذلت من جهود ولكنك إذا استطعت أن تخلق من الطفل الذى يتجه نحو الحياة والتفكير والحلم فى قوقعة مغلقة رجلا لا يحسن الاتصال بالآخرين من الناس فحسب ، بل لديه الرغبة والدافع أيضا لعمل ذلك وإذا استطعت أن تخلق إنسانا سعيداً من ذلك الشخص الحزين لضعف قدراته فإنك سوف تشعر بذلك الإحساس العظيم بالنجاح والراحة التى يشعر بها كل أب . فالسمع الضعيف عجز يؤدى إلى عاهات أخرى ، هذه العاهات فى استطاعتك أن تمحوها . فطفلك المحبوب الذى يفهم الناس ويساعدونه بصبر فى كثير من الأمور يجب ألا يقاسى من العزلة الاجتماعية والعاطفية ويجب ألا يشعر بأكثر من الإحساس بالحزن لكونه بعيدا عن عالم السمع .

الفصل السابع

إذا كان طفلك متخلفاً عقلياً

ليس أصعب على الأمهات والآباء من قبول نقص ذكاء طفلهم أو الاعتراف به . أما الآخرون سواء كانوا من الخبراء المهنيين أو من الأصدقاء العاديين فإن اتجاههم يتفاوت إزاء تعامى الوالدين من الرثاء إلى عدم الصبر لما هو واضح أمام الجميع .

وبديهى أنه لا يوجد نوع آخر من أنواع العجز يجعل للإنسان آمالا كثيرة زائفة ، فعندما لا يتمكن الطفل من الرؤية أو لا يقدر على السير ، فإن الآمال مهما كان مقدارها لا يمكنها إخفاء هذا الدليل الواضح

ولكن فيما عدا حالات النقص العقلى الشديد ، حيث يكون المظهر الجسمى غير طبيعى فإنه من الأمور الطبيعية ومن السهولة جداً ألا يتبين الفرد هذه الحقيقة .

وإن الحب الأبوى والشوق الذى غالبا ما يعمى الأمهات والآباء عن الفشل الطبيعى للأطفال يجعلهم يبالغون فى طبيعة عملهم لإخفاء

ما هو ميئوس منه فى نمو الطفل ، وإحداث هالة حول أقل ما يمكن أن يشجع .

ولذلك لا تلم نفسك إذا تأخرت فى الاعتراف بالحقيقة المؤلمة عن تخلف ابنك عقليا ، فالأمر المهم هو أن تعرف هذه الحقيقة فى الوقت المناسب

ولأن إدراكك النهائى وإحجامك العادى عن أن تصدق أن ابنك مصاب بنقص عقلى قد يصبح عجزاً عن تصديقه فى معظم الأحيان ، ففكر فى انفعالاتك وأسبابها ، ثم استخدم الحقائق الجامدة المرة للأمر . فمثلا أنت لم تستطع بسهولة أن تصدق أن لك ابناً ذا ذكاء أقل من الطبيعى ، لأنه ليس هناك شىء من هذا القبيل فى الأسرة . فقد كان يظن فى وقت من الأوقات أن النقص العقلى لا يحدث إلا عن طريق الوراثة . وأصبح معروفا اليوم أن هناك أسبابا أخرى كثيرة لذلك من بينها الحوادث أو الإصابات فى أثناء الطفولة المبكرة ، وقد كانت المعلومات بالنسبة لتليف الجهاز العصبى المركزى أو الحوادث والإصابات فى أثناء عملية الوضع قليلة للغاية . وعلى الأقل إن نصف الأطفال المتخلفين عقليا والمصابين ببعض النقص فى الذكاء كل هؤلاء الذين يعانون من نقص عقلى شديد قد أتوا من أسر ذات مستوى ذكاء عادى أو فوق العادى .

وقد تلاحظ بعض النمو أو التغير فى طفلك بمرور السنين و بالرغم من ذلك فإنه لا يسعك إلا أن تأمل وتتوقع المزيد منه بدرجة قد تكون سريعة نسبياً إلى أن يتم نهائياً الوصول إلى المستوى الطبيعى وعلى عكس مثل هذا التفكير فإنه سيكون عليك أن تضع عدداً كبيراً من الدلائل غير المشجعة له فالأطفال الذين ينمون بمعدل ملحوظ بطىء عن أقرانهم المعاصرين لهم ، و يكون من الملحوظ تخلفهم عنهم فى الحديث او السير يستمرون فى النمو بمعدل بطىء ، و بديهى أنهم لن يتمكنوا من الوصول إلى مستواهم أبداً

وهذه هى الحقيقة — لسوء الحظ — بالرغم من القصص القديمة التى كانت تروى بالنسبة لهذا التغير الكبير الذى سيحدث عند البلوغ ، أو أن الأمور سوف تسير على ما يرام عندما يكبر ابنك .

وقد تشعر بهذا لأن لطفلك قدرات ملحوظة معينة ، وليس من المعقول أن يكون متخلفاً فربما تكون لديه قدرة موسيقية ،أو قد يمكنه حل الحيل الحسابية المعقدة . أو يمكنه إدراك أى تركيب لسيارة أو طائرة . ولكن هناك حالات كثيرة من التخلف العقلى عند الصغار الذين يتصفون بمثل هذه القدرات الخاصة ، وهم عموماً متخلفون . ومن المحتمل أيضاً — مثل كل الآباء الذين يعانون مثلك هذه

المشكلة القاسية ـ أن تتمكن من إيجاد سبب أو مبرر لبطء ابنك مثل «لقد قضى سنواته الأولى مع جدته التي لم تعلمه شيئاً أبداً ، أو أنه قد تغيب كثيراً عندما ذهب إلى المدرسة لأول مرة » . هذه هى أنواع الأعذار التى ينتحلها الآباء غالباً لأنفسهم وللآخرين

وأفضل ما يمكنك عمله من أجل ابنك ، ومن أجل نفسك أيضاً أن تنسى هذه الأعذار لأنها لن تمحو الواقع فالطفل الطبيعى أو العادى يتعلم كجزء من العملية الطبيعية للنمو بالملاحظة والتفكير كما بالتعليم سواء ، ولهذا فإنه إذا ما بدأ بداية خاطئة فى التدريب أو التعليم فلن يمضى الوقت حتى يستعيد مافاته .

ولكن فوق هذا إذا كنت مثل غالبية آباء الأطفال المتخلفين ، فإنك تكون قد وجدت دائماً أنه من المستحيل تقبل تشخيص الخبير المهنى ، وهو الإخصائى النفسى غالباً .

فالأشخاص الذين لم يفكروا قط فى مناقشة طبيب الأسرة حول تشخيصه حالات أبنائهم فى الالتهاب الرئوى أو التهاب العظام . غالباً ما يعتبرون تشخيص المختصين لأبنائهم كضعاف عقول غلطة كبرى ، ودليلهم على ذلك أنهم يعرفون أبناءهم خيراً من أى فرد آخر يمضى معهم بضع ساعات قليلة . وقد يكون هذا صواباً من أوجه كثيرة ،

ولكن حقيقة الأمر أنك لن تتمكن من تقدير قدرات طفلك الحقيقية، فحبك وقلقك وأمانيك القلبية له كلها تلون رأيك . ولكن المراقب الخارجى بنظرته الموضوعية متحرر من كل هذه العواطف .

وقد يجمع بعض الآباء نتيجة رغبتهم لإقناع أنفسهم بأن أطفالهم عاديين أدلة خاطئة مثل « عندما كان فى الثالثة من عمره قال عنه طبيب الأسرة إنه أبله ميئوس منه » وها هو الآن فى المرحلة الثانوية . وهكذا يجدون تأكيدا لعدم اقتناعهم ولكنك إن اعتمدت على أى من مثل هذه الدعامات المتزعزعة كنت بذلك على وشك الفشل .

حقيقة أن معامل الذكاء المنخفض قد يمكن رفعه بدرجة ملحوظة بعد إزالة الاضطرابات العاطفية — فلا أجد طفلا كان أم يافعاً يفكر تفكيراً صحيحاً إذا كان مضطربا ، بيد أن الإخصائى النفسى الإكلينيكى الحالى يأخذ فى الاعتبار فى هذه الأيام تأثير العوامل العاطفية ، وأحيانا يوصى بإعادة الاختبار بعد انقضاء فترة قبل إقرار التشخيص النهائى للتخلف . وفى معظم الحالات لا يقوم التقرير الذى يعتمد عليه لقدرة الطفل العقلية على أساس معامل الذكاء المجرد بمفرده ، إنما يبنى على دراسة حصيلة مجموعة من الاختبارات المتعـــــــددة بالإضافة إلى تاريخ الطفل .

ومن الأهمية بمكان أن تحصل على المساعدة الفعلية للإخصائى النفسى أو الطبيب النفسى ، فهى من ناحية تعطى التقرير الوحيد الذى يعول عليه عن قدرة الطفل على التعلم ، ومن ناحية أخرى تحتاج إليها لترشدك فى برنامجك التدريبى ، وهى أيضاً لا تقل أهميتها فى حاجتك إليها لتساعدك بنائياً لتنظيم اتجاهاتك وأفكارك ومشاعرك فقليل من آباء الأطفال المتخلفين يمكنهم عمل هذا دون مساعدة الخبراء لما يعلمونه عن حقيقة خيبة أملهم وقلقهم ، وقد تتوفر الخدمات الصحية العقلية فى عيادات توجيه الأطفال وفى المدارس العامة ، وبعض المستشفيات ، فإذا لم تتوفر فى بيتك مثل هذه التسهيلات فإنك تستطيع أن تعرف وجهتك من المسئولين عن المدرسة ، أو إدارة الرعاية ، أو من قسم الصحة العمومية ، أو من إدارة الصحة العقلية الحكومية .

ومن الأفضل طبعاً أن نقول لك إنه عندما يكون عندك تشخيص بنقص عقلى أن تقبله لأنك ستضطر إلى قبوله ، ولكن من المحتمل أن ذلك سيساعدك على تقبل هذه الحقيقة المرة وتجيب بأمانة عن مثل هذه الاستفسارات « كيف يختلف طفلى عمن هم فى مثل

سنه من الأطفال الآخرين ؟ ماذا يفعلون ولا يمكن لطفلى أن يفعله مثلهم ؟ ما هى أوجه الاهتمام التى عندهم وليست عند طفلى ؟ هل يواجه الموقف الجديد بنفس الطريقة التى يواجهونه بها ؟ وفوق هذا كله هل الاختلافات أو الفروق بينه و بين الأطفال المولودين فى نفس الوقت تقريبا زادت أم قلت ؟

ومتى قبلت حقيقة درجة عجز طفلك ، وقبلته على ما هو عليه فإنك تكسب نصف المعركة من أجل سعادته ، لأن مأساة بطء الطفل ليست فى بطئه الذى لا يعيه مطلقا ، وإنما فى اتجاه الناس الآخرين نحوه و مطالبهم منه ، فبالرغم من عقليته المحددة فإن مشاعره هى نفس مشاعر الأطفال الآخرين، وهو مثلهم يشعر بالإهانة والخجل ، كما أنه يشعر بالفخر والثقة فى النفس ولديه الرغبة ليسعد الآخرين ، ويحب ويشعر بحب الناس أو عدم حبهم له ؛ وإنك لا تستطيع أن تقابل احتياجات طفلك العاطفية ما لم تكن واعيا ومدركا لها تماما فإذا عرضته للفشل المستمر لأنه لا يستطيع الوصول إلى ما تظن أنه يجب أن يصل إليه فإنك تخلق لديه إحساسا متخاذلا تعساً من الفشل يمكن أن يؤدى إلى اضطرابات عاطفية خطيرة .

ولكنك إذا توقعت منه أن يفعل فقط ما يمكنه فعله ، وإذا

امتدحت ما يقوم به والذى قد يكون ضئيلا فى حد ذاته ولكنه كبير بالنسبة له ، و إذا جعلته يشعر بأنه محبوب ومتأكد من مكانه الذى لا يمكن لغيره أن يشغله فى الأسره وفى عالمه كيفما كان محكما ، فإنه يستطيع أن يكون سعيداً مثل أى طفل عادى الذكاء ، ولا شك فى أن لديه فرصة ليكون سعيداً ؛ذلك لأن رغباته أقل تعقيداً من الطفل العادى

ضع فى ذهنك أنه لن يكون له نوع السعادة كما رسمتها له أو تحبها له أو تلك التى ينتظرها المجتمع لابنك أنت أو تلك التى تسعدك . فأنت إن انتظرت مقابلة مشكلة ابنك حسب مقاييسك أنت فإنك ستنجح فقط فى جعله بائسا بحيث يصبح غير قادر على الإفادة من ذلك القدر من الذكاء الذى يتمتع به . والطريقة الوحيدة لمواجهة مشكلته يجب أن تكون فى إطاره الخاص . إننا جميعاً نحصل على الرضا والشعور بالسعادة من عملنا على مستوياتنا الخاصة فقد تكون بالنسبة لأحدنا أن يسجل فى قاموس المشهورين،وبالنسبة لآخر قد تكون فى كسب مليون من الدولارات ، و بالنسبة لثالث قد تكون فى حل مشكلة صعبة البحث ، و بالنسبة لطفلك قد تتمثل فى عمل آنية زهور من الفخار أو فى النجاح فى إعداد المائدة .

و يستطيع طفلك الاستمتاع بمثل هذا الرضا الذاتى إذا أنت من

ناحيتك لم تحط من قيمة عمله البسيط . ومن ناحية أخرى إذا ماوضعت أهدافا يمكنه تحقيقها ويمكنه الوصول إليها إذا عاونته فى خطوات التدريب والتعليم التى يستطيع أداءها جيداً أكثر من تلك التى لا يستطيع أن يحوز فيها تقدما كبيرا ، حتى لو كنت تشعر أن السابقة أكثر أهمية له . وكثير من الأطفال المتخلفين مثلا ممتازون فى العمل اليدوى ، ضع فى ذهنك هدفك كى تساعد طفلك ليصبح سعيداً وواثقاً من نفسه ، لا أن تجعله متعلما أو حاصلا على شهادة جامعية . فإنه حين يكتشف ما يمكنه عمله يصبح أقل قلقاً نحو ما لا يستطيعه . وبمثل هذا العمل قد تجنى مزيداً من الفوائد .

وإذا كان طفلك مهملا لا يلقى تشجيعاً فإنه لن يتمكن حتى من إحراز التقدم المتيسر له . أما إذا كان واثقا من نفسه ومتأكدا فإنه من الممكن أن يتقدم تقدما مؤكدا . فليس من السهل قطعاً على الأمهات الجامعيات والآباء ذوى المهن العقلية أو أصحاب الأعمال منهم أن ينظروا إلى أبنائهم على ضوء أنهم يكتسبون عيشهم من أعمال يدوية ، ناهيك إذا لم تتيسر القدرة على ذلك إطلاقاً . وإنها أيضاً للطمة بالنسبة للآباء الذين يعملون فى مثل هذه الأعمال أن يذعنوا للظن بأن أبناءهم الذين يحملون لهم آمالا عالية وخططا كبيرة ، لن يكونوا قادرين على أن يكونوا أحسن منهم ، ولكن آباء الطفل المقعد لن يتوقعوا له

أن ينتصر فى سباق أو حتى أن يشترك فيه ، فطفلك وهو ضعيف عقليا لا يمكن أن يتوقع منه أن يحمل إلى البيت الجوائز المدرسية، ولا حتى مجرد مسايرة العمل المدرسى فليس أشق على هذا الضعيف عقلياً أن تطلب منه مثل هذا المستحيل لأنه لاجدوى من سعيك وراءه للحصول على جائزة ،فما يمكنه أولا يمكنه عمله يتوقف ـ طبعاً ـ إلى درجة كبيرة على مقدار عجزه العقلى ، فبعض الأطفال الذين يعرفون بمجموعة الخط الفاصل Border Line ودرجات المرون Moron العليا هؤلاء يظهر اختلافهم بدرجة غير ملحوظة ورغم أنهم لا يستطيعون التفوق دراسياً على الإطلاق فإن الكثيرين منهم لا يمكن تمييزهم تقريباً عن الأطفال الآخرين إذا ما أحسن تدريبهم وتثقيفهم . أما غيرهم وهم ما يسمون بالمعتوهين Crib Cases الموجودين بالمؤسسات هؤلاء يبقون طول حياتهم بلاحول ولا قوة كالأطفال حديثى الولادة الذين يتميزون بعلامات جسمية غير طبيعية إلى جانب التخلف العقلى ، وفيما بين هؤلاء وهؤلاء مدى كبير من المظهر والقدرات . وهذه الأخيرة تتطور من الانتباه إلى الحاجات الشخصية البسيطة خلال إتمامهم عـــدة سنوات فى التعليم الأولى

وعلى وجه التقريب يمكن تجميع الأطفال المتخلفين فى فئة

هؤلاء الذين يمكنهم عن طريق التدريب والإشراف الكثير أو القليل الاعتماد على أنفسهم فى كسب رزقهم عندما يكبرون ، وفى فئة هؤلاء الذين يحتاجون إلى الحماية بواسطة أسرهم أو المؤسسات طول حياتهم . وسوف تعرف مكانة طفلك من هذه الفئات عن طريق موجهك المهنى ولا ننصحك بوضع هدف معين محدد له ساعده فقط و بوجه عام على أن يعمل أحسن ما يمكنه أن يتوقع منه . إنك لا تستطيع أن تنزع مشكلاته ولكن يمكنك أن تفعل الكثير لتقليل حدتها من نواح متعددة .

وتتجه أفكار آباء العاجزين نحو ما يمكن أن يقدم لهم من معونة طبية ، وليس لدى الطب إلى الآن الكثير مما يقدم كعلاج محدد للضعف العقلى، ولكن بما أن الأطفال المتخلفين يكونون عادة دون المستوى الصحى كما هو حادث فى المستوى العقلى فإنه من الأهمية بمكان أن يحصل طفلك على فحص دورى من إخصائى أمراض الأطفال . وعلى قدر شعوره العام بصحته و زيادة قوته يكون أكثر قدرة على استغلال إمكانياته .

وغالباً ما يصاحب النقص العقلى أمراضا جسمية بعضها يمكن علاجه . فكل إزالة لأى عجز تساعد طفلك على التقدم بمعدل متزايد . ومن

الواضح أن التعليم بالنسبة له يكون أكثر صعوبة لو كان يعانى من نقص فى السمع أو فى النظر .

وسوف يكون تقدمه أقل وضوحاً إذا كان يعانى من حالة جسمية مثل البدانة ، أو من تشوه يجعله مميزاً . فالطفل الذى يعانى من الشعور بالذات يكون مشغولا بالتعلم إلى أقصى قدرته تأكد من أن طفلك يمكنه الإفادة من أية جراحة أو علاج طبى قد يقلل من العجز الجسمى . وفوق كل هذا تأكد من أنه قد كون لنفسه عادات صحية مرغوبة ويتناول وجبات جيدة شاملة متوازنة بصفة منتظمة .

إن طفلك يحتاج إلى ما يحتاج إليه أى طفل آخر كى يصبح شخصاً مرضيا منظماً يبعث السرور بوجوده — ودائماً تذكر مع ذلك — أن التدريب يجب أن يحدد حسب قدراته ، وأن يعطى فى سن متقدم عن ذلك الذى يكون بالنسبة للطفل العادى .

فمثلا لا تتوقع منه أن يأكل بنفسه فى السن العادى أى سن السنتين ، ولا أن يتدرب على التبول والتبرز فى سن السنتين أو الثلاثة .

إنه من المستحيل أن نحصى الآثار الخطيرة التى تنتج عن إرغام الطفل المتخلف على ما يتجاوز حدود قدراته ، أو التى تكون اتجاه يأس

مشين مهما كان رقيقا عندما يفشل فى الوصول إلى مستوى عالٍ جداً بالنسبة له مثل هذا التدبير السيىء يخلق شعوراً بالفشل ، ويسبب للأطفال المتخلفين معظم اضطراباتهم العاطفية ، وكثيرا من سلوكهم المشين الذى ينمو عن طريق الإدراك الذاتى العصبى . وعلاوة على ذلك فإنها تقضى على أغراضها بتكوين توتر يعوق عملية التعلم

إن تلقين طفلك العادات الحسنة يتطلب منك صبراً لا حد له أكثر مما يتطلبه الأمر لو أنك تدرب طفلا غير عاجز وقبل أن تتكون العادة عليك أن تكرر التوجية عدة مرات ، وليس معنى ذلك أن تشعر بالملل نحو طفلك ، فالملل ليس مجرد الإعادة ولكنه يبدو فى نبرات الصوت فيحدث فيها تغيير و إثارة وملل أو قنوط ، و إذا اضطررت إلى أن تعيد القول احتفظ بنغمة الصوت هادئة سهلة وموضوعية بقدر الإمكان . وليس هذا بالأمر الهين على الآباء مثل سهولته بالنسبة للمدرس المحترف الذى يكون مع الطفل فترة من اليوم فقط ، ولكن تذكر أنك كلما حاولت أن تكون أقل عاطفة وأنت تعلم ابنك كان أسرع فى التعلم ، و إذا كانت توجيهاتك غير مفهومة فى بادىء الأمر عليك أن تنوع الأساليب لتجعلها مفهومة ولكن لا تعط شرحا فى صورة كلمات فقط كلما أمكن ذلك ، بل وضح ما تريده عملياً

وإذا تطلب الأمر توجيه طفلك عن طريق الإشارات والحركات افعل ذلك ولا تجعله يستمر فى شىء حتى يدركه التعب فهو غير قادر على الانتباه لمدة طويلة . أعطه توجيها واحداً فقط فى الوقت الواحد . فمن الصعب عليه مثلا أن ينفذ توجيهين مثل: «اجلس معتدلا ولا ترق طعامك» فإذا قلت له اجلس معتدلا وفعل هذا ، ثم حذرته عن الطعام فإنه سيكون قادراً على متابعة توجيهاتك أكثر يسرا . وبالمثل لا تقل له « أحضر البيض وقشره » ولكن اجعله أولا يحضر البيض ثم بعد ذلك أعطه التعليمات الخاصة بالتقشير .

لا تعتمد على طفلك فى أداء الشىء على أحسن وجه ، بل اشرح له بنفسك هذا العمل بالتفصيل . وحتى بعد أن يتضح أنه قد تعلم شيئاً روتينياً فقد تضطر إلى أن تعلمه له مرات أخرى وتوقع منه إذا ما تمكن مرة من عملية ما مثل ارتداء ملابسه أن يستمر فيها . وسيكون بطيئاً بطبيعة الحال فى بعض الأحيان بحيث تضطر إلى القيام بها بنفسك إذا كنت مرتبطا بموعد فى مكان ما ، ولكن أقصر مثل هذه المساعدة أقل ما يمكن . ولكن حذار من أن تتعجله لأن معدله الزمنى أقل من معدلك أو معدل ابن متوسط الذكاء . ولهذا السبب ولأنه فى بعض الأحيان قد ينسى اتخاذ الخطوة التالية فى عملية ما كتنظيف أسنانه بالفرشاة مثلا فإن عليك دائما أن تشرف عليه بعض الشىء .

فكل الأطفال يتلكئون ، والمتخلفون عقلياً يكونون أكثر تلكؤا من الآخرين ، ويستحسن أن تكلف للطفل آداء أعمال روتينية يرتبط فيها العمل بآخر . فمثلا اجعله دائما يغسل وجهه قبل الجلوس على مائدة الإفطار ،أو أن ينظف أسنانه بعد أن يرتدى رداء النوم . فارتباط عمل واحد بعمل آخر يجعل من السهل عليه تذكر الاثنين ، وكل نجاح يحرزه يزيد من ثقته فى نفسه بعض الشيء وكل هذا لصالحه طالما كان يعطيه إشباعا عاطفياً علاوة على اكتساب العادات الطيبة .والعادات الحسنة عند الطفل المتخلف لا تجعل الحياة سهلة بالنسبة لوالديه و بالنسبة لكل فرد فى الأسرة فحسب ، ولكنها توسع أيضاً من الفرص أمامه . فإذا كان نظيفاً مهندماً حسن الطبع فسيكون أكثر ترحيباً فى بعض المجتمعات الصغيرة التى تكون مقفلة بالنسبة له إذا لم يكن كذلك .

وإذا قمت بتدريبك البطيء الصبور لتكوين العادة لا على أنها واجب وإنما بروح الإسهام الإيجابى فى سعادة ابنك وفى تقديم خدمة له . تكون بذلك قد تمكنت من تنمية شخصيته فضلا عن أن هذا يسعدكما معاً .

كل الأطفال يحبون الثناء والتقدير ،ولكن طفلك المتخلف يحتاج

إلى ذلك و يتوق إليه بشدة ؛ لأنه يواجه الفشل فى معظم الأحيان .. وتزيد ضرورة الثناء فى بداية تدريبه عنها بعد ذلك ، ولا بد من أن يحظى ببعض التقدير حتى إذا لم ينجح فى شىء . ومن السهل أن نقدم للكفيف أو الكسيح تقديراً لنجاحه أو ببذل المحاولة أكثر من أن نقدمها لطفل بطىء ؛ لأن عجزهم يبدو أكثر حدة ، وحاجتهم إلى العطف ظاهرة . امتدح تقدمه وافرح له على أساس مقارنته بالأولاد الآخرين . ولكن على ضوء ما كان يمكنه أو ما لم يمكنه عمله من قبل ، وتجنب تقديم المديح الزائف ، له فليس من المستحسن إطلاقاً أن يكونوا غير واقعيين مع أطفالهم ضعاف العقول مثل غيرهم من الأطفال ، وذلك لأن الطفل مهما نما وكبر يجب أن تتوافر لديه فكرة واضحة عما لا يستطيع عمله توازى فكرته عما يستطيعه .

والتهذيب ضرورى للطفل ناقص العقل كما هو بالنسبة لأى طفل آخر ، وخير الطرق لذلك من الوجهة النظرية أن يكون ذلك نابعاً من نفس الفرد ولكن طالما أن طفلك محدود عقلياً فإن سلوكه يجب أن ينظم من الخارج ولا يجدى ذلك إلا عن طريقك .

وليس المقصود بالتهذيب العقاب البدنى إطلاقاً فالجلد والصفع واللطم لأى ابن ما هى إلا تنفيس لغضب الكبار ، تحط من قدر من يلجئون إليها

وهناك سبب آخر فى حالة الطفل المتخلف لعدم استخدام العقوبة البدنية . فالطفل وقد أصبح غير متأكد وقد تأذى أذى مبهماً من جراء فشله المتكرر بالنسبة لغيره من الأولاد يحتاج إلى حب يقوم على الفهم من آبائه بدلا من الغضب .

وتتمثل الأساليب السليمة للتأديب فى حرمانه من لذة مصاحبة الآخرين لفترة ، أو انتقاص أحد امتيازاته . والربط بين العقاب والعمل الخاطىء لابد وأن يكون وثيقاً وسريعاً ، فلا نؤجله لأن طفلك لن يكون قادراً على الربط بين السبب والنتيجة إذا ماحرمته من الاشتراك فى رحلة الأسبوع القادم من أجل شىء ارتكبه اليوم .

ولهذا فإنه من العبث تذكيره إذا ما ارتكب خطأ ، كقولك له « لهذا السبب طردتك أمس من المائدة » فمثل هذا الترديد لأحداث ماضية سياسة ضعيفة من أب طفل سوى ، وهى بالنسبة للطفل البطىء عديمة الجدوى لأنها لا تعنى شيئا له ، و بالمثل فإن التهديد بعقوبات مستقبلة لا ننصح بها مع أى طفل . فالطفل المتخلف الذى تحول حدوده العقلية بينه و بين فهم الحاضر القريب ، لن يتمكن ببساطة من استيعاب التهديدات المستعجلة .

و إذا كان لطفلك ذكاء كاف لفهم الأسباب والإيضاحات

تأكد من أن تلك التى تقدمها له لا تعلو على إدراكه ، فإذا جعلته يقوم بما يتناسب مع فهمه وإدراكه فقط فإنك تجنبه بذلك الحيرة التعسة المؤسفة حول مافعله وأثار غضبك. فمثلا عندما يكسر شيئاً أو يلوث حوائط حجرته فقد لا يكون مسئولا كما لو كان طفلا عادياً ، فكونه أخرق لا يستطيع ربط الأسباب بالنتائج والاضطراب غير الطبيعى وأغلبها من خصائص النقص العقلى . كل هذه قد تسهم فى جعله مخرباً ومن القسوة بطبيعة الحال أن نعاقب طفلا بطيئاً لعدم إمكانه مسايرة العمل المدرسى .

وعموماً لا يحتمل أن تصادفك مشكلات تستدعى عقاباً خطيراً مع طفلك لأنه يفتقر إلى المبادأة أو التخيل لأن يكون مذنباً بالنسبة لكثير من الأضرار المتعمدة .

وعندما ينحرف الأطفال المتخلفون فإن ذلك غالباً ما يكون لسبب احتذائهم بطفل شرير متشرد ،أو قد يكون قد غرر به ، وأنت لا تستطيع أن تعطى ابنك دائماً الحكم ليعرف متى يرفض المقترحات التى تجلب له المتاعب، ولكنك تستطيع أن تقدم له العادات الحسنة التى هى بمثابة وقاية له من الانقياد السيء .

وكثيراً ما ينتاب الآباء القلق عن احتمال الانحراف الجنسى فى

الأولاد المتخلفين خاصة الفتيات . وفعلا وعلى نقيض الفكرة الشائعة فإن ناقص العقل وهو بعيد عن التوتر الجنسى يميل إلى أن يكون تحت المستوى الجنسى وحيث إن عقليتهم وصحتهم تميل نحو التأخر فإن رغباتهم الجنسية تكون مماثلة والخطر بالنسبة للفتاة المتخلفة يكمن فى سهولة التأثير عليها وليس فى رغباتها القوية ولكن التدريب الحسن هو حصن قوى ضد العلاقات الجنسية المحرمة وذلك بالإضافة إلى الحب الذى تلقاه فى المنزل .

فالفتاة قد تخضع لمغرر فقط لأنها قد حرمت من الحب ، وتوضح السجلات أن الفتيات المتخلفات اللاتى تكيفن تكيفاً ملائماً ودربن تدريباً حسناً لا يتعرضن لمتاعب جنسية قليلة أو كثيرة تفوق نظيرها بالنسبة لبنات جنسهن .

وسوف يفعل ابنك أشياء كثيرة صغيرة تجدها مثار ضيق لك كما هو الحال بالنسبة لأى شخص آخر . ولكنك لا تستطيع أن تصلح ذلك بالعقاب أو النهى عن عملها . فهو لا حيلة له مثلا فى أنه بطىء أو كثير النسيان .

ويمكن الحد من عدد كبير من التصرفات المثيرة التى يتسم بها المتخلفون بدرجة ملحوظة ، ولو أن ذلك يستغرق وقتاً طويلا .

فقد يسألك ابنك مثلا ، وهو غير مدرك ، ذات الأسئلة ويكرر نفس التعليقات عشرات المرات فى اليوم ، فهذا قصور فى اليقظة العقلية وسوف تقول له حينئذ « لا تفعل » أو تقول له بغضب « إن فى ذلك الكفاية » وإذا صح التعبير فإن علاج مثل هذه الحالات لا يسير من الخارج إلى الداخل ، إذ لابد وأن يكون عكس ذلك ، فمتى تأكد طفلك من حبك له جعله ذلك لا يشعر بالحاجة إلى جذب انتباهك له باستمرار ، وهذا يقلل العادة حتى تتلاشى .

وقد يؤثر اضطراب الطفل المتخاف على أعصابه أيضاً وهذا يكون نتيجة أسباب عضوية فى بعض الصغار مثل تليف المخ، ولكن كثيرا من هذا الاضطراب يكون نتيجة لنقص فى القدرة على التفكير فيما يعمله . ولذا فإنك كلما عملت على شغل ابنك فى أعمال قللت بذلك من تعثره أو تحريك يديه بلا هدف .

وكن حذراً — على أى حال — فى ألا تقدم له لعباً تفوق عمره العقلى مهما كانت مناسبة لعمره الزمنى . فليس من المحتمل أن يحطمها فقط ،ولكنه سيضطرب أيضاً عندما يحاول معالجة شىء معقد جداً بالنسبة له . ويستحسن أن تستشير خبيراً مهنياً أو مدرساً درب خصيصاً للعمل مع الأطفال المتخلفين لتعرف أدوات اللعب والألعاب الرياضية والمهن المناسبة .

والتجهم والحالات السلوكية التى تعتبر نماذج لكثير من الأطفال ناقصى العقل تميل إلى التناقص كلما أصبح الصغار أكثر ثقة بأنفسهم . والقهقهة والتعبيرات غير المستحبة للوجه وما إليها هى فى الغالب مجرد تلمس وتدبير لا شعورى لتغطية خجل مؤلم ، وزيادة فى الحساسية وشعور بالنقص .

ويحتمل أيضاً أن تعانى من إهمال طفلك لملابسه ، فكثير من الأطفال الأسوياء لديهم ميل لإهمال مظهرهم ويكثر ذلك فى الأطفال المتخلفين عقلياً . فطفلك قد لا يرتدى ثوبه بالوضع الطبيعى ، ولا يضع قبعته بالزاوية المحددة لها ، كما أنه عرضة لأن يفقد جواربه وقفازاته ومناديله . وبعض من هذه التصرفات يكون نتيجة حتمية للنسيان ، ولكن كثيرا منها يحدث من شعور مثير لدى الطفل المتخلف وهو «ماهى الفائدة من النظام » فشعوره بأنه فاشل فى أشياء كثيرة يجعله يقلع عن محاولة عمل أى شىء صائب ، وينمى عنده «عدم الاهتمام بالشىء» وهو اتجاه نحو الطريقة التى يظهر بها . وهنا مرة أخرى يجب أن يكون العلاج من الداخل إلى الخارج . فعندما يكتسب الطفل الثقة بالنفس يمكنه التغير بدرجة مدهشة إلى الأفضل بالنسبة للعناية بممتلكاته الشخصية ، وينمو عنده اهتمام حقيقى وافتخار بتحسين مظهره .

هندم طفلك بأحسن ما يناسب إمكانياتك ؛ لأن اللبس المناسب

سند لاحترام الذات ،وله قيمة عقلية مفيدة . وتجنب التغالى فى الهندام أو غيره مما يجعل الطفل مميزاً . فملابسه يجب أن تتفق والصلة بين العمر الذى يبدو عليه والعمر الذى يتصرف وفقه وحاول دائماً اختيار الأنواع التى يسهل عليه التصرف فيها ، لا من أجل استطاعته الاعتماد على نفسه فى ارتدائها فحسب ، بل أيضاً حتى لا تكون عرضه للانحلال أو التدلى أو أن تصبح غير مستقيمة بسهولة

إن كل الآباء يحبون أن يشرفهم أبناؤهم ويظهرون تربيتهم الطيبة ، ولكن مهما أحسنت تدريب ابنك فهناك دائماً تأكيد بأن تكون هناك مناسبات لا يبدو فيها مظهر ابنك مناسباً ، أو يسلك فيها سلوكا مناسباً أمام العامة وليس من المعقول طبعاً ألا تقوم بتوجيهه بصوت مسموع فى مثل هذه الأوقات لأنك على الأقل لست جاهلا بالطريقة التى يجب أن يظهر بها الطفل أو يتصرف على هديها ولكى تتجنب تحقير طفلك أمام الآخرين ، حاول بوسعك أن تحد من انتقاده أمام الناس . فالطفل المتخلف يحصل على أكثر من نصيبه من الخبرة فى الاحتقار ويحتاج إلى الكثير لبناء ثقته بنفسه وشعوره بقيمته الشخصية ، فلا بد وأن تكون أكثر حذرا وأنت تحاول عدم تحطيمها

وقد يساعده الذهاب إلى المدرسة وقد يؤذيه . وليس هناك إجابة عامة عن السؤال « هل يتحتّم على ابنى الذهاب إلى المدرسة ؟» وفى الحقيقة إن درجة عجزه العقلى والتسهيلات المدرسية المهيأة قد تحدد الإيجاب أو النفى للسؤال .

« هل يمكنه الذهاب إلى المدرسة ؟

وستكون الإجابة بالإيجاب القاطع إذا كانت هناك فصول خاصة لطفلك الحق فى الالتحاق بها . ويستنكر بعض الآباء تحويل أبنائهم إلى فصول خاصة ويعزون ذلك إلى الكسل أو عدم الاهتمام وعدم التكافؤ والظلم أو كل ما ليس موجوداً فى مدرسى الفصول العادية . ناقش الأمر فى المد سة إذا ما كانت فكرة الفصل الخاص تقلقك ، وستجد أن هذه الفصول عادة أصغر من الفصول العادية ، ومجهزة لاحتياجات الأطفال المماثلين لابنك وأكثر مرونة من حيث مناهج الدراسة وطرق التدريس .

وبدلا من أن يعانى ابنك من كونه « مختلفا » وسط أطفال لا يمكنه مجاراتهم فإن طفلك فى هذه الفصول ستكون لديه الفرصة لتذوق بعض لذة النجاح بالتنافس مع أقران فى مستواه العقلى ، وبتحرره من الخجل وخيبة الأمل سيكون قادراً على استغلال أقصى

ما عنده فذلك أحرى بك من أن تنظر إلى الفصل الخاص على أن تفـرقه أو به شيء مشين . فعلى الآباء أن يعتبروه فرصة حقيقية لأبنائهم . ومن سوء الحظ ألا يـكون بالمدرسة الموجودة فى منطقتك فصول خاصة بالأطفال المتخلفين عقلياً ، ولم يـكن فى إمكانك تحمل نفقات مدرسة خاصة

وقد يتمكن المدرس المستنير الذى يعمل فى مدرسة ريفية ذات فصل واحد حيث لا يظهر الطفل المتخلف وسط خليط من الأطفال مختلفى الأعمار والأحجام — قد يتمكن هذا المدرس من مساعدة الطفل إلى حد كبير .

وأحيانا يمكن للمدرسين الأكفاء جعل التقدم للأطفال المتخلفين ممكناً فى حدود طاقتهم فى الفصول النظامية العادية . وإن تعليم الأطفال المتخلفين فى الواقع لا يختلف عن تعليم العاديين فيما يتوقع منهم عمله وفى سرعة تقدمهم فحسب ، ولـكن يختلف فى مادة الدراسة أيضاً . وسوف يـكون من واجبك أن تنتفع بالدراسة الموجودة فى الوقت الحاضر إلى أن تدرك كل البيئات أهمية التعليم الخاص بضعاف العقول .

ضع ثقتك على أى حال فى ناظر المدرسة وفى المدرس أيضاً فى معالجتهما لعجز طفلك. ولا تلومن المدرسـة إذا لم تتمكن من تقديم

كل المساعدات الفردية والعناية بطفلك التى تعتقد أنها لازمة له .
وفى معظم الحالات يميل المدرسون إلى أن يكرسوا أنفسهم للأطفال المبطئين لدرجة تجعلهم يهملون الأذكياء ، ولكن أغلبهم مكلفون فوق طاقتهم بفصول كبيرة لدرجة لا تسمح لهم بالتعامل مع كل تلميذ بما يكفل أقصى مصلحته .

و يستحسن أن تبقى طفلك فى المدرسة ما لم يظهر مشاكل انفعالية بسبب الضغط الواقع عليه نتيجة لمنافسته لأقرانه العاديين فى الفصل أو أن يكون محطماً فى اللعب وهذا الرأى يظل سليماً حتى إذا لم يتمكن من أن تكشف أنه قد تعلم اللغة من القراءة والكتابة والحساب، وهو يستفيد من التعليم ليساير الأطفال الآخرين وليتعلم اتباع التعليمات وتكوين عادات المواظبة ومجرد الذهاب إلى المدرسة غالباً ما يمنع الشعور بتحطيم الشخصية لكونه مختلفاً ، و يحفظ كيان الطفل بنفس الطريقه التى يحفظ بها العمل كيان الرجل ، وفضلا عن ذلك فإن وجود طفلك فى المدرسة راحة كبيرة لك خاصة إذا كنت أمه . وليس هناك مايدعو إلى الخجل فى إحساسك السعيد بالاسترخاء والحرية إذا لم يكن طفلك ملازماً لك فى كل لحظة، فمعظم الأطفال مقلقون بدرجات متفاوتة

والأطفال المتخلفون وهم الأقل فائدة والذين يحتاجون إلى اهتمام مستمر هم أكثر « إضناء »

وليس من الأنانية أن ترتاح من إبعاد طفلك عنك لساعات قليلة يومياً فسوف تكونين أمافاضلة إذا تحررت من طفلك بعض الشيء.؛ لأنه عندما يكون فى المنزل سوف تحتاجين إلى استعادة قوتك وصبرك باستمرار . وليس هناك من يحتاج إلى مثل هـذه الراحة أكثر من أمهات الأطفال ذوى العجز الكبير . ومع ذلك فإن مشكلة إيجاد رفاق لهم وتعليمهم تعتبر مسألة كبيرة وتخصص الفصول الخاصة بالمدارس العامة عادة للأولاد والبنات الذين ينتظر منهم السير فى حياتهم بطريقة لابأس بها بمعاونة المدرسة . وغالباً لا يقبل بالمدرسة الصغار المتخلفون الذين لم يصلوا إلىالعمر العقلى اللازم لمتابعة العملالمدرسى،أوالذين لديهم عادات شخصية غير مرضية ، أو الذين يعتبر سلوكهم مثار قلق لغيرهم من التلاميذ . وهناك القليل النـادر من نظم تعليم المرحلة الأولى المحلية ما يتيح فرصاً تعليمية للأطفال االمتخلفين الذين لا يستطيعون الإفادة من الفصول الخاصة . وتهيىء مجموعة كبيرة من المؤسسات الحكومية تسهيلاتها الخاصة لمثل هؤلاء الأطفال المتأخرين بدرجة كبيرة فى فصول صباحية ، وتمول بعض هده الفصول عن طريق أموال البر .

وقد تتمكن إذا ما أبعد طفلك عن المدرسة من الحصول على خدمات المدرسة الخاصة كحل جزئى لمشكلتك ، ولكن ذلك لا يفى بحاجة ابنك للزمالة ، وأحسن طريقة هى أن تتكاتف مع غيرك من الآباء الذين لديهم نفس المشكلة

اطلب من مدرستك أو من المدارس الحكومية التى تمولها بالضرائب أن تقدم لأطفالكم بعض تسهيلاتها . وطبيعى سوف لا تتوقع من أى مدرسة أن تعلم طفلك تعليماً عالياً إذا كان يعانى من عجز عقلى شديد . ولكن نشوة « الذهاب إلى المدرسة » وإحساسه بالتدريب الذى قد لا يتعدى تعلمه تفرقة الألوان والأشكال وما شابهها والأعمال اليدوية البسيطة والألعاب ستجعله أكثر سعادة ، وأقل قلقاً .

وسوف تقيه ساعات انشغاله من السلوك الشاذ أكثر مما لو اضطر إلى قضاء فراغه فى المنزل . وإن الفوائد التى تعود عليك لشعورك ببعض التحرر من العناية به فضلا عن شعورك بأنك لا تحمل وحدك عبء تدريبه لا يمكن حصرها ، إن السؤال الذى يتبادر إلى ذهن جميع آباء الأطفال المتخلفين تقريباً سواء فى الوقت الحاضر أو فى المستقبل هو « هل أبقى طفلى معى أو أرسله لمن يعنى به خارج المنزل؟»وهناك قاعدة واحدة عامة يمكن تطبيقها عند الإجابة عن هذا السؤال وهى « إن ذلك ليس من حقك فحسب ولكنها مسئوليتك أن تضع قرارك

بنفسك ، وعليك ألا تسمح لأحد غيرك أن يؤنبك أو يشعرك بالخزى لهذا القرار » .

هناك كثير من الاعتبارات التى قد تتدخل فى رأيك سواء كنت ستبقى طفلك معك أو تتركه لرعاية الأسرة البديلة «Foster Family» أن تلحقه بمدرسة داخلية خاصة أو تستفيد من التسهيلات التى تقدمها الدولة بالمؤسسات .

وإن درجة عجزه ومدى تعاونه مع أفراد الأسرة والجيران ومدى استطاعته الاستفادة من الدراسة المتيسرة فى منطقته ونوع ومقدار المساعدة التى تتطلبها للعناية به وشعور الأطفال والكبار نحوه وطريقة تصرفهم معه . كل من هذه العوامل تلعب دورها . وتستطيع الإخصائية الاجتماعية فى معظم الأحيان أن تساعدك على التفكير على ضوء هذه المزايا للأنواع المتعددة للعناية بطفلك فى حالتك الخاصة .

وإذا كان طفلك أحد هؤلاء المتخلفين بدرجة كبيرة تجعله يحتاج حتما إلى العناية والحماية — عليك بالاهتمام جدياً فى ترتيب ذلك له .. إن الكثير من الآباء يفزعون عند التفكير فى المؤسسة ، فهم يعتقدون أن أطفالهم قد يهملون أو يستغلون ، أو أن زيارات الآباء ستكون ممنوعة ، فللتخلص من مثل هذا القلق يمكنك أن تزور مدرسة التدريب

الحكومية لكى تحكم عليها بنفسك . و بالرغم من أن معظم هذه المؤسسات للأسف ينقصها الموظفون والمال وتفتقر إلى وسائل التدريب الحسن إلا أننا نجد فى كل مكان منها تقريباً شعوراً طيباً من الموظفين نحو الأطفال وقلما نجد واحدة منها تفتقر إلى العناية الطيبة . وكثير من الأطفال، فى الواقع يكونون أكثر سعادة وسط من يشبهونهم أكثر مما لو كانوا فى مجتمع الأسوياء العاديين من الناس الذين يعتبرون أكثر تفوقا .

وقد يستفيد الأطفال الذين لا يعانون من عجز كبير أيضاً من وجودهم فترة من الوقت فى جو مريح يتفق مع عمرهم العقلى أكثر مما يتفق مع عمرهم الزمنى . وقد يكون لدى طفلك من الذكاء الكافى بحيث يسمح له بالسير فى حياته بالتدريب و بعض التعليم ، ولكنه إذا أساء التكيف وأصبح منطوياً لأنه لا يستطيع الوصول إلى المنزل والمجتمع ، و إذا لم يتيسر له التعليم الخاص المناسب محلياً ولم يكن فى الولاية التى تسكن بها مدرسة للتوجيه المناسب فلا أقل من أن تضع هذه الأمور فى اعتبارك .

إن التدريب والتعليم الممتازين يوجدان فى قليل من المدارس الحكومية . وقد يتاح لكثير من الأطفال بعد بضع سنوات من تحررهم من التوتر فرصة الحصول على التأمين والتدريب الخاص

بعيداً عن مثل هذه المدارس، وتحت المراقبة فى أول الأمر إلى أن يعتمدوا على أنفسهم وليس هناك داع فى حالة مثل هذا الطفل إلى الحيرة فى إبعاده عن المنزل أم إبقائه فيه . فمعظم الموجودين بالمؤسسات قد ألحقوا بها لما سببوه من مشاكل للمجتمع أو قد يكونوا من أسر مفككة غير مناسبة .

إن الأطفال المتخلفين عقلياً المولودين من أسر ذات مستوى عال من الناحية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية يعانون من صعوبات كثيرة ويضطربون نفسياً بسبب الضغط عليهم ليرتفعوا إلى مستوى المحيطين بهم . وقد تكون المدارس الداخلية الخاصة أفضل وسيلة ممكنة بالنسبة لهؤلاء الأطفال والمفضل فيها يمتاز فى مستواه بالرغم من اعتدال نفقاتها .

وعليك أن تضع فى اعتبارك — إذا كان لك أطفال آخرون — ما تنفقه على تعليمهم عندما تحسب نفقات المدرسة الأهلية الخاصة التى سيلحق بها طفلك الضعيف العقل ، وسوف يظهر ذلك الوضع بوضوح كالآتى : « إذا ألحقنا طفلنا المتخلف فى مدرسة داخاية خاصة لن نتمكن من أن نيسر لابننا التعليم الجامعى والمهنى الذى قد استعد ووطد نفسه له » .

وحتى عندما لا نقيم وزناً لشعور الأطفال العاديين فى الأسرة وحقوقهم —وليس ذلك مشكلتنا طبعاً — فقد يكون أسوأ شىء تفعله لابنك العاجز هو أن تمنحه كل شىء وتحرم منه إخوته وأخواته

الآخرين ، فإن ذلك لن يجعلهم يشعرون بالعطف عليه ، و ربما احتاج إليهم فى المستقبل .

لا تحزن إذا لم تتمكن من إرسال ابنك إلى مدرسة أو معهد خاص فليس من الضرورى فى الواقع أن تكون المدارس الخاصة صالحة . ولا داعى لشعورك بأنك ربما تكون قد قصرت فى واجبك نحو طفلك بأى حال إذا كنت قد قررت إرساله إلى مكان أهلى أو حكومى سواء بصفة دائمة أو مؤقتة — و بالعكس إذا كنت قد بنيت قرارك على ما تعتقده فى صالح ابنك فقط ، تكون بذلك قد أحسنت أداء واجبك .

وإذا كان ثمه أطفال آخرون فى الأسرة فلا شك فى أنك ستبذل أقصى جهدك لعمل ما فى صالحه أيضاً ، فوجود طفل متخلف فى البيت قد يقلب حياة الإخوة والأخوات رأساً على عقب. فقد تكرس بعض الأمهات أنفسهن كلية نحو الطفل العاجز المصاب بعاهة خطيرة وتهمل باقى الأطفال العاديين . إن مظهر الأخ أو الأخت الملفت للنظر بشكل غير عادى قد يسبب خجلا كبيراً خصوصاً بالنسبة للمراهق الذى يعتقد أن للعالم خارج المنزل أهمية كبيرة .

وغالباً ما يمكن حل هذه المشاكل حاصة إذا ما كانت هناك الزائرة

المنزلية أو الإخصائية الاجتماعية التى تساعدالطفل على التكيف مع الأسرة وتساعد الأسرة لتقبل طفلها ، وليس معنى هـــــذا طبعاً تجاهل وجود المشكلات .

وسوف يعتمد إعداد طفلك للحياة خارج المنزل لدرجة كبيرة على مدى قدرته على الإدراك .فإذا لم يكن الطبيب أو الإخصائيةالاجتماعية أو المدرسة الخاصة على صلة بك من قبـــل ليقدموا لك النصح فإنك تستطيع أن تحصل عن طريق أحد أعضاء هيئه التدريس بالمدرسة على ما تقــوله لطفلك إذا ما ترك المنزل ، وعلى أحسن وسيلة لتقبل نظام المدرسة بارتياح .

ناقش موضوع زيارة طفلك أيضاً مع أحد أعضاء هيئة التدريس بالمدرسة وحتى إذا ما وضح لك أن طفلك لن يتمكن من أن يــكون له مكان فى المجتمع فإنه من الضرورى لسعادته وللتقدم الذى يستطيع أن يحرزه أن يــكون لديه دليل على أنك ما زلت تحبه .

وتعتبر الهدايا إحدى الوسائل التى يتأكد بها الطفل من حبك الذى يسعده . اعرف الهدايا التى توافق عليها المدرسة أو ترفضها ولا تجعل هداياك من المأكولات التى غالباً ما تــكون ممنوعة فى أى مكان سواء فى المدارس الخاصة أو الحــكومية . وإن اللعب القيمة والساعات

والجوهرات غير مناسبة أيضاً فى مؤسسة ضعاف العقول فإنها أكثر تعرضاً للكسر أو الضياع .

وإذا أبقيت طفلك العاجز فى المنزل وكان لديك أطفال آخرون فإن عليك أن تكون حاذقاً فى تدبير أمور أسرتك حتى يعيشوا فى راحة مع بعضهم . وبينما يكون من الضرورى على إخوة وأخوات الطفل المتخلف أن يتخلوا عن بعض الأشياء له ، فلا يتوقع منهم أن يضحوا بأنفسهم دائماً له . فلا يتوقع من غير الطفل الأكبر أن يفسح المجال دائما للطفل الصغير ،ولا تسألهم طبعاً أن يعطوك أية وعود . كأن «يرعوه فى غيابك» مثلا شجع أطفالك على أن يعطوا الطفل العاجز اهتماما عاطفيا وثناء لأن اهتمامك وثناءك لن يكون كافيا إلا إذا عزز من باقى الأسرة .

ويستحسن أن تكون على حذر سابق إزاء التغييرات الواضحة فى تصرفات أولادك السويين نحو أخيهم أو أختهم، ولا يهم مدى إعجابهم فى حالة إذا ما تحرروا من شعورهم بالأسف عليه وحماية أنفسهم لخجلهم منه وكرههم له .

اعرف أن ذلك تصرف طبيعى من إخوة وأخوات الطفل المتخلف وأنك ستتمكن من التصرف إزاء هذا التصرف بهدوء . وعموماً فإن أطفالكم سوف يتصرفون تصرفك ذاته ،وسوف يقبلونه على ما هو عليه بنفس درجة قبولك له .

وإذا كان الأطفال الأسوياء هم الكبار فان ذلك يزيد من سهولة تكيف الطفل العاجز مع الأسرة أكثر مما لو كانوا هم الصغار. وسوف يتفوقون عليه ويتعدونه سريعاً. ولكن تجنب على أى حال المقارنة غير المستحسنة مع إخوته وأخواته كأن تقول عندما كانوا فى سنك كانوا يستطيعون عمل تلك أو ذاك « أوانظر كيف يبدون بمظهر حسن وشاهد طريقة ارتدائهم ملابسهم» إذ ذلك لا يؤدى إلا إلى إيلام الطفل العاجز. وإن على الآباء ألا يذكروا الطفل الأصم بأن إخوته كانوا يستطيعون السمع أحسن منه، ولا أن يذكروا الطفل المتخلف أبداً بأن يقوم بشىء لم تطلبه من الآخرين، مثلا إذا كنت تخبئه لمظهره غير الحسن عند الأكل، فلا تسمح لباقى الأطفال بالالتفاف حول المائدة.

وإذا تصرفت بحكمة إزاء كل هذه المواقف فإن طفلك العاجز وباقى الأطفال العاديين قد يتمكنون من الحياة فى يسر مع بعضهم، فلا توجد أسرة بأكملها طبعاً ترغب فى أن « تنهـــــار » لوجود شخص متخلف فيها.

لا تفسد حياتك؛ فإنك تجلب لنفسك ولطفلك الأذى إذا تخليت عن كل شىء لتكرس نفسك له. فقد تحتاج أكثر من والد أى طفل آخر إلى أن تستكشف ميول وهوايات وطموح طفلك. ومن الخطأ أن يحاول

أى أب « أن يعيش لأطفاله » وقد يشعر بالحزن لهذا الوضع

لن يكون طفلك الصغير مدعاة لسعادتك فى المجتمعات حيث تسنح فرصة الحديث عن ألمعية الطفل الصغير وأقواله ، أو عن تفوقه على غيره من الكبار فى المدرسة أو نجاحه المهنى المرموق . وإنما تتأتى هذه السعادة حينما تنضم إلى مجموعة من آباء الأطفال المختلفين المنتشرين فى كثير من الجهات خلال السنوات القليلة الماضية ، والتى تمكنك من التحرر من إحساسك بأنك متخلف وحيد .

ويتحدث الآباء والأمهات فى هذه الاجتماعات بفخر — ولهم الحق فى ذلك — عن تقدم الطفل البالغ من العمر ست سنوات فى المشى أو الطفل البالغ اثنى عشر عاماً الذى أتم تعلم الحروف الأبجدية من وقت قريب ، مثلهم فى ذلك مثل مناقشة الآباء والأمهات الآخرين عن أعمال عظيمة . فليس هناك ما يرفع الحالة المنعوية أكثر من تبادل الخبرات والآمال و المشاكل مع آخرين لهم مشكلات تشبه مشكلتك.

وسوف تحس باطمئنان بالغ أيضاً عندما تجد رجالا ونساء محترمين وفى مستوى عال، فى المظهر لهم أطفال متخلفون مثلك .

فإذا لم توجد مثل هذه الجماعات فى بيئتك فقد ترغب فى تكوين واحدة منها ، فإذا كانت لديك هذه الرغبة اكتب إلى إدارة المؤسسات

والهيئات — قسم الإرشاد بولاية نيوجـــــــرسى — ترنتون

The Ltate of New Jersy Dep. of Institutional & Agencies Dursion of Clasoificatian & Education, Trinton.

لـكى ترسل لك نشرتها عن مجموعات الآباء للأطفال المختلفين عقلياً فإن هذه النشرة المجانية تقدم الـكثير من المقترحات المفيدة عن كيفية تـكوين مثل هذه المجموعات ووسيلة الاستفادة منها .

إن ما يمكنك أن تقوم به إذا كان طفلك متخلفا عقلياً إلى درجة كبيرة — هو أن تعتنى به وتحميه . وإن تأكدك من حصول طفلك عليها سواء فى البيت أو المؤسسة يجب أن يـكون حدود سعادتك كوالد، ولـكن إذا لم يـكن تدريبه متيسراً على الإطلاق فإنك تستطيع أن تساعده فى أن يتقدم فى الأعمال الخاصة به ؛ والتى قد تـكون بدائية بالنسبة لك مثل الاحتفاظ بنظافته أو تقدمه النسبى فى شخصيته أو عاداته السلوكية التى قد تتيح له فرصة العمل فى المستقبل، أو لعلك تـكون العامل المؤثر فى تحويله من طفل بائس مضطرب الأعصاب إلى طفل سعيد قانع فى مملـكته الصغيرة . .

ومثل هذا السرور الذى قد ينتابك لتقدم طفلك البطىء الصغير لا يمكن أن يعادل سعادة والد الطفل السوى حينما يلحظ

تقدم طفله . ومع ذلك فإن هذا الشعور الذى ينتابك حقيقى ومرض، فلا شك فى أن الصعوبات والعقبات التى تعترض طريق تربية الطفل المتخلف لها جوانبها من اللذة والطموح . فلا يستطيع إنسان حتى العباقرة منا أن يفعلوا أكثر من استغلال المواد التى يعملون بها ، وهكذا إذا تيسر لطفلك أن يحقق نجاحاً داخل حدود إمكانياته فيجب أن تشعر بالفخر وراحة البال من حيث إنك والد ناجح .

الفصل الثامن

إذا كان طفلك يعانى عيباً من عيوب الكلام

قد يقوم بينك و بين طفلك . أو بينه و بين الآخرين ، حاجز حائل بسبب عضوى أو نفسى ، يعجز الطفل عن التعبير عن نفسه . فعندما يحاول أن ينقل أفكاره أو مشاعره ، يخونه النطق ، أو يثقل عليه ، أو يتلجلج فيه ، أو يكون كلامه غير مفهوم ور بما عجز عن الكلام كلية . وقد يؤلمك و يحز فى قلبك أن تعلم أنت وطفلك بين جمع من أصدقائه وأقربائه ، أنه يعانى من الوحدة لأنه غير قادر على الاتصال بهم فى سهولة بل إن كثيرا ما تصبح الصلة العاطفية الوثيقة التى تربط الطفل بوالديه متعذرة بسبب عجزه عن نقل المعانى التى يريدها عن طريق اللفظ أو الصوت .

وفى موقف الأخذ أو العطاء عن طريق الكلام — وهو حجر الزاوية فى العلاقات البشرية — قد لا تتاح الفرصة لطفلك للأخذ لأنه غير قادر على العطاء . وهذا العجز عن الاتصال الوثيق بالغير قد يعوقه عن تفهم الطبيعة البشرية . وعندما يتعذر على زملائه فى المدرسة أو على

رفقاء اللعب التجاوب معه ، أو عندما يتحاشونه فإنه يفقد الثقة و يزداد الأمر سوءاً، وتستحكم حوله الدائرة المفرغة .

ونتيجة لشعور الطفل بالانعزال قد يصبح غير متعاون و ينعدم حماسه وتجاو به ،و يساوره شعور بالرثاء لنفسه .وقد ينقلب الأمر عكس ذلك فيصبح فظاً و يسلك سلوكا عدائياً . وفى كلتا الحالتين يتطلب الأمر منا أن نفهم أن عجز الطفل مسئول منه ، ولـكنه ليس بأى حال من الأحوال مسئولا عنه .

و يقتضى الأمر أيضاً أن نعاون الطفل على تحسين عيب الـكلام عنده — وهذا يستدعى مساعدة المتخصصين واستشارة طبيب الأطفال أو طبيب الأسرة الذى قد يرى الاتجاه إلى الجراح أو طبيب الأسنان أو المتخصص فى عـــلاج عيوب الـكلام وبالرغم من أن هؤلاء الإخصائيين هم الذين يتناولون الحالة بالتشخيص والعلاج ، إلا أنه تقع عليك وحدك مسئولية وضع الأساس العاطفى الذى يمكن أن يكلل جهودهم بالنجاح . ذلك أن ماتفعله فى البيت مع طفلك ، إما أن يزيد من قيمة عملهم ، وإما أن يفسده ويقضى عليه وفى كثير من الحالات يصبح الـكلام طبيعياً تماماً وفى معظم الحالات يكون التحسن مؤكداً .

وأياً كانت طبيعة العيب أو العلاج الذى يتطلبه ، فإن طفلك

كغيره من الأطفال ، يحتاج إلى الشعور بالحب والاطمئنان والثقة . ويلزم ألا يحس بأى شكل من الأشكال أن فى عيبه هذا ما يدعوه إلى الخجل أو العار . ومن البديهى أنه لا يمكنك أن تمنع الصغار من معاكسته ، ولكن عليك أن تشعره أنك لا ترى فى الأمر ما يدعو إلى إحساسه بالنقص ،أو أن هناك لوما يقع عليه

وإذا كان للطفل إخوة أو أخوات فإنهم لا شك يحذون حذوك، وكلما كان تقبلك لما يبديه من عيب فى التعبير عارضاً وفى شىء من التجاوز والتسامح — قل إحساسه بالضيق والخجل ، وزادت فرص التحسن فى الكلام .

ولا يعنى هذا بطبيعة الحال أنك تبدى دائماً تمام الرضا ، وتترك الأمور تجرى فى أعنتها ،بل عليك أن تطالب الطفل ببذل أقصى جهده، ولكن فى حدوده الخاصة إذ ليس لك أن تتوقع منه ما يستحيل عليه ، والواقع أن الحد الفاصل بين حفز الطفل للوصول إلى مستويات معقولة من التحسن و بين إيقاعه تحت الضغط خط ضيق. ولا شك فى أن القائم بأمر العلاج هو الذى يمكنه أن يحدد ما يحتمل وقوعه .

ولما كان من أهم الأمور للطفل الذى يعانى من هذ العجز هو تشجيعه على الكلام وتلافى كل ما من شأنه أن يثبط همته ، فإن من

الواجب التأكد من أن يكون للكلام ارتباطات سارة عند الطفل ، وأن تمتنع تماماً عن توبيخ أو عقاب طفل يعانى من هذا العجز بسبب النطق غير الصحيح . ومن الأفضل فى بعض الحالات تحديد فترة معينة كل يوم لتصحيح الكلام ، على أن تدع الطفل ، فى غير هذا الوقت المحدد ، يتكلم بحريته على قدر استطاعته دون أن تقاطعه بالتعليق أو النقد ، لأن محاولة الطفل التعبير عن نفسه تساعده فى بناء الثقة التى غالباً ما تهتز من احتكاكه بغيره من الصغار .

ومن الممكن أن تزيد من شعور الطفل بالنجاح فيما لا يتصل مباشرة بالكلام ، وذلك بتشجيعه على ممارسة بعض الألعاب أو الأشغال أو الدراسة أو غير ذلك من أنواع النشاط التى يمكن أن يظهر فيها التفوق ، لأن هذا يؤثر تأثيراً فعالا على بناء ثقته بنفسه .

كما يمكن معاونة الطفل عن طريق تشجيعه على إيضاح أموره أو مشكلاته الخاصة بالكلام بغض النظر عما يبدو منه من توقف أو خطأ فى التعبير عن نفسه ، لأنه أفضل كثيراً للطفل أن يذكر خبراته غير السارة التى يصادفها فى المدرسة ، وما يقابل به من سخرية فى الطريق عندما يحاول الاشتراك فى حديث مع غيره من الأطفال ، من أن يحتفظ بها محاولا معالجتها بنفسه ، لأن هذه الأمور إذا تركت حبيسة فى صدر

الطفل فإنها تظهر فيما بعـــد ، فى معظم الحالات ، فى شكل اضطرابات نفسية .

ولما كانت صحة اللفظ تعتمد على سلامة وسهولة عمل عضلات الشفاه واللسان وغيرها من الأعضاء المتصلة بجهاز الكلام . فإنه من المستحسن ألا يتعرض الطفل الذى يعانى من هذا العجز ، ما يثيره أو يسبب له المضايقة . فإذا أثاره ما يثير والديه ، سواء أكان الأمر متعلقاً بهذا العجز مباشرة أو بأمور البيت أو شئون العمل ، فإن هذا يسبب له القلق ويزيد من صعوبات الكلام عنده . وكما هو الحال مع مريض القلب ، كذلك الأمر مع الصغير الذى يعانى من صعوبات الكلام ، فإن جو التوتر فى البيت لا يناسبهما ، ومن ثم يجب التقليل إلى أقل حد ممكن من الخلافات العائلية التى تسبب التنغيص .

ويمكن أيضاً أن يمتد برنامج العلاج إلى خارج المنزل عن طريق توضيح الأمر ومناقشة متاعب الطفل مع مدرسيه ، فإنه من الخير للمدرس والطفل أن تفعل ذلك . لأن المدرس قد يسىء تقدير ذكاء الطفل بسبب طريقته فى الكلام . وفى نفس الوقت إذا علم المدرس بما يجرى بشأن عجز الطفل ، فإن معاونته لاشك سيكون لها أثرها فى تقدم واستمرار طريقة العلاج .

هذا وليس من بين ما تقدم من الآراء ما يعتبر فى ذاته علاجاً

ناجعاً ، بل وليس من بينها ما يعتبر مصححاً للعيب بشكل مباشر ، ولكنها وضعت على اعتبار أنها أجزاء من الأساس الهام الذى يقوم عليه العلاج . وفى الواقع أن طريقة بناء هذا الأساس تعتمد على طبيعة وسبب كل عيب على حدة .

وأكثر عيوب الكلام انتشاراً الخطأ فى النطق ، كالتعود على حذف بعض الأصوات ، فينطق الطفل مثلا كلمة « كلب » على أنها « كب » أو استبدال صوت بآخر عندما ينطق كلمة « حمار » على أنها «حماى» وأحياناً ما يكون العيب فى طريقة نطق الأصوات فيكون بالتخفيف منها أو بالتشديد عليها .

والأطفال الصغار بطبيعتهم لا ينطقون الكلمات جيداً ولكن هذا يرجع إلى سبب بسيط وهو أنهم لم يتعلموا بعد طريقة النطق . كما أنه لا يوجد الشخص الذى وصل إلى حد الكمال فى النطق . ومعظمنا فى حاجة إلى التحسين فى طريقة الكلام . والخطأ فى النطق لا يعتبر عيباً إلا إذا كان مستمراً وظاهراً لدرجة أنه لا يفهم على حقيقته فى حالة الاتصال بالناس .

فإذا كان نطق طفلك غير عادى ، فإن أول ما يجب عمله هو إجراء الكشف الطبى الشامل على الجسم والأسنان . وقد لا يكون هناك أساس عضوى لعيب الكلام ، ولكن مجرد التأكد من سلامة

الجسم يجعلك تبدأ برنامج تصحيح الكلام فى ثقة . وقد يكون لهذا البرنامج نفس الأثر لو كان السبب مجهولا

وقد يكتشف وجود حالة عضوية قابلة للتصحيح ، فأحيانا يكون عيب الكلام راجعا إلى تشويه بالفم ، أو لسوء وضع الأسنان ، أو لضخامة اللسان أو لضموره وهذه يمكن علاجها بواسطة أطباء الفم والأسنان أو بالتدريب .

وقد يتبين من الكشف الطبى وجود ضعف فى حاسة السمع ، فإذا كان سمع الطفل قابلا للتحسن عن طريق العلاج أو باستعمال جهاز لتقويته ، فمن الممكن السير فى خطوات العلاج التى يوصى بها الإخصائى . أما فى حالة تعذر علاج السمع فإنه من المهم الوقوف على حقيقة الضعف ومداه ، لأنه من الصعب الوصول إلى هدف دون التحقق من الموقف عند البداية وكما سبق أن أشرنا فى الفصل السادس عن الطفل الأصم أو ضعيف السمع ، فإن الأطفال ضعاف السمع يسيئون النطق لأن تعلم الكلام يكون نتيجة لترديد الأصوات التى نسمعها ، وكما أوضحنا أيضا أن معلمى النطق قد تمكنوا من ابتكار وسائل ناجحة لدرجة ساعدت الأطفال الصم على تعلم الكلام .

وإذا كان طفلك مصابا بالشلل المخى Cerebal Palsy وكان نطقه للكلام ضعيفاً وبطيئاً ومتلجلجا ، فإن ذلك راجع إلى أن التلف الذى أصاب الجهاز العصبى الذى يؤثر على استعمال الطفل لعضلات الأطراف قد أثر أيضاً على العضلات اللازمة للكلام .

وإخصائى علاج الكلام ، كما أشير فى الفصل الثالث الخاص بالشلل المخى ، هو أحد الأعضاء اللازمين فى فريق الخبراء الذين يقومون ببرنامج العلاج الشامل للأطفال المصابين بالشلل بالمخى .

أما إذا كان طفلك مصابا بانشقاق فى سقف الحلق Cleft Palate أو ذا شفة أرنبية مشقوقة ، فإن عيب الكلام عنده ناشىء أصلا عن شذوذ فى التكوين . ذلك لأن الجنين البشرى فى أثناء تكوينه تتجه أنسجة الشفاه والفك والجزء الداخلى من الفم فى نموها للداخل من كلا الجانبين حتى تلتحم وفى هذه الحالة لايوجد تفسير لعدم اكتمال النمو وحدوث الالتحام داخل الفم أو الشفتين ، أو فى كليهما معاً .

ولكن من حسن الحظ أن الجراحة والوسائل التى ابتكرها الإنسان بالإضافة إلى علاج الكلام ، يمكنها أن تعوض ما فقدته الطبيعة بدرجة من الكفاية تعيد للطفل كلامه ومظهره إلى حالته السوية أو قريب منها . ذلك إذا توفر للطفل الإشراف الطبى المستمر

مع التعاون التام مع الإخصائيين الذين يعملون معه والمحافظة على الجو العاطفى السليم فى البيت ·

وفى حالة الشفة الأرنبية المشقوقة ، فالعلاج هو الجراحة المبكرة للطفل بعد إتمام شهره الأول . وقد يحتاج الأمر فيما بعد إلى علاج للفم لتصحيح الفك المحتمل حصول تشوه فيه .

أما فى حالة انشقاق سقف الحلق ، فإن الجراحة تأتى متأخرة بعد ذلك ، ويمكن أن تكون فى الشهر الثامن عشر أو بعد ذلك . وقد يقتضى الأمر علاجا للفم أيضاً . ومن المهم استشارة إخصائى الكلام للتشخيص والتوجيه قبل أن يبدأ الطفل فى الكلام .

ويحس بعض الوالدين بشىء من العار عندما يولد لهم طفل بهذا العيب ؛ وذلك لأنهم يسمعون أن هذه الحالة لها علاقة بالضعف العقلى ، أو أنها علامة على أن هناك « دم ردىء » فى العائلة ولكن هذه الخزعبلات لا نصيب لها من الصحة . لأن الشفاه المشقوقة وكذا إنشقاق سقف الحلق تظهر دون تمييز بين الأطفال الأذكياء والأغبياء وبين الأغنياء والفقراء .

ويجب التأكد أول الأمر من استمرار الطفل تحت الرعاية الطبية ، لأنه من المهم أن يكون متمتعا بأكبر قدر من الصحة العامة .

كما يحتاج الأمر إلى استشارة الطبيب لمواجهة مشكلات التغذية التى تنجم عن وجود تشويه بالفم . وليس الأمر أن يكون فى صحة جيدة استعداداً للجراحة اللازمة ، بل إنه فى حالة انشقاق سقف الحلق يكون الطفل معرضاً لنزلات البرد ومتاعب الأذن أكثر من الطفل الذى يتمتع بفم سليم التركيب يمنع التيارات الهوائية ، كما يحتاج الأمر إلى الإشراف المستمر من الطبيب الذى يمكنه أن ينصح بالطريقة ويحدد الوقت لإجراء التصحيح اللازم .

وعندما تظهر لطفلك الأسنان الأولى (اللبنية) لا يزعجك أن تبدو غير مستقيمة ، لأن تصحيح اتجاه الفك المشوه سيكون مهمة طبيب الأسنان . والاهتمام بالأسنان الأولى ضرورى حتى مع الطفل ذى الفم السليم ، ومن خطل الرأى أن نظن أن الأمر لا يستدعى كل هذا الاهتمام ما دامت الأسنان الأولى تستبدل بغيرها ، وفى الوقع يحتاج الطفل إلى أسنان جيدة فى جميع أطوار نموه .

وأيا كانت الأصوات أو الصراخ الذى يصدر من الطفل ، يجب أن يقابل بالسرور والاستحسان . كما ينبغى تشجيع الطفل على المناغاة بملاعبته والتحدث إليه لكى يصبح صوت الكلمات مألوفاً لديه . ويخطىء بعض الوالدين الذين يهملون استثارة أطفالهم فى حالة انشقاق

سقف الحلق ، لإحداث الأصوات ، على زعم أن الأطفال لن يتمكنوا من الكلام مطلقاً . ولكن التصحيح فى تركيب الفم عن طريق الجراحة وطب الأسنان ، يمكن الطفل من الكلام ، وفى كل مرة يدرب الطفل عضلات الكلام ، عن طريق إصدار الأصوات ، فإنه يعمل على تنميتها ولهذا السبب نفسه يجب الاهتمام أيضا بتعويد الطفل على المضغ .

ولا شك فى أن تصحيح تركيب فك الطفل يحتاج إلى درجة عالية من المهارة الفنية ، وعلى ذلك يجب التأكد من أن الجراح وطبيب الأسنان اللذين تلجأ إليهما من المتخصصين فى هذا العمل ومن المؤكد أن أحدهما أو كليهما سينصحان باستشارة إخصائى الكلام الذى يصبح فى هذه الحالة أحد أعضاء فريق التأهيل الذى يقوم بالعلاج .

وسيمدك إخصائى علاج الكلام بالتدريبات التى يمكن تمرين الطفل عليها فى البيت ، شأنه كمن يأخذ دروسا فى الموسيقى ويداوم التمرن عليها بالبيانو وعادة ما تكون هذه التدريبات غريبة مضحكة . فتدريب الغرغرة مثلا ، يمكن أن يتناوله المشرف بطريقته بحيث يصبح نوعا من اللعب لا مجرد إحداث صوت .

ويمكن فى الحقيقة اعتبار الطفل فى هذه الحالة كالطفل المعقد .

من حيث إنه مقعد فى الـكلام . وعلى هذا فإن ما أشير إليه فى الفصل الثانى عن الطفل المقعد ، فيما يتعلق بالتخفيف من تركيز شعوره على نفسه ، بسبب اختلاف مظهره ، ينطبق هذا على الطفل ذى الشفة المشقوقة أو حالة سقف الحلق المشقوق . فيجب الحذر من انتقال شعورك بالألم لإصابته عن طريق إظهار الرثاء لحاله ، فإن ذلك يشعره بالنقص . وحذار من مقارنة طفلك فى مظهره مع إخوته ،أو أن تندب حظه على ما أصابه نتيجة لهذا العيب .

و بتقدم الجراحة فى هذا العصر ، لن يظهر على وجه طفلك سوى ندبة على أثر الفتحة التى خلفتها الطبيعة فى أثناء تـكوين الجنين . ولو أن هذا لا يمنع من وقوع الضرر إذا كان هناك جهل بما كان من الواجب اتباعه إزاء هذه الحالة ، قبل وفى أثناء العلاج والتصحيح ، ذلك لأن طريقة تقبلنا للأمور أو شعورنا نحوها ، قد يكون له دخل فى سعادتنا أو تعاستنا أكثر من واقع الأمر ذاته فقد يسبب كبر حجم الآذان مثلا شعوراً بالتعاسة أو الاضطراب عند بعض الأطفال . أكثر مما يسببه تشويه ظاهر فى العجز . فلا تتوان عن ذكر الحقيقة إذا سألك طفلك عن الندبة التى فى وجهه فأخبره فى صراحة أنها نتيجة لعملية جراحية أجريت له فى صغره مع توضيح السبب .

وقد تراودك رغبة قوية فى تعويض طفلك عن هذا النقص بالإمعان فى رعايته ولكنك فى الواقع لا تعاونه بهذه الطريقة بل تفسد عليه حياته المستقبلة ، وذلك لأنك تضيف عيباً آخر على متاعبه ونقصه الطبيعى . ومن مصلحة الطفل أن تعامله كما تعامل إخوته أو كما تعامل أى طفل آخر لأنه ، قبل كل شىء ، طفل كأى طفل آخر فى تكوينه وإن الشفة المشقوقة أو انشقاق سقف الحلق ما هو إلا أمر عرضى .

وعندما يبدأ الطفل فى تعلم الكلام ، حاول أن يكون التصحيح دون أن تبدى الضيق والملل ، أو أن يبدو منك ما يشتم منه رائحة التأنيب أو اللوم . ويجب التأكد من تعلمه إحداث صوت معين قبل أن تطالبه تصحيح الصوت فى أثناء استعماله فى كلامه العادى اليومى . وإذا كان الطفل ضعيفاً فى عمله المدرسى . فمن الظلم أن تطالبه بما فوق طاقته ، إذ أن ما يعانيه من ضيق بسبب مظهره وصعوبة كلامه لاشك يعوقانه عن التقدم بعض الشىء .

ولعل أصعب الأمور التى يحسن مراعاتها خلال الوقت الذى يجرى فيه للطفل تصحيح العيوب وتحسين الكلام ، هو أن تقف

موقفاً وسطاً من العلاج ، فلا أنت باليائس منه ولا المنتظر وقوع العجائب ، ولكنك إذا سرت فى الحدود وراعيت الأهداف التى يضعها الإخصائيون ، فإنك ستصل بطفلك إلى بر الأمان الذى فيه الكفاية والرضا

ولو أن الطفل قد يولد بفم طبيعى ، إلا أنه قد يتأخر فى الكلام عن السن المعتاد . ويسبب هذا إزعاجاً شديداً للوالدين ، للاعتقاد السائد أن التأخر فى الكلام له صلة بالضعف العقلى . ولو أن التأخر الحقيقى فى الكلام الذى يقف حائلا بين الطفل وما حوله ، هو عجز يتطلب التشخيص والعلاج ، إلا أن قلق الوالدين أحياناً لا يكون فى محله .

ويجب ألا ينظر إلى التأخر فى الكلام على أنه علامة مؤكدة على الضعف العقلى . وذلك لسبب بسيط ، وهو أن أكثر من نصف الأطفال الذين يتأخرون فى الكلام يتمتعون بدرجة متوسطة أو أعلى من المتوسطة فى الذكاء . ولسبب آخر ، وهو أن السن الذى يعتاد الكلام فيه — كأى أمر آخر — يتفاوت كثيراً . وكل طفل له معدله الخاص للنمو العام ويدخل فى هذا تكوينه الطبيعى ، وصحته العامة

والقدر المعين من المثيرات التى يحصل عليها مما حوله ، إلى غير ذلك من العوامل . فإذا لم يبدأ الطفل فى الكلام فى حدود بضعة أشهر من السن المقررة للكلام ، وهو خمسة عشر شهراً ، فقد يكون فى حدود المدى المعتاد للكلام .

وإذا لم يتكلم طفلك بعد السنة الثانية ، وكان بطيئاً فى نواحى النمو الأخرى ، فمن المحتمل أن يكون عجزه عن الكلام راجعاً لأحد الأسباب التى أشير إليها فى الفصل السابع عن الطفل المتخلف . أما إذا كان عجزه عن الكلام يبدو متأخراً عن بقية نواحى نموه ، فإننا سنعالج هذه المشكلة فى الفقرات التالية .

يحتاج الأمر إلى استشارة إخصائى الأطفال أو طبيب الأسرة لإجراء الكشف الطبى الشامل . ولعل أكثر أسباب تأخر الكلام راجع إلى سوء الصحة العامة . وبالعناية تحت الإشراف الطبى قد يبدأ الطفل فى الكلام . وقد يكون السبب راجعاً للتأخر فى النمو العقلى بصفة عامة . لأنه يعانى من آثار مرض أصيب به ولاسيما إذا كان المرض قد أقعده طويلا فى الفراش . أو كان مرضه مصحوباً بحمى مرتفعة تسبب فى إحداث ضرر بالعضلات . وفى الواقع أن بعض الأمراض لها أثر سيئ على الكلام

لدرجة أن الطفل الذى بدأ فعلا بالكلام فى السن المعتاد ، أحياناً ما يمتنع كلية عنه ، بسبب طول المرض أو شدة وطأته وقد يؤثر المرض أيضاً على الجهاز العصبى فيسبب شللا فى عضلات أعضاء الكلام ، كما قد ينجم هذا عن إصابة فى أثناء الولادة . وفى بعض الأحيان ، عند وجود أسباب عضوية ، فإن الاستعمال العادى لأعضاء الكلام قد يكون متعذراً ، ومع ذلك فإن إخصائى علاج الكلام يمكنه أن يدفع الطفل إلى استغلال ما تبقى له

وهناك سبب غير مباشر للتأخر فى الكلام ، وهو ضعف السمع وقد لا يكتشف إلا عندما يبدى الوالدان القلق من عجز الطفل عن الكلام . وإذا لم يسمع الأصوات فإنه يعجز عن ترديدها ، كما سبق وتوضح فى الفصل السادس عند الكلام عن الطفل الأصم أو ضعيف السمع والذى أشير فيه إلى قدرة معلمى الكلام على تدريب الأطفال ضعاف السمع على الكلام . ومن المحتمل أيضاً أن يستدعى الأمر استشارة إخصائى علاج الكلام . ولو أن تعليم الكلام لا يبدأ فعلا فى المعتاد قبل الثالثة ، إلا أن التشخيص والتوجيه يجب أن يسبقا ذلك بعام حتى يمكن التمهيد للأساس الذى يقوم عليه تعليم مثمر .

وقد لا يكون هناك عيب بدنى يفسر عجز الطفل عن الكلام ، وفى هذه الحالة قد يوصى الطبيب باستشارة الإخصائى النفسى . ولو أن كثيراً من الاختبارات النفسية تتطلب الكلام لدرجة يصعب معها قياس قدرة الطفل الذى يتكلم ، إلا أن الإخصائى النفسى يمكنه أن يعطى تقديراً مفيداً لما يمكن أن يعمله الطفل . و بغير هذا فقد نطالب الطفل بالقليل، أو قد نكلفه ما فوق طاقته .

ومن الجائز أن يقترح عليك استشارة الطبيب النفسانى لبحث المشكلات العاطفية التى قد تكون السبب فى تَأخر الكلام . ويتطلع بعض الوالدين إلى مستويات عالية لأبنائهم فيثقلون عليهم بمطالب تفوق قدراتهم كثيراً ، وهم بذلك يقعدونهم ويثبطون عزائمهم فيمتنعون عن القيام بأية محاولة ولا يبذلون الجهد اللازم للكلام .

و يهمل بعض الوالدين إعطاء الاستثارة الضرورية التى تدفع الطفل لإخراج الكلمات ، بل ربما لا يبدون أى اهتمام بمقدمات الكلام كالمناغاة أو الصراخ . ولأن الطفل لم يجد تشجيعاً عليها أو رغبة فيها فإن الدافع لإخراج أصوات ذات معنى أصبح معدوماً . وقد يكون الأمر

مرجعه للكبار أنفسهم ممن يقيمون مع الطفل فى البيت ، نتيجة لقلة تحدثهم إلى الطفل لتعريفه الكلام و إثارة اهتمامه به .

وقد يكون الأمر على عكس ما تقدم ، فإن إقبال الوالدين على أطفالهم يشبعونهم تدليلا و يسارعون إلى تلبية كل رغبة من رغباتهم المدرجة التى لا يشعر معها الطفل بالحاجة إلى الكلام ، وغالباً ما ينشأ هذا الموقف نتيجة لمرض طويل ألم بالطفل .

و إذا كنت قد وقعت فى أحد هذه الأخطاء فيما سلف ، فلم يفت الوقت بعد لأن تغير من طريقتك مع طفلك . ومن البديهى أن التغير المفاجىء لايأتى بالنتيجة المرغوبة ، لأنك لا شك ستزعج طفلك إذا بدأت تحنو عليه وكنت فيما مضى لا تبدى له أى اهتمام أو بالعكس إذا أهملته بعد أن يكون قد تعود منك الانتباه المستمر

وعلى ذلك يجب أن يكون مسلكك الجديد معه فى شىء من التدرج والثبات ولا يكون متقلباً فإذا كنت مثلا قد تعودت فيما مضى أن تقوم بقضاء جميع حاجاته ، ابدأ شيئاً فشيئاً أن تبين له أنه إذا رغب فى لعبة وجب عليه إحضارها بنفسه ، وقياساً على هذا ، يمكنك يوماً بعد يوم أن تقلل من مساعدتك له ، فيبدأ فى ارتداء

ملابسه ، وبمضى الوقت يتخلص شيئاً فشيئاً من ترقبه للخدمات دون أن يسألها ، حتى يصل إلى النقطة التى يفهم معها أنه إذا كان يريد أن تقضى له حاجة عليه أن يتكلم .

ويحتاج مثل هذا الطفل إلى صحبة غيره من الأطفال من رفقاء اللعب فى مثل سنه ، ولو كانوا يتكلمون · وإنما يمكن إتاحة هذه الخبرة له بشكل مثالى فى عيادة للكلام ، حيث يكون بين أطفال على شاكلته وتحت توجيه ورقابة المدرسين الذين يفهمون حاجاته ، وحيث يتوفر الفهم والتشجيع على الكلام بطرق متعددة مثل الكلام الجماعى Chorus ، كما يكون فى نفس الوقت بعيداً عن الاستهزاء والنقد بسبب هذا التأخر .

ومدرسة الحضانة العادية تخدم أيضاً هذا الغرض ، وتتيح للطفل الاتصال بغيره من الأطفال الذين يستثيرونه عند استماعه لهم وهم يتحدثون ، كما أن رياض الأطفال تمهد له الطريق للدخول إلى المرحلة الأولى التى تصعب عليه إذا التحق بها مباشرة

ففى رياض الأطفال يكون النشاط موجهاً وأكثر تنظيما من مدارس الحضانة، فيتعلم الطفل استعمال الأدوات كالقلم والمقص ، وهذا من شأنه أن يزيد من تعاونه وإحساسه بالتقدم .

وتفاؤلك يزيد من قوة الجهود التى يبذلها المدرسون والأطباء والمعالجون فى كل خطوة على طول الطريق الذى يقودهم بالطفل إلى الـكلام والذى تسلـكونه معاً . فإذا تسرب إلى نفسك اليأس فإنه ينتقل إلى طفلك أيضاً . وشعورك بالأمل اتجاه له ما يبرره لأنه قائم على أساس من الحقيقة ، لأنه فى أغلب الحالات ، لم يـكن التأخر فى الـكلام ، تحت الرعاية الصحيحة ، من الأمور التى تستعصى على العلاج .

ويمـكن الوصول فى تصحيح اللجلجة Stuttering إلى درجة ممتازة إذا كان الوالدان والطفل تحت توجيه إخصائى علاج الـكلام .

واللجلجة تسبب دون شك كثيراً من المضايقة والحزن ، ولا عجب إذا تهافت الـكبار والوالدون ممن يعانون من هذه المشـكلة على أى شخص يعدهم بالشفاء وهذا العى فى الـكلام والتردد والتوقف فيه ، وعدم الطلاقة فى الحديث أو فى سلاسته ، أو إدخال بعض الأصوات الزائدة أو تـكرارها — كل هذه عقبات فى سبيل الصداقة والحب والعمل ، تجعل حياة هؤلاء ومن يحبونهم تعسة . وهناك بعض الأفراد من غير المتخصصين ممن يدعون علاج هذه المشكلة ، وهم الأفراد الذين يطلقون على أنفسهم « إخصائيين » من الأطباء ممن لا يصلحون لأكثر من « خلع ضرس » هؤلاء فى حكم المشعوذين . أما غيرهم ممن

لايتعدى عملهم طرق الإلقاء والتمثيل ، فهؤلاء يعوزهم التدريب العلمى المتخصص الذى يؤهلهم لمعالجة اضطرابات الكلام ، ولو أنهم لا ينقصهم الإخلاص وحسن النية ، ولكنهم دون شك يتجاوزون حدودهم .

وقد تجد نفسك مدفوعاً لأن تجرب أحد أنواع العلاج إذا علمت أن هذا العلاج المعين قد أفاد فى شفاء حالة لجلجة . ولكن النتيجة نفسها ليست مؤكدة بل غالباً قد لا تصلح لحالة طفلك . وفى الواقع توجد طرق مختلفة لعلاج اللجلجة أحياناً ما تكون ناجحة . ولكن تأثيرها ليس واحداً فى كل الحالات . وليس لنا أن نغامر بالوقت الذى يجب أن يستغل فى علاج موثوق به .

ولزيادة الإيضاح ، دعنا نتدبر مختلف أنواع العلاج التى قد تخفف من آلام الصداع مثلا. فالنظارات ، والامتناع عن بعض الأطعمة المعينة أو الطب النفسانى ، أو الحقن المضادة للحساسية — كل هذه لها أثرها أحياناً ، فهى تقلل من الصداع الناتج عن — حسب الترتيب السابق — إجهاد العيون الممكن تصحيحه بالعدسات ، الاضطرابات الهضمية التى تعالج بالتغذية الخاصة ، المتاعب النفسية التى يمكن تسويتها بمساعدة المتخصص . وأمراض الحساسية

فإذا كان الصداع الذى أصاب أحد الأشخاص ناتجاً عن التخمة وتصادف أن وصف له أحد أدعياء الطب غذاء خفيفاً ، فمن المحتمل أن يزول الصداع . ولكن إذا كان الشخص فى حاجة شديدة إلى نظارة . وتصادف ذهابه إلى صاحب الوصفة الوحيدة ، فإن الطعام الخفيف لن يفلح فى إزالة الصداع والطبيب الإخصائى لا يستعمل علاجاً وحيداً ، ولكنه يفحص المريض ، وعلى ضوء الحالة التى يكشفها ، يصف العلاج المناسب وإخصائى علاج الكلام أو المدرس بعد أن يتبين الأمر ، يعدل من طريقته بما يتفق وحالة الشخص .

ولا تتشابه حالتان من اللجلجة تماماً ، كما لا يتفق شخصان من المصابين باللجلجة فى المزاج ، أو الجسم ، أو العقلية — وقد يصل القلق بالوالدين ورغبتهم فى الوقوف على أسباب ما أصاب أطفالهم ، أن يساورهم الشك كثيراً فى أنه لا بد وأن يكون هناك شذوذ عقلى أو جسمى دعا إلى ذلك . إلا أن المسألة ليست كذلك ، فاللجلجة لا تنجم عن عيب فى التركيب أو فى عضلات أعضاء الكلام ، كما أنها ليست مرضاً ، أو دليلا على ضعف الذكاء ولا حاجة بك لأن تزعج نفسك بالتفكير فى أن مسئولية العيب الذى أصاب طفلك

راجع إلى أحد أفراد الأسرة الذى تصادف أن كان مصاباً باللجلجة ، بل خفف عن نفسك ، فإن اللجلجة لا تنتقل بالوراثة كما لا تكتسب بالمحاكاة والتقليد

وقد قامت كثير من النظريات فى أسباب اللجلجة ولكن لم يثبت منها شىء ، حتى ما كان معروفاً ومقبولا من أن اللجلجة تنتج عن إرغام الطفل الأعسر على استعمال يده اليمنى ، إذ أن الدراسات الحديثة ألقت ظلالا من الشكوك على هذا الرأى . ومن حسن الحظ أن ليس هناك ما يدعو للجرى وراء أسباب الاضطرابات فى الكلام لمعالجتها

وكما تبذل لطفلك العناية حتى يبل من مرض معد أصابه دون أن تفكر فى كيفية إصابته ، أو متى وأين كانت ، هكذا يمكنك أن تساعد طفلك على التغلب على لجلجته ، بغض النظر عن بقاء أصل سببها غامضاً .

وهناك قليل من الآراء الثابتة فى أسباب ظهور اللجلجة ، إلا أن الكثير المعروف من الأسباب هو ما يتصل بزيادتها أو التقليل منها . فالتمرين على الكلام . كما هو الحال فى الرياضة أو المسائل العقلية وغير ذلك من الأمور ، يتأثر بالحالة المزاجية للشخص ، فهى إما أن تساعده

أو تعوقه . فمواقف الشدة والتوتر تزيد من اللجلجة ، وهذا واضح من الحقيقة الثابتة أن أى شخص مهما أوتى من طلاقة اللسان ، يصيبه العى فيتردد أو يردد الكلام إذا أصابه الانفعال أو وقع فى حرج .

وفى الواقع يمكنك أن توقف هذا العيب الموجود عند طفلك عن أن يزداد سوءاً أو يتعقد ويطول به الزمن ، وذلك بمساعدته بالتخفيف عنه ، وزيادة ثقته بنفسه

لا شك فى أن كلاًّ منا يكون أقدر على الاسترخاء والهدوء كلما كان أحسن صحة . وعلى هذا فإنه من المهم أن يفحص الطفل بواسطة إخصائى الأطفال أو طبيب الأسرة بغرض معالجة أى ضعف أو مرض ، كما يجب التأكد من حصول الطفل على قسط وافر من الراحة حتى لو كان فى كامل صحته ، لأن أى ضغط غير عادى يرهقة عندما يتكلم أو يحاول الكلام . وكلما ازداد التعب ازداد الكلام سوءاً .

ومن الناحية العاطفية ، عليك أن تراجع نفسك لكى تحدد الصلة المناسبة التى يجب أن تقوم بينك وبين طفلك ، فقد تتساءل مثلا هل تعامله كالابن الأكبر ، أو هل أنت تميل إلى التحيز لطفل أصغر فتؤذى بذلك شعوره وتملأ قلبه بالحسد . أم هل تعامله كأصغر الأبناء

فتدلله كالطفل فيضيق بك ذرعاً لأنك تحرمه من تنفيذ رغباته وتحد من حريته فى الجرى واللعب .

والانسجام فى البيت وخاصة بين الأم والأب . إن كان مرغوباً فيه بالنسبة لأى طفل ، فإن له أهمية خاصة بالنسبة للطفل المصاب باللجلجة . ولا يمكن لمن يعيش فى جو من التكدير أن يتمكن من خلق الهدوء اللازم للطفل حتى يتكلم فى سهولة و يسر .

و بالمثل فإنه من الصعب على الطفل الإحساس بشعور الثقة بالنفس الضرورى للتغلب على اللجلجة إذا كان يطالبه بأكثر مما يطيق . فلا داعى للضغط على الطفل فى الواجبات المدرسية . أوالإمعان فى نقد الطريقة التى يؤدى بها الأعمال الصغيرة فى البيت و بدلا من إضعاف ثقته بنفسه اعمل على تقويتها . ولا شك فى أنك لاتعوزك الحيلة لخلق المناسبات لإشعاره بالنجاح . فتشجعه مثلا على ممارسة الهوايات أو بعض الأعمال المنزلية التى يمكن أن يتفوق فيها .

و بناء ثقة الطفل بنفسه ، وخاصة فيما يتصل بالكلام من الأمور الهامة ، فيمكنك أن تؤكد له أنه أحياناً يتكلم جيداً ، وأنت بذلك لا تعدو الحقيقة ، لأنه فى بعض الأوقات يتكلم معظم الذين يعانون من اللجلجة كلاماً عادياً . وعندما يتكلم الطفل يجب الامتناع عن

التهديد والتصحيح والزجر . واحذر من أن يتبين منك الطفل عدم اهتمامك بالإصغاء إلى ما يقول ، إذ يجب أن تشعره دائماً بأهمية مايقول وأن تتغافل أيضاً عن الطريقة التى يتكلم بها فإذا أخذ يسرد ما حدث له فى طريقه من المدرسة ، دعه يسترسل فى كلامه دون حاجة إلى مقاطعته بالتعليق أو النقد . وإذا ألقى عليه شخص سؤالا فدعه يجب . وبديهى أنك تميل إلى إعفائه من الإجابة ، ولكن الأفضل أن تترك السائل ينتظر حتى يتمكن طفلك من إعداد كلماته للإجابة فذلك خير من إضعاف ثقته بنفسه بتدخلك .

وكلما قل انفعالك عند استماعك إلى طريقة كلامه ، قل انتقال ماقد يبدو منك من قلق وانزعاج ، وكانت الفرصة لتصحيح الكلام أفضل وعلى قدر الإمكان تجاهل الأمر كلية

وفى كل مرة يتمكن طفلك من الكلام فى طلاقة تزداد ثقته وقدرته على النجاح فى المرة التالية ، وعلى هذا يجب مراعاة الظروف التى يحسن فيها الكلام والعمل على تكرارها . فمثلا عليك أن تدعو الأقرباء الذين تقل لجلجته معهم ، ولو كانوا ممن لا ترغب فيهم ، كما تدعو إلى بيتك رفقاء اللعب الذين تلاحظ أن طفلك لا يعانى صعوبة

كبيرة عند التحدث إليهم فإن أبدت أمهاتهم تخوفاً من أن يفعلوا مثله يمكنك أن تؤكد لهن أن هذا العيب ليس معدياً .

وكثيرا ما يتمكن هؤلاء من الكلام فى سهولة ، خاصة إذا كانوا لا يوجهون كلامهم إلى شخص بعينه ، وعلى هذا يمكنك أن تساعد طفلك على مواصلة النجاح المتكرر فى حديثه إذا وفرت له المواقف المواتية ، كأن تعطيه لعبة تليفون ، أو تحدد له فترات للعب يتكلم خلالها بطريقة بطيئة ، أو تشجعه على التحدث إلى دمى الحيوان التى يلعب بها أو الحيوانات المنزلية .

وفى بعض الأحيان تكون الصحبة اللطيفة للكلاب هى الشىء الوحيد الذى ينطلق فيه الطفل بالكلام الطبيعى لفترات طويلة . وإذا لم تساعدك الظروف على اقتناء كلب ، فالسلحفاة مثلا وسيلة لطيفة لانطلاق الكلام .

ومن المفيد للطفل أن يرفع صوته بالقراءة على مسمع منك وأنت تقوم بأعمالك العادية ، فهو يتعود بذلك على وجود المستمع الذى لا يركز عليه الانتباه الشديد الذى يسبب له الضيق والزجر الخفيف . والألفاظ الشخصية التى يرددها الأطفال فى أثناء لعبهم مناسبة جداً لهذا الغرض وتساعد الطفل على الدندنة ، وقد يستمتع بحفظها وترديدها أحياناً

بالاتحاد مع غيره من الأطفال . وفى كل مرة يتمكن من القراءة أو التسميع تتأكد ثقته بنفسه ويزداد اطمئنانه ، ومن ثم تتاح الفرصة لنجاحه ولكن من الخطأ أن ترغمه على القيام بتمرينات الكلام ، لأنه إذا لم يستمتع بتأديتها حقيقة فقد يكون ضررها أكثر من نفعها. وفى الواقع أن من أهم الأمور التقليل بقدر الإمكان من أى ارتباط غير سار بالكلام .

إن إخراج الكلمات يعتبر عقبة كؤوداً فى سبيل طفلك ، لدرجة أنه من المحتمل أن تثبط همته إذا أحس بأن كلامه يجب أن يكون سريعاً أو فى جمل معقدة ، ولكى تتحاشى وضع مثل هذه المستويات فى ذهنه ، حاول أن يكون كلام كل فرد فى البيت فى بطء وهدوء وبساطة

وإذا كان طفلك الذى يعانى من اللجلجة فى سن المراهقة ، فإن هذا العيب يكون أشد وطأة عليه عما إذا كان أصغر سنا ، ذلك أن الأولاد والبنات فى هذه المرحلة الدراسية يكونون أكثر حساسية فى اتصالاتهم بالغير . ويجب العمل على فض الخلافات التى لا بد وأن تقوم بين الوالدين وأبنائهم من المراهقين بغير طريق الجدل . إذ يجب الحذر من وضعه فى موقف يرغم فيه على الكلام للدفاع عن نفسه لأنه

غالباً ما يخرج منه خاسراً . هذا بالإضافة إلى فقدانه شيئاً من ثقته بنفسه ، فمثلا إذا عاد متأخراً فى الليـــل عن موعده المحدد ، دعه يسرد قصته دون تدخل من جانبك ثم ناقش الأمر فى اليوم التالى عندما يـكون كلا كما أكثر هدوءاً

وقد تـكون الحياة الاجتماعية مشكلة بالنسبة له وعلى ذلك يجب أن تعمل ما فى وسعك لـكى توفر له حياة اجتماعية ؛ لأنه فى حاجة إليها فى مثل هذه السن .

وعلى الوالدين ألا ينتظرا حتى تزول اللجلجة إذا كبر الطفل ، لأنه وإن كانت اللجلجة تختفى مع الوقت فى بعض الحالات ، إلا أن مثل هذه الفرص نادرة جداً فيجب ألا يعتد بها وألا تدخل فى الحسبان ، إذ كلما سارعنا فى مواجهة المشـكلة كان حلها أسهل . كما قد لا يبدأ المعالج أو المدرس بتناول الحالة مباشرة ، ويرى أن النتائج المرغوبة تجيء عن طريق العمل مع الوالدين اللذين يجد فى اتجاهاتهما أن سلوكهما يقتضى التغيير ، وقد يتضمن هذا مناقشة بعض المسائل التى قد تبدو لا صلة لها بمشكلة الطفل . ولـكن من المؤكد أن الوقوف على طريقة التفـكير والنظر إلى الأمور من جانب الوالدين له فائدته فى اكتشاف ما قد يختفى وراء مشكلة الطفل ، وفى طريقة التغلب عليه .

وقد يسرك أن ترى عيب طفلك يختفى كلية عن طريق اتصالك به وبسبب ما خلقته من جو عاطفى سليم ، متبعاً فى ذلك الوسائل السابق اقتراحها ، وقد يعمل المعالج مع طفلك مباشرة ليتعهد مخاوف الكلام العميقة المتأصلة والتى يصعب التغلب عليها دون مساندة الخبراء المتخصصين ، ولكن فى كلتا الحالتين، أنت ما زلت الشخص الوحيد الذى يمكنه تمهيد الأرض التى يمكن أن ينمو فيها الكلام الصحيح ، لأن لك الأثر الأساسى الدائم فى حياة طفلك، وإليك وحدك يرجع الفضل فى إمكان التغلب على لجلجته .

وإذا كنت والداً لطفل يعانى من عيب فى الكلام ، مهما كان شكل هذا العيب ، ومهما كانت أسبابه — عضوية أم نفسية — فإن سبيلك واضح إذا سرت على المبادئ الثلاثة الآتية :— ابذل كل مافى وسعك لتحسين كلام طفلك بقدر الإمكان — ما دام العيب ما زال قائماً ، خذ الأمر فى بساطة ولا تدعه يصبغ حياتك بصبغة معينة ، وهذا له قيمته الخاصة فى حالة العيب الذى يتعذر علاجه ولا يمكن أن يختفى كلية — عندما يتحسن عيب الكلام أو يزول ، داوم على مساعدة طفلك فى رفق ، وتدرج على الابتعاد عن كل تفكير أو شعور ، أو فعل من شأنه أن يعوق تقدمه ، كالانعزال عن الناس

أو الحساسية الذاتية الشديدة والتى عادة ما تكون نتيجة لهذا العيب .

هذه المشكلة عادة ما تحل عن طريق العلاج و بمساعدة الخبراء . وفى جميع الحالات تقريباً يكون الحل جزئياً . ولعل أعظم معاونة هى العناية وموالاة الإجراءات الطبية والجراحة والعناية بالأسنان والوسائل التربوية السليمة ، بالإضافة إلى شعور الطفل بالثقة والتقدم وإحساسه الأكيد بمكانته فى البيت و بحبك له .

الفصل التاسع

إذا أصيب طفلك بالحمى الروماتزمية أو طال مرضه

عندما يصاب طفل بمرض خطير ، تمر بالوالدين فترة عصبية مليئة بالخوف والقلق الشديد . واذا طال المرض وطور النقاهة ، فقد تطرأ تغيرات خطيرة على طريقة معاملة الوالدين للطفل ولعلك كنت قبل مرض الطفل ممن يدع الأمور تجرى مجراها ولا يتخذ من الاحتياطات الأولية إلا مايقيه شر النار أو مخاطر الطريق ، تاركا إياه يغدو ويروح فى حرية تامة ثم لا يلبث أن ينقلب بك الأمر فتجد نفسك شديد الحرص والخوف تنزعج لأبسط الأعراض التى كانت تمر عليك من قبل دون إعارتها أدنى انتباه وإذا كنت ممن يميل إلى الانزعاج لأتفه الأمور . فإنك فى هـذه الحالة تبالغ فى الأمر حتى لا تدع الطفل يبعد عن أنظارك دقيقة واحدة . ولعل أسوأ ما فى الأمر أنك لا يمكن أن تقنع نفسك بعدم الاهتمام لأن المسألة ليست قائمة على مجرد الخيال . بل هى حقيقة واقعة بنيت على أساس ما قاساه الطفل وعلى ضوء تحذير الأطباء ، إذ ربما كان طفلك على حافة الموت ، أو قد تركه المرض ضعيفا هشا ، أو معرضا لخطر النكسة ، أو لهذه الأسباب مجتمعة .

فضلا عن هذا ، فإن هناك ما يشغل بالك أكثر من الحالة الجسمية للطفل ، ذلك أن عاما أو عامين ، أو الأشهر بل الأسابيع القليلة هى فى الواقع فترة طويلة نسبيا فى الحياة القصيرة التى عاشها الطفل ، أما طفلك فمضطر لملازمة الفراش أو مرغم على أن يقتطع من نشاط مرحلة الطفولة المرحة ما كان ينبغى أن يستمتع به ويقضيه فى سعادة . والطفل المقعد أو نصف المقعد يمس القلوب ويحز فى قلب والديه

ولكنك إذا تركت نفسك وطفلك غارقين فى بحر من الحزن والأسى ، فإنك تعرضه لتأثير عاطفى قد يطول أكثر من التأثير الجسمى ، ولا شك فى أن شعور طفلك بالمرض سيتلون من لون شعورك أنت إزاء المرض . فإذا كان اتجاهك وتصرفك معه سليما يصبح سليم العاطفة بالرغم من ضعف جسمه ، وإلا فإنه يعانى عاطفيا كما يقاسى جسميا .

الأمر فى يدك إذا كان لطفلك أن يقاسى من المخاوف التى تصيب الأطفال الذين يقعون فريسة المرض ، وخاصة إذا كان مرضه فجائيا ويتطلب علاجا بالمستشفى وما يتبع ذلك من ضرورة إبعاده عن البيت والأسرة وإلزامه الفراش وحرمانه فجأة مما تعود عليه . والطفل فى هذه الحالة لا يدرك ما يدور حوله ويفسر هذه الخبرات الغريبة بأشكال متعددة وبأساليب خيالية مزعجة . فإذا ترك الطفل يسرح بأفكاره

المضطربة المشوشة ، فإن مخاوفه التى بدأت مع المرض قد تظهر بعد شفائه فى شكل عصبية أو أحلام مزعجة أو أرق .

وقد يتمكن الطبيب الذى يقوم بالعلاج من إرشادك فيما يتصل بالمشكلات العاطفية الناجمة عن المرض ، أو قد يقتضى الأمر توجيه الطبيب النفسانى أو الإخصائى الاجتماعى . وكل طفل له فرديته التى تتطلب طرقا وحلولا معينه لمشكلاته الخاصة . ومع ذلك ، فإن هناك مبادئ عامة للصحة النفسية يمكن تطبيقها

فمثلا، كلما سنحت الفرصة تكلم مع الطفل عن مخاوفه فإن هذا أدعى إلى التخفيف منها أو شجع الفل على أن يتحدث إليك فى أى أمر يضايقه كذلك أجب عن أسئلته عن المستشفى وسبب مجيئه إليه . وإذا استفسر عن طول مقامه فى المستشفى ، اذكر له الحقيقة كما تعلمها. واحذر من أن تذكر له أن علاجا معينا لن يؤذيه إذا كان حقا يسبب له الألم . والمعلومات الواقعية الحقيقية التى تعطيها له دون أن تضمنها شيئا من الرثاء أو التشاؤم يمكن أن تقلل أو تزيل المخاوف والقلق . أما التخبط فى ظلام الجهل فإنه أدعى إلى اضطراب الطفل من معرفته الحقيقة .

ولا شك فى أن اتجاهك وما تفعله فى أثناء فترة النقاهة أهم بكثير

مما تفعله مع الطفل فى أثناء حدة المرض . ذلك لطول فترة النقاهة من جهة ، ومن جهة أخرى لأنك تسيطر على طريقة الحياة فى البيت ، إذا كان على الطفل أن يقضى فترة نقاهته فيه . ويعتقد كثير من الوالدين أن طور النقاهة ماهو إلا فترة يستعيد فيها المريض صحته البدنية وعلى هذا يغفلون حاجاته العاطفية ؛ مع أن الخطير فى مرحلة النقاهة هو أن كثرة العناية بالناحية البدنية تهدد الصحة النفسية .

فكثيرا ما يتعود الطفل فى أثناء مرضه التدليل ويصبح ملحا فى طلباته ، وقد يخطىء الوالدان فى تصرفاتهم إزاء هذا السلوك من ناحيتين ، فالبعض يضيق ذرعا وينفد منه الصبر ، والبعض الآخر يرثى لحالة الصغير المريض حتى إنهم يسيرون على هواه ويتطوعون لتقديم الخدمات دون حاجة لذلك وإذا تصادف أن غضبت مع طفلك وخاصمته ، فليس فى الأمر ما يشعرك بأنك غير طبيعى ، لأن هذا سلوك طبيعى ورد فعل عادى بالنسبة إلى حالة التوتر والإجهاد التى مرت بك ، ولكن ينبغى أن تحاول السيطرة على نفسك وتكون هادئا محتملا بقدر الإمكان .

وإذا كنت تميل إلى المبالغة فى حماية الطفل ، فاعمل جهدك للحد من هذا الاتجاه . ولا يمكنك بطبيعة الحال أن تمتنع عن خدمته فجأة ،

أو تمنع عنه المشهيات الخاصة لـكى يقبــــل على الطعام ،أو تحجم عن تسليته و إدخال السرور إلى نفسه؛ وخاصة إذا كان الأمر لا يزال يقتضى بقاءه فى الفراش وقتاً طويلا . ولا شك فى أن الطفل يحتاج فى بعض الأوقات إلى أقصى ما يمـكن من الاهــتمام العاطفى ، ولـكن كلما استعاد قوته يمكن أن تقلل شيئاً فشيئاً من الخدمات الصغيرة التى كنت تقدمها له فى أثناء ضعفه إلى أن يعود إلى حالته العادية . ولتذكر دائماً أن التفاهة ليست حالة ثابتة بل متغيرة ، عقلياً وجسمياً . وكلما تقــدم فى السن اختلف تفـكيره ، وما كان يعتبر صالحاً فى وقت معين من طور النقاهة قد لا يكون كذلك فى وقت آخر

وليس لنا أن نبالغ فـيما يمـكن أن نتوقعه من الناقهين كما أن المبالغة فى العناية قد يكون لها من الآثار السيئة أكثر من العناية القليلة . ومن البديهى أن ينال الطفل القــدر المعين من العناية الذى يعتبر غير ضرورى فيما لو كان بصحة جيدة . وعليك أن توفر الهدوء أكثر من المعتاد أو أن تحذره بصفة خاصة بشأن الغطاء مثلا وما أشبهه . ومع ذلك فإنك إذا اكتفيت باتخاذ الاحتياطات الصحية اللازمة التى يأمر بها الطبيب ، عوضاً عن إحاطته بسياج من القلق والحماية الزائدة والمسارعة بتقديم الخدمات التى يمكنه أن يقوم بها بنفسه — فإنك تخرج بالطفل من

طور النقاهة دون أن تمس عاطفته بسوء .

والخطر الأعظم الذى ينجم عن المبالغة فى الحماية هو أن يستمرئ الطفل الحال ويصبح راغباً فيه فعلا ، بسبب الخدمات والامتيازات التى تمنح له . وكل طفل ، بجانب رغبته فى الاستقلال ، لديه الرغبة الطبيعية فى الاعتماد على الغير . وهناك لا شك لذة فى أن يصبح الطفل الصغير مرة أخرى . فإذا بالغت فى الرعاية فإن الطفل — لا شعورياً — قد يفقد الرغبة فى التحسن وهو أمر ضرورى لإبلاله من المرض ، بل ومن المحتمل أيضاً أن يكون تأثير العقل على الجسم من القوة للدرجة التى يظهر معها أعراض جديدة للمرض كالحمى أو الألم .

والرغبة فى الانغماس أو البقاء فى حالة استمتاع عاطفى بالعجز يحتمل حدوثها بصفة خاصة إذا أحس الطفل أن والديه يرغبان فى اعتماده عليهما وهو فى الواقع لا يفكر فى الأمر بهذه الصورة ، ولكنه يحس بأن أمه وأباه أكثر حباً وملاطفة له عندما يكون مريضاً . فإذا كنت ممن يرغب اعتماد الغير عليه ، وخاصة أطفالك ، فعليك فى هذه الحالة أن تكون على حذر من أمرك .

وكثير من الأطفال بالرغم من تقدمهم من الناحيــــة الصحية . ينــكصون إلى أفعالهم الطفلية الأولى بعد أن يتركهم المرض الطويل

ضعافاً لاحول لهم ولا قوة . كما أن كثيراً منهم ممن تمكن من عادات اللبس واستعمال أدوات الأكل ومن الكلام يعودون أحياناً إلى حالة طفلية يعجزون معها عن ارتداء الملابس أو الأكل والكلام كما كانوا يفعلون من قبل

وتسبب هذه الحالة قلقاً عند الوالدين وتساورهم المخاوف عند وقوع هذه الظاهرة . ولكن الأمر عادة لا خطورة فيه . وما دام المرض لم يترك ضرراً عضوياً بالطفل فإن العناية بإعادة تدريبه كلما سمحت حالته الصحية تعود به إلى سيرته الأولى قبل المرض . والعناية الزائدة التى تبذل فى شغف وقلق من شأنها أن تؤخر عودة الطفل إلى سلوكه العادى الذى يتفق مع سنه

وهناك احتمال خطير آخر للمبالغة فى الحماية ، ذلك أنها تشعر الناقه أنه لابد فى الأمر شىء فعليك أن تراجع نفسك للتأكد من أنك لم تذهب شططاً فى وضع القواعد وإصدار التعليمات وحاول بقدر الإمكان من التقليل مما تصدره من تحريمات وتوجيهات بشأن ما يفعله الطفل أو يمتنع عنه ،أو بشأن غدوه ورواحه . ولا جدال فى أنك تشعر بالارتياح إذا كان مريضك دائما تحت أنظارك ، ولكن لمصلحته أيضا أن تتنازل عن رغبتك الخاصة فى البقاء بجانبه ، وكل

ما يسمح به الطبيب من حركة أو نشــاط بدنى لا خوف منه عليه . ولمـا كان الطفل يشعر بأن الأمور تجرى حوله على غير المعتاد ، فإنه كلما قل بقاؤه وحيداً بنفسه قلت مضايقته من شعوره بالاختــلاف عن بقية الأطفال

وإذا كان الطفل ما زال ضعيفاً عديم الحول نسبيا ، فإنه يضطر إلى النزول على كـثير من القيود التى تحد من أفعاله . ولـكنه إذا شعر بتكرار هذا التدخل بشــأن مايفرض عليه فمن المحتمل أن يكون لذلك أثر عاطفى فيما بعـد فإذا كان الطفل بطبيعته لطيفاً سهل الانقياد ، فمن الجائز أن يفقد قدرته على اتخاذ قرارات لنفسه ، أو يفقد المبادأة أو الجهد العقلى . أما إذا كان يميل إلى الاعتداد بنفسه فإن نار الحـقد قد تشتعل ويظهر لهيبها فى شكل مطالب غير معقولة أو بالتخريب .

وهناك طريقان يمكنك أن تسلكهما لتعديل هذه الاتجاهات ؛ أحدهما أن تمتنع عن وضع أية قيود أخرى أكثر مما يستلزمه الأمر ، والآخر أن تعطى تفسيراً لمـا تتبعه من طرق الرقابة المعقولة والطفل يكون أكثر استعداداً للبقاء فى الحدود التى ترسمها له إذا فهم أسبابها مما لو فرضت عليه كالقانون

ويحـدث أحيانا أن تجـد طفلك ، بالرغم من اتخاذك جميع

الاحتياطات ، غـير عابئ بالقواعد التى وضعتها للمحافظة على سلامة صحته . فقد يسبب لك الرعب أن تراه مثلا يسابق فى الجرى أو يأكل طعاما محرما عليه ، أو متعمداً الوقوف تحـت المطر ، ولو أنك فهمت الدفاع المحتمل لمثل هذا السلوك لما هالك الأمر ولـكنت أكثر صبراً. فى الواقع إن الطفل يـكون فى هذه الحالة غير واثق من قدرته ويخشى ألا يصبح ثانية كغيره من الأطفال ، وهو إذ يفعل ذلك لا يتحداك ، بل إنه يجرب نفسه ليطمئن عليها .

وعليك بقدر الإمكان أن تبعد طفلك عن الناس الذين يبدون الاهتمام والقلق الظاهر بأمر صحتهم أو يـكثرون من التحـدث عن متاعبهم وعن العلاج الذى يسيرون عليه والأدوية التى يتعاطونها ونظم التغذية التى يتبعونها ، فإن طفلك قد يتأثر بطريقتهم فى التفكير والقلق على صحتهم . أما إذا كان اتصاله بهـذا النوع من الناس أمرا لا مفر منه كما يحدث مثلا فى حالة إقامة جدته العجوز فى المنزل ، فإنه من الممكن أن تقى طفلك من الوقوع فيما يقلقه ويشغل باله بأمر تغذيته أو التفـكير فى خطورة الأعراض البسيطة وما شابهها ، وذلك باتجاهاتك السـليمة إزاء حالته ، وتقبلك فى هـدوء للأوضاع القائمة كما هى . ولا جدل فى أن نظرتك المرحة المتفائلة المتزنة للمستقبل يمـكنها أن

تبطل الأثر الضار لمثل هذه التخيلات .

ومن الأمور التى تزعج صغار التلاميذ الذين يعانون من أمراض طويله وتقلق والديهم هى نسيان الكثير مما سبق تحصيله فى المدرسة . فإذا تماثل طفلك للشفاء يمكنك أن تنظم له أمر دراسته . وهناك بعض المستشفيات — وإن كانت لا تزال قليلة العدد — تقوم بالتدريس للأطفال الذين يقضون وقتا طويلا فيها . كما توفر أنظمة التعليم العام فى كثير من المجتمعات المدرسين لتعليم الأطفال المقعدين (Home bound) ويمكن دائما توفير التعليم الخاص للمقتدرين .

وليس الأمر جد خطير إذا لم يتمكن الطفل من متابعة الدراسة لمدة عام أو عامين ، وليعلم الطفل أنه سيكون مفهوماً لدى الجميع أن تأخره فى التخرج لم يكن راجعا لغباوته بل لاضطراره إلى أن يأخذ فترة طويلة من الراحة . ومهمتك الخاصة فى الحالة الراهنة ليست الضغط على الطفل ليلحق بزملائه ، ولكن للعودة به إلى حالته الصحية والإبقاء على رغبته فى الحياة .

وعليك استغلال كل مهارتك فى أن توفر له الهوايات والأشغال والألعاب والكتب والفرص التى تناسب حالته البدائية . وإخصائى العلاج المهنى (Occupational Therapist) الذى يمكن للمستشفى

أن يدلك عليه ، هو الشخص الذى يمكنه أن يقترح عليه ما يمكن لطفلك أن يستمتع بعمله ، لأنه بالإضافة إلى خبرته الطبية يعرف ما يمكن للطفل أن يقوم به فى أمان ، كما يعرف التدريب الذى يتيح له التفكير والتنقل وعليك أيضاً دعوة أصدقاء الطفل لزيارته و إن توفر له أكثر ما يمكن من مظاهر الحياة الاجتماعية فى الحدود التى لا يرى الطبيب معها ضرراً

بالإضافة إلى ماتقدم من الآراء ، يمكن مساعدة الطفل على أن يكون مستقلا مرحاً ومتزناً عاطفياً . فإذا كان فى نهاية فترة نقاهته فى صحته بدنية وعقلية طيبة ، فإنه سيتقدم فى دراسته عما إذا كنت قد أثقلت عليه بضرورة حفظ جدول الضرب أو العلوم الأخرى .

وكل ماسبق التوصية به بالنسبة إلى المرض الطويل ينطبق أيضاً على الطفل المصاب بالحمى الروماتزمية . وهذا المرض هو أكثر الأمراض سببا فى إطالة حالة العجز عند الأطفال، كما أن له مظاهر معينة تزيد من شدة تعقيد المشكلة عند كل من الطفل ووالديه ، فقد يصاب الصغير بداء القلب ، كما أن هناك احتمال لمعاودة المرض

والحمى الروماتزمية هى مرض يصيب الأطفال عادة فى سن السابعة أو الثامنة ، ولكن أحيانا مايكون قبل ذلك أو بعده . وإصابة طفلك

بهذا المرض لا ذنب لك فيه ، إذ لم يكتشف له بعد واقٍ ، كالمصل مثلا ولو أن رداءة المسكن والملبس والرطوبة والراحة غير الكافية تبدو أنها تزيد من تعرض الأطفال للحمى الروماتزمية . ولكن المرض يصيب الأطفال الأغنياء والفقراء منهم على السواء .

كما يتفاوت المرض فى شدته ، وفى ظهوره بأشكال متباينة عند مختلف الأطفال ، حتى ليصعب غالبا على الأطباء تشخيصه . فأحيانا لا تعدو الأعراض أن تكون آلاماً متنقلة فى المفاصل لا تقعد الطفل عن الحركة إلى أن يتبين الطفل أو والداه أن فى الأمر شيئا — وفى بعض الحالات تجىء الإصابة فجأة ومصحوبة بآلام شديدة وارتفاع فى درجة الحرارة ويقتضى الأمر نقله إلى المستشفى فورا . وفى بعض أشكالها يصاب المريض باهتزازات Chorea يطلق عليها Danee St. Vitvs تجعله يهتز هزات لا إرادية .

وقد تستمر حدة المرض إلى أسابيع أو أشهر . وطور النقاهة عادة ما يطول إلى شهور وقد يتجاوز العام . والآثار التى تنجم عن الحمى الروماتزمية متباينة أيضاً ، فبعض الأطفال يكون شفاؤهم منها تاما ، فى حين تترك فى البعض الآخر ندبة فى قلوبهم ، و يطلق على هذه الحالة روماتزم القلب.

و بالنسبة لغالبية الناس ، فإن أى نوع من أمراض القلب يحمل معه الاعتقاد المخيف أن ضحيته قد يلقى حتفه دون سابق إنذار . ولكن فى حالة روماتزم القلب ، فإن الأمر مطمئن لأن الأطفال المصابين به لا يموتون فجأة إلا فى حالات نادرة جداً ، حيث تكون الإصابة قد أحدثت تلفاً بالقلب تعوقه عن تأدية وظيفته فيتوقف عن النبض . ويمكن للطبيب دائماً أن يحذر الوالدين من هذا الخطر .

وإذا كان طفلك قد وقع فريسة الحمى الروماتزمية ، وبصفة خاصة إذا كان مصاباً بروماتزم القلب ، فإن القلق بشأن احتمال تعرضه لهجمات أخرى من الحمى ، لا يمكن أن يزول . ونتيجة لذلك فإن الوالدين فى حالة هذا المرض — خلافاً لأى مرض آخر طويل — يميلون إلى أن يكونوا أكثر مبالغة فى الحماية والرعاية ، ويكون الأطفال أنفسهم أكثر خوفاً فقد يعلم الطفل بخبرته أو من غيره من الأطفال ، أو من الطبيب نفسه أن الإصابة الأولى أو الثانية أو الثالثة قد لا تكون الأخيرة . وفى الواقع لا مفر من وقوفه على حقيقة الأمر لكى يتعاون فى البرنامج الصحى الذى يوضع له . و بالنسبة لطبيعة المرض فإن هذه المخاوف لها أساس من الصحة ومن الصعب إزالتها .

ولكن بالنسبة أيضاً إلى شدة وطأة هذه الحالة فإن الأمر يقضى

أيضاً بذل أعظم الجهد لـكيلا يتسرب اليأس إلى الوالدين أو الطفل . ويحتاج الأمر إلى تحصينات داخلية قوية ، عاطفية وروحية ، من كلا الجانبين حتى لايقهرهما الخوف مما هو محتمل وقوعه ويحطم حياتهم كلية والقاعدة أن تدع كل يوم يمر كما هو ، وأن تعيش لوقتك ولساعتك . وسيتمكن الطفل من تقبل هذا أيضـاً لأنه سيأخذ هذا الاتجاه عنك . ولأن القلق يقض مضجعك فقد تعجز عن ضبط عواطفك ، ولا بأس من أن تلجأ إلى الإخصائى الاجتماعى الطبي الموجود فى المستشفى ، فإن تدريبه وخبرته يؤهلانه لأن يقدم النصح فى مثل هذه المواقف . وقد يساعدك أيضاً فى البحث عن دار للنقاهة إذا كان الأمر يقتضى ذلك . وهناك قيمة عاطفية فى بقاء الطفل بالمنزل حيث يجد كل يوم من والديه ومن المحيط المألوف عنده مايطمئن نفسه . إلا أن تقرير بقاء الطفل بالمنزل فى طور النقاهة يعتمد على ظروف كل بيت وعلى طبيعة كل طفل .

ومعظم الأطفال يكونون أسعد حالا لو قضوا فـــترة نقاهتهم فى البيت إذا كان يوفر لهم بيئة صحية تتفق مع حاجاتهم البدنية كما توفر لهم الراحة الـكافية . وإذا كان هناك أيضاً من يشرف باستمرار على تقديم الوجبات الغذائية المنتظمة ، ويمـكنه تنفيذ التعليمات الطبية التى تتصل بالتدرج فى النشاط أو اكتشاف الأعراض التى لها خطورتها .

ويصعب على بعض الصغار مهما كانت الأسباب قبول القيود التي تفرض عليهم وتقوم ثائرتهم عندما يرون بقية أفراد الأسرة رائحين غادين كالمعتاد ، وقد يترتب على ذلك وقوع الاحتكاك الضار المعطل للشفاء . فإذا كان طفلك أحد هؤلاء فإن تقدمه سيكون أكثر في دار للنقاهة ، حيث سيسير هناك بين غيره من الأطفال الوادعين على القواعد التي تتطلبها حالته دون أن يبدو منه أي اعتراض .

أما إذا كان البيت رطباً سيء التهوية أو التدفئة ، أو إذا تعذر تخصيص فراش للمريض ، أو لم يكن من المتيسر تنظيم الدخول والخروج أو استعمال الراديو أو التليفون ، أو العمل أو اللعب لباقي أعضاء الأسرة — مما يضطر الأمر إلى إرغامهم على الهدوء والسكينة لكي يأخذ المريض قسطه من الراحة ، فإن في هذه الحالة يجب الترحيب بإرساله إلى دار النقاهة المخصصة لمن على شاكلته من الأطفال . وليس ثمة ما يدعو إلى النظر إلى هذا الوضع باعتباره تخلصاً من الطفل أو اعترافاً بالفشل كما يعتقد البعض .

ودار النقاهة تحقق كثيراً من الفوائد — ففي الجو الهادئ سيتوفر للطفل الوقت والمكان اللازمان للراحة . كما وأن التدرج في عودته للنشاط سيكون تحت إشراف المتخصصين كما سينال قسطاً من

التعليم عندما تسمح حالته بذلك . وسيتوفر له صحبة غيره من الأطفال ممن يجد فى تحمسهم مشجعاً له .

ويحسن مداومة الاتصال بالطفل عن طريق الكتابة وإخباره بالأشياء البسيطة التى يهمه معرفتها ، كما يجب إيقافه على تفاصيل ما يحدث فى الأسرة من تغييرات ، كالانتقال من مسكن إلى آخر ، أو فى اختلاف فى ساعات عمل أبيه ، أو مجىء أحد الأقارب للاقامة فى المنزل لأن هذا من شأنه أن يقلل من إحساسه بالانعزال عن البيت . هذا ولأن أى تغيير فى الظروف ولو كان ساراً ومرغوباً فيه ، قد يسيئه إذا فوجىء به ولم يكن مستعداً له . كما أن الزيارة وسيلة أخرى للمحافظة على روابط الأسرة ، وعلى هذا يجب الإكثار من الذهاب إلى دار النقاهة لرؤية الطفل بالقدر الذى تسمح به حالته .

وإذا كان طفلك يقضى نقاهته فى البيت ، فلا تنس مشكلاته السيكلوجية الخاصة ، لا لمجرد إزعاج نفسك بها ، ولكن لكى تتخذ جميع الخطوات الممكنة لمواجهتها ففى مرحلة النمو التى يبدأ فيها الطفل بالاهتمام بالأصدقاء فى مثل سنه ، يرى أن فرصته للصداقة ضعيفة فيشعر باختلافه عن أقرانه بسبب الحالة الاضطرارية التى لا تمكنه من مجاراتهم ، وبهذا يتهدد اعتباره الذاتى لأنه يعلم أنه لن يتمكن من

الوقوف بينهم موقف المنافسة فى الألعاب المادية ، كما لا يقوى على أن يقف منهم موقف الدفاع عن نفسه .

وليكن هدفك أن تمنع تسرب الشعور بالنقص إلى نفسه ، فإن هذا قد يعوقه طول حياته عن مجاراة الناس بسهولة . وكل مجهود تبذله لتقوية شعوره بالتقدم والنجاح عن طريق بعض أنواع النشاط المختارة، مع إتاحة أكثر ما يمكن من فرص الاتصال بغيره من الأطفال بقدر ما يسمح به الطبيب ، فإن هذا من شأنه أن يعمل على تقويته عاطفياً. وبمجرد أن تحصل على موافقة الطبيب على التحاقه بالمدرسة أو عودته إليها ، إياك أن تدع مخاوفك تؤخر من هذا اليوم السعيد .

والكيفية التى ينفذ بها البرنامج الصحى لطفلك فى أثناء طور نقاهته لا تقل فى أهميتها عن محتويات البرنامج نفسه . فإذا أشعرته بأنه يقوم بنصيب الأسد فى تحسين حالته ، يمكنك بذلك أن تحول كثيراً من مخاوفه إلى تفكير صحيح وسلوك سليم . وبامتداحك له من أجل معاونته فى اتباع العادات الصحية مثل تناول أكبر كمية من الطعام الصحى المغذى . والحصول على أكبر قسط من الراحة ، أو تغيير حذائه المبتل أو ملابسه كل هذا يجعله يفخر بأنه يقوم بدور إيجابى فى مقاومة المرض . إنه لمن أصعب الأمور ، بل إن لم يكن من المستحيل

علينا أن نتحاشى الخلط بين الاحتياطات الصحية السليمة و بين انشغال البال بأمر الصحة . فإذا تمكنت من تبصير طفلك بموقفه دون أن تثير قلقه على نفسه ، فإنك تعمل لمصلحته جسميا وعاطفيا .

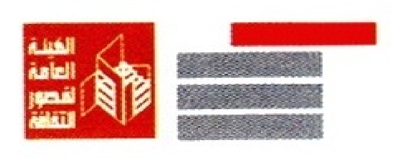
وليس من السهل التنبؤ بمآل الحالة بشكل قاطع ، لأن هناك احتمالات عدة — ليست بالضرورة — جميعها قائمة . فقد تكون إصابته الأولى بالحمى الروماتزمية هى الأخيرة . وقد لا يصاب قلبه بسوء بعد إصابة أو كثر . وقد يكون مصابا بروماتزم القلب و يشفى منه مع زوال آثاره بالتدريج . وقد لا يشفى تماما من روماتزم القلب ، ولكنه كغيره من الأطفال والكبار يمكنه أن يعيش حياة عادية . وفى نسبة ضئيلة من الحالات تكون الإصابة بالغة والشفاء متعذراً . ولكن حاول دائما أن تكون متفائلا فيما يتعلق بمستقبل طفلك ، وأن تنقل إليه هذا التفاؤل . وأنت لا تحكى قصة خرافية إذا قلت لطفلك إن مرضه قد ينتهى بنهاية سعيدة وأنه سيصل إلى بر الأمان .

محتويات الكتاب

يعد هذا الكتاب وسيلة لمساعدة الآباء والأمهات على تكوين اتجاهات إنشائية إزاء نواحي العجز التي قد تصيب أطفالهم، حيث يحتوي على مجموعة من الاقتراحات العلمية التي توجه وتعين آباء هؤلاء الأطفال لا على مشاكل عجزهم فحسب، بل على مساعدتهم على التكيف في حياتهم بمشكلاتها الراهنة. وما يميز هذا الكتاب هو الأمانة الشديدة في تصوير حقائق هذه المشكلة الصعبة، إذ وضع العديد من النقاط على الحروف وخاصة في حالات الضعف العقلي والشلل المخي والعمى والصمم.



الغلاف... د. خالد سرور



www.gocp.gov.eg

GREAT IS OUR GOD

حصريات مجلة الابتسامة

WWW.IBTESAMA.COM

مجلة
الابتسامة